



مطبوعات المجتمع العلمي



# بحوث بلاغية

تأليف

الدكتور أحمد مطلوب

---

بغداد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

ما كنت أعرف أن البلاغة علم ذو أصول حتى دخل علينا صباح يوم  
استاذ تسمو به الزينة وهدوه الوزار . وأخذ يطوف بنا في مسائل لم نالها ،  
فالذا نحن أمام اتجاهات البلاغة تلمس المؤثرات وتقف على الآخرين والحقا  
والمسرين والأدباء والفلاسفة وأصحاب الكلام ، وأذا نحن نردد الشعر الرقيق  
وقد اختاره الاستاذ أمثلة للكلية العذبة ، ونحفظ قواعد التشبيه والاستعارة  
والكتابة ونأم " بأمر ول الخير والانشاء ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ،  
والقول والوصل ، والابجاز والاضطراب والمساواة ، وتطلع الى ألوان البديع  
فالمرين ماوا حينا ومستأنسين بها حينا آخر . وكان ذلك أول تجربة أمر بها ،  
وقد حشيت الي " الاستاذ هذا العلم أو هذا الفن ، وجماني أقدم رسالة التخرج  
في " ضياء الدين بن الاثير " الناقد البلاغي الكبير ، وأحصل على مرتبة  
الامتياز الخاصة . وكنت في الوقت نفسه أطعم على خطبوات الاستاذ وهو  
يعتق مع الاستاذ الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - كتاب " الجامع  
الكبير " لابن الاثير .

كان ذلك عام ١٩٥٣م ، وكان ذلك الاستاذ الدكتور جميل سعيد - رحمه الله -  
الذي وجدت فيه حبا لطلابه وحرصا على مستفيدهم . وكان تشجيعه أثر كبير في  
توجيهي نحو البلاغة والتقد ، وشاء الله أن أجد استاذة جلية تأخذ بيدي وهي  
الدكتورة سحر القاسبي - حفظها الله - التي كنت أما رؤوما وأنا كمل بتوجيهها  
دراستي العليا في القاهرة برسالتين : الأولى " البلاغة عند السكاكي " والثانية  
" التزويدي وشروخ التلخيص " . وكان هذان الكتابان منطلقتي في البحث  
والتأليف . فسرت في الطريق لا ألوي على شيء ، وكان زادي الإرادة القوية  
وتفني بالله . وكان علي " وألا أهدأ السير أن أمال حرصا على الطرف والتقدير وأن

أجمع الرواد الأدب لاكتسب ذوقاً لاتمتنع في تكوينه قواعد البلاغة والنقد وحدها، وأخرجت أكثر من خمسين كتاباً - ثانياً وتحقيقاً - ونشرت أكثر من مائة بحث علمي فيها من الأصالة وروح الأمة ورسالتها الخالدة ما جعل الناس بها ينتفعون . وسارت فافداً بها صفحات تتوزع الكتب وآراء تتردد في الندوات . وقد قادى خاق قبلي فما استجاب لهم مستجيب لأنهم لم يكونوا مخلصين للكلمة ولم يتواضعوا أمام العلم وكانوا فيما كتبوا أو ألقوا من المدحعين .

لقد سرى البحث في دمي وكان نسفاً ينفض لا شجرة ميتة تشعور في جنباتها الرياح ، وكانت البلاغة والنقد مما أحببت ولو انصرفت اليهما كل الانصراف لكان السراج أغزر ، ولكن صوت الأمة وتداء الوطن حينما يرتعان يتدفع اليهما من آمن بربه وأمه وأرضه . وكان ما كان ، ومن يقدر على أن يطلى لب الثورة في قلبه اذا تأجج ؟ لقد اندفعت في الطريق القويم فانا أنا في خضم الحياة أعدل من أجل أمتي ووطن وأزود عنهما وأثر الفضائل والمقالات وأضغ الكتب في غير البلاغة والنقد ، والاقبي النصب من أجل أن تقر عيون الآباء ويسعد الأبناء . ولكنني - على الرغم من ذلك - لم أنس ما بداهته قبل ثلاث قرن ، وأصدرت كتاباً في البلاغة والنقد ، وها أنا اليوم أصدر هذا الكتاب الذي سيته « بحوث بلاغية » واضعاً فيه بعض ما كتبت في السنوات الأخيرة عن مصادر البحث البلاغي ، والفصاحة عند الجاهل ، والأساليب البلاغية . والفنون البلاغية ، والبلاغة بين المنطوق والتذوق ، وأثر القرآن في البلاغة ، ويدع القرآن الكريم ، وأثر الحديث في البلاغة ، وأثر المذاهب النبوية في البلاغة ، وأثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية .

لقد أريد بهذه البحوث أن تخلص بعض جوانب البلاغة العربية التي أصابها الحيف ممن تنكروا لأصالة أمتهم ووطنها بما ظنوا السوء وأنكروا أهميتها في التعبير والتصوير ، واندفعوا وراء بعض الاتجاهات التي لا تخدم اللغة ولا تقوم الأساليب . ونسي هؤلاء أن البلاغة روح اللغة وأنها السبيل

المضي الى الأدب الرائع والنقد القويم ، وأن كبار النقاد في الغرب قد عادوا اليها وأنسروا بها لما من أثر في نقد الأدب وتحليله ، وما الدعوة الى « علم الاسلوب » إلا انتصار لها بل هو البلاغة بثوب جديد .

إن البحث في البلاغة العربية معين لا ينضب ، وإن دارس القرآن الكريم والأدب العربي ومصنف المختصرات والنقاد الأدبي لن يستغفوا عنها ، لأن أهدافها واسعة ، ومداها بعيد . بخلاف بلاغة الأقنوم الأخرى . وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة وهم يبحثون في إعجاز القرآن الكريم ، وينقدون الأدب ، ويقولون الألسنة ، ويضعون المختبرات . وأجدد\* يحنقونهم لأن يولسوا هذا الفن اهتماما كبيرا ، وأن يجددوا فيه وهم يستدرجون القرن الحادي والعشرين ، وأن تكون لهم أصول عربية في النقد والبيان . وآخر ما أحتم به هذه المقدمة قوله تعالى :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة » إلك أنت الوهاب . ربنا إلك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنه الله لا يخالف المهاد\* . إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم\* ونسود النار . كذاب آل فرعون\* والذين من قبلهم كذبا\* يسوا يأتينا فأخذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب . قل\* للذين كفروا سنعذبون وتعذبون\* الى جحيم\* ويرش المهاد\* » .

وما التوفيق الا من عند الله

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع العلمي - بغداد

غرة رمضان ١٤١٦هـ

٢١ كانون الثاني ١٩٩٦م



( ١ )

## مصادر البحث البلاغي

الأهداف :

نشأ البحث البلاغي عند العرب بعد أن نزل القرآن الكريم وامتدت دعوة الاسلام الى رباع العالم ، وكانت نشأته تدور الى جانب نشأة علوم اللغة العربية ويتطور بتطورها عبر القرون . ومن أهم الأسباب التي دفعت الى هذا البحث اهتمام المسلمين بكتايبهم العظيم ، فقد وجدوا فيه غير ما افادوه في كلام العرب ووجدوه معجزة كبرى تحدى الله به الانس والجن على أن يأتسوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظاهرياً . ولكي يرهتوا على اصحابه وذريته وآياته واساويه ويستنبطوا الأحكام منه اتجهوا الى البلاغة باحثين قانوناً وموضحين أقساماً . وكان هذا الغرض من أهم الأهداف التي دفعتهم الى البحث واتكأ فيها ، لأن « الانسان إذا أقلل عام العربية وأخلل بسرعة الفصلحة لم يقع عامه بإعجاز القرآن من حجة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحته من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف ، وضته من الحلاوة وجاله من رونق الطلاوة مع سهولة كالمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها » (١) .

ويقتب الى جانب الغرض الديني دافعان آخران هما : الغرض التعليمي أي تعليم الناشئة لغة القرآن الكريم ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب

١) نشر في مجلة « الجامعة » التي تصدرها جامعة الموصل في العراق العدد ( ٨ ) أيار ١٩٨١ .

(١) كتاب الصناعات ص ١ .

بأنهم شئ وأدنى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها . والردى  
 النقدي أي تميز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين المقامات والخطب  
 والرسائل ، ويتصل بهذا الغرض رواية الأدب ومعرفة الجيد الذي يرمى  
 والردى الذي ينبغي أن يطرح . وقد أشار أبو هلال العسكري إلى المؤلفين  
 التاميين والنقدي بآله : « ولينا العام بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب  
 معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أخل بظاهره وفسده في التباسه فثابته  
 فضائله وعلقت به رذيلة فوشه غنى على جميع محاسنه وعسى سائر فضائله ؛  
 لانه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولطف حسن وآخر قبيح وشعر  
 قادر وآخر بارد ، بأن جانه ونظر نفسه . وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة  
 أو ينشئ رسالة وقد ناله هذا العلم مزج الصور بالكثرة وظلم الغرور بالعتور  
 واستعمل الوحشي المكر ، فجعل نفسه موزنة لجاهل وغيره المماثل ... وإذا  
 أراد أيضا تصنيف كلام مشهور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذا العلم سوء  
 اختاره له وقبح آثاره فيه فأخذ الرديء المرفول وترك الجيد المتبول فذل  
 على قصور فربه وتأخر معرفته وعلمه » (٢٢)

كانت هذه الأهداف : خدمة القرآن الكريم وتفسير إعجازه ، وتعليم اللغة  
 العربية وإتقانها ، وانتشاء الأدب وتقدمه - دالعا قويا حثيثا - العرب لغوض  
 في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الأهداف غرض المؤلفين جميعا  
 ولا يخار كتاب من كتب البلاغة والاعجاز من الإشارة إليها . وقد تطارت  
 جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأدائها ، ولذلك تعددت مصادر بحثها  
 وتنوعت مناهج درسيها ، ومن أشهر الذين بحثوا فيها : علماء إعجاز القرآن الكريم ،  
 والمفسرون والاصوليون ، واللغويون والنحاة ، والشعراء والكتاب ،  
 والفلاسفة والمتكلمون ، والمختصون والشرايح ، وأصحاب البدييات . وكانت  
 كل طبقة من هؤلاء تنفق في كثير من الأسس وتنتهي في أهداف واضحة المعالم ،  
 وإن كان رجالها يختلفون في تصورهم للبحث البلاغي أحيانا .

(٢٢) كتاب الصنائع ص ٢ - ٣ .

## اعجاز القرآن :

كان تأثير كتاب الله واضحا في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته اليبينات الشاهد البلاغي الرفيع ، ولذلك اهتم كثير من الباحثين القدماء الى أن ثرة عالم البلاغة « هي في فهم الاعجاز من القرآن ؛ لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجسيم مقتضيات الأحوال منطوقة ومقبومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة وصفها . وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه » (٢٦) .

وكان المتكلمون أول من بحث في اعجاز القرآن وبلاغته ، وقالت المعتزلة — إلا النظام — وهشام اللؤلؤي\* وعبد بن سليمان — : « تأليف القرآن وظفه معجز محال وقبره منهم كاستدالة إحياء الموتى منهم ، وإله علم لرسول الله . وقال النظام : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فلما التأليف والظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدهما فيهم . وقال هشام وعبد : لا تقول إن شيئا من الأعراس يدل على الله سبحانه وتعالى — ولا تقول أيضا إن عرشا يدل على تبرة النبي — صلى الله عليه وسلم — . ولم يجعل القرآن علما للنبي ، وزعمنا أن القرآن أعراس » (٢٧) .

واختلفت وجهات النظر في الاعجاز وتشعبت سبل القول ؛ لأن الوصول الى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في القرآن أصعب ، ولكن الباحثين لم يقتوا ومضوا يتلمسون بلاغة الكتاب العزيز ويبينون اعجازه ، فكانت دراهمهم أحسن مصدر للبلاغة وأجل\* مورد لمن أراد أن يتذوق القرآن وفهم البيان . ومن أهم كتب الاعجاز « اعجاز القرآن في ظله وتأليفه » لابي عبدالله محمد بن زيد الواسطي ( — ٣٠٦ هـ ) ولم يصل هذا الكتاب ولا شرحا عبد القاهر الجرجاني له .

(٢٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(٢٧) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .



ورسالة « التكت في اعجاز القرآن » لأبي الحسن علي بن عيسى الرمازي (٣٨٨هـ) وقد قسم البلاغة على عشرة أقسام : الایجاز ، والتشبيه ، والاستمارة ، والتلاؤم ، والتواصل ، والتجانس ، والتصرف . والتضمن ، والمبالغة ، وحسن البيان . وهذه الرسالة من أقدم كتب الاعجاز التي تحدثت عن فنون البلاغة وحددت معانيها ، وقد اعتمد التأخرون عليها في كثير من مساهمهم البلاغية .

ورسالة « بيان اعجاز القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الغضائبي (٣٨٨هـ) وقد جاءت فنون البلاغة فيها عند كلام المؤلف على ما في الآيات القرآنية من بلاغة أعجزت العالمين .

وكتاب « اعجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب البغلاقي (٤٠٣هـ) وهذا الكتاب من أهم كتب الاعجاز التي تحدثت عن النقد والبلاغة . وقد اهتم المؤلف بفنون البديع وذكر كثيراً منها كالتشبيه والتشثيل والاستمارة والقول والطائفة والتجنيس والمقابلة وصحة التقسيم والالتفات والاستطراد والتكرار والمبالغة والبلاغاني لا يرى أن القرآن معجز لأن فيه هذه الفنون ، وإنما هو معجز بإسلوبه ونظمه البديع وألفاظه ، وبأثره في النفوس . قال : « لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يفرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استغراقه بالتمام والتدرب والتصنع له كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة ، وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ، ومثال قد يقع غالبه عليه » .<sup>(١)</sup> ولكن لماذا ذكر فنون البديع ؟ على ذلك بأنه « باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وأنه لا يفتك القرآن عن فن من فنون بلاغتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم . وإذا اورد هذا المورد ووضع هذا الموضوع كان جديراً ، وإنما لم نطلق القول امتلافاً

لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ، وقرئنا علينا ومضائنا إليها وإن صرّح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة أخذت بحظها من الحسن والبجّة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستتبّع والعمل المستنبح .<sup>(٦)</sup>

وكتاب « المغني في أبواب التوحيد والعدل » - الجزء السادس عشر - للتأسي أبي الحسن عبد الجبار الأسد آبادي ( - ٤١٥ هـ ) ، وقد أظهر المؤلف فيه أن « إعجاز القرآن بالنظم » وكان ذلك دافعاً كبيراً إلى الأول بنظرة النظم التي شرحها عبد القاهر الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) في كتابه « دلائل الإعجاز » الذي يعدّ من أهم كتب البلاغة العربية التي وضعت أسس البحث البلاغي وأوضحت مباحثه وأسانيه . وكان لهذا الكتاب وكتاب « أسرار البلاغة » أثر عظيم في البلاغيين الذين فسروا القرآن أو الذين تحدّثوا عن الشعر وفنون الكلام .

ومن كتب الإعجاز الأخرى كتاب « نهاية الإعجاز في دراسة الإعجاز » لغير الدين الرازي ( - ٦٠٦ هـ ) وهو دعوة إلى ترتيب أصول البلاغة ووضع قواعدها الراسخة ، لأن مؤلفه رأى عبد القاهر قد « أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب ، وأشب في الكلام كل الأخطاء »<sup>(٧)</sup> وقد عالج فيه موزة ودان البلاغة ليهل إلى رآيه في الإعجاز ، ومعنى ذلك أن الفنون البديعة وسيلة لتربية الذوق الأدبي وإدراك أسرار فن القول .

وكتاب « معترك الأقران في إعجاز القرآن » لجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ( - ٩١١ هـ ) . وهو من أوسع الكتب التي بحثت في إعجاز القرآن ودرست فنون البلاغة التي كانت من وجوه ذلك الإعجاز .

ويتمل بهذه المسألة كتب علوم القرآن ، ومن أشهرها « البرهان في علوم القرآن » لغير الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( - ٧٩٤ هـ ) و « الأتقان في

(٦) إعجاز القرآن ص ١٧٠ .

(٧) نهاية الإعجاز ص ٤ .

علوم القرآن « السيوامي » وقد ذكر المؤلفان في كتابيهما معظم فنون البلاغة ، وفي ذلك إقرار بأن دارس القرآن ينبغي أن يعرف وجوه براهه ليرقى إلى مراتب العلى ويدرك ما في كتاب الله من علم وأسرار وفن وجمال .

### المفسرون والأصوليون :

المفسرون هم الذين ينفرون في كتاب الله - تعالى - فيفسرون ألفاظه ويوضحون معانيه ويبرزون مقاصده وأهلاله ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة وفكرات مهيبة وينتدرون فنون القول فيه وروعة البيان . ولكي يستطاع المفسر أن يرضى بذلك كله لابد له من أن يطالع حاسي علوم اللغة العربية لينتد إلى أسرار القرآن . ويعرض على معانيه . والبلاغة إحدى تلك الرسائل المهمة التي تكشف أسرار الإيجاز وتوجهه ، ماني الآيات . وقد شعر المفسرون بذلك فأخذوا يضعون للرسائلهم التفرازية مثلثات بلاغية أو يعرضون في مباحثها ، وصاروا يجهون إلى أهلية ذلك .<sup>(٨)</sup> وشاركهم البلاغيون في ذلك فقال عبد القاهر : « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يذهبوا أبداً في الالتفات الموضوع على المجاز والتشثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويخطوا الغرض وينتفوا أنفسهم والسماع منهم العام به واضح البلاغة وبسكان الشرف . ونهايك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجماروا يكثررون في غير مائل ، هناك ترى ما شئت من باب جبل قد فتحوه وزند ضلالة قد قبحوا به » .<sup>(٩)</sup> وقال السكاكي : « الواثق على تمام مراد الحكيم - تعالى - وتقتس - من كلامه ، منتق إلى هذين العاملين - المعاني والبيان - كل الالتفات . فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو قبيحاً راجل » .<sup>(١٠)</sup>

(٨) ينظر جامع البيان ج ١ ص ٦ ، الكشف ج ١ ص ١١٠ .

(٩) دلائل الإيجاز ص ٢٣ .

(١٠) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

وكتب التفسير كلها مصدر من مصادر البحث البلاغي المهمة ، ولعل أقدمها كتاب « معاني القرآن » لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ( - ٢٠٧ هـ ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المنسى ( - ٢٠٨ هـ ) \* وتتضح في هذين الكتابين أولى بذور البلاغة ، وهذا ما يدفع الى القول : إن لبنة البلاغة كانت حرة تتصل بكتاب الله قبل أن تشمل بالادب وفنونه وبما عرف من بلاغة اليونان .

ومن الكتب المتصلة بالنفاذ القرآن وتأويل معانيه كتاب « تأويل منكل القرآن » لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن كنية ( - ٢٧٦ هـ ) وقد تعرض المؤلف فيه لكثير من مسائل البلاغة ، ويكاد هذا الكتاب يكون أول دراسة تقوم على تصنيف الباحث ووضع الأبواب \* ولعل أهم تفسير يرتبط بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً « الكشف » لجابر الله محمود بن عمر الزمخشري ( - ٥٢٨ هـ ) \* وتتضح في هذا التفسير نزعة الزمخشري نحو تطبيق قواعد البلاغة على كلام الله والتنبه الى ما فيه من أسرار البيان ، قال ابن خلدون : « وهو كنه مبني على هذا الفن وهو أصله »<sup>(١١)</sup> وعرف القدماء ذلك فكانوا إذا ما أقدموا على دراسته تزعموا بآفة بلاغية ووضعوا الكتب لتعلمها كما فعل يحيى بن حمزة العلوي ( - ٧٤٩ هـ ) حينما شرع بعض طلابه يقرأون عليه الكشف فالتص كتابه « الطراز المنضج لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » وقال في مقدمته : « إن الباحث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الأحوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشف تسميه الشيخ العالم المحقق استاذ المسرين محمود بن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فانضج عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل الى الإطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسرارها وأنوارها \* ومن أجل هذا الوجه كان

(١١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

متسيراً عن سائر التفسير لأنني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواء ، فأتيت بعضهم لأن أمني فيه كتباً يشتمل على التهذيب والتحقيق<sup>(١٢٦)</sup> .

وكان للأصوليين والفقهاء أثر في البلاغة وفي كتب أصول الفقه بحوث مستفيضة عن الخير والائشاء ، والحقيقة والمجاز ، وهي بحوث تدل على انتشار علم أصول الفقه بها . قال السكاكي : « بل تصحح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها<sup>(١٢٧)</sup> » . وقال السبكي : « وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخير والائشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هو موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسألة الأخبار العموم والخصوص والأطلاق والتقييد والأجبال والتفصيل والتراخي ، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني . وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة<sup>(١٢٨)</sup> » ، ولذلك كانت معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان والأدب « ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ، ونقلتها من الصحابة التابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان إن أراد علم الشريعة<sup>(١٢٩)</sup> » .

ومن أقدم كتب الأصول التي تعرضت لبعض مسائل البلاغة كتاب « الرسالة » للإمام محمد بن أدریس الشافعي ( ٢٠٤ هـ ) ، وقد تحدث الإمام فيه عن البيان وأشار إلى ما في القرآن الكريم من أساليب العرب ، لأن الله سبحانه وتعالى « خاطبهم بلسانهم على ما يعرفون من المعاني<sup>(١٣٠)</sup> » ، وتكلم

(١٢٦) الطراز ج ١ ص ٥ .

(١٢٧) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

(١٢٨) غرر الإفراج ج ١ ص ٥٢ .

(١٢٩) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤ .

(١٣٠) تنظر الرسالة ص ٢١ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ وغيرها .

الامام على تلك الأساليب التي اتخذها مدخلا لدراسة أصول الفقه . ومن كتب  
 الاصول التي اهتمت بالبحث البلاغي كتاب « المعتد في أصول الفقه » لأبي  
 الحسين محمد بن عاصي بن الطيب البصري المعتزلي ( - ٤٣٦هـ ) وكتاب  
 « المستعنى من علوم الأصول » للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي  
 ( - ٥٠٥هـ ) وكتاب « الإحكام في أصول الأحكام » لأبي الحسن علي بن  
 أبي طالب سيف الدين الأحمدي ( - ٦٣١هـ ) وكتاب « تبيين الأصول في علم  
 الأصول » للأحمدي نفسه .

وتعد هذه الكتب الاصولية من أهم مصادر البلاغة ولا سيما موضوعات  
 الخبر والانتقاء ، والحقيقة والمجاز .

ومن الفقهاء الذين اهتموا في حركة التأليف الإمام عز الدين عفيف العزير  
 ابن عبدالسلام ( - ٦٦٠هـ ) صاحب كتاب « الاشارة الى الاجاز في بعض  
 انواع المجاز » ، والامام شمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بابن قيم  
 الجوزية ( - ٧٥١هـ ) مؤلف كتاب « القوائد - المشوق الى داوم القرآن رعلم  
 البيان » . وهذان الكتابان لهما في الفقه وأصوله وانها ، مقدمات بلاغية  
 ذات قيمة كبيرة ان يرد الغرض في أحكام الشرعة والأصول ولا سيما  
 كتاب ابن قيم الجوزية الذي ظم مباحث البلاغة تنظيما دقيقا .

#### الغويون والتجاء :

للغويين يد مولى في نشأة البلاغة وتطورها ، وقد ظل دورهم مشهودا  
 منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ورفعوا لواء  
 المحافظة على اللغة . وكان أبو عبيدة من أقدم الغويين الذين تعرضوا للدرس  
 البلاغي في كتابه « مجاز القرآن » وكتاب « التفاضل » الذين ذكر فيه بعض  
 المصطلحات البلاغية كالاستعارة والتشبيه . ومن الرواة والغويين الذين اهتموا  
 في نشأة البلاغة والنقد أبو سعيد عفيف الملك بن قسرب الأصمعي ( - ٢١٦هـ )

وله كتاب « فحولة الشعراء » وقد تعرض فيه لبعض مسائل البلاغة والنقد .  
 وله آراء نقاداً البلاغيين عنه كالعائسي في كتابه « حاية المعاصرة » وابن  
 رشيق في « العمدة » وأبي هلال في « كتاب الصناعات » وقدامة بن جعفر في  
 « نقد الشعر » . ومن الغوريين والنحاة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد  
 ( — ٢٨٥هـ ) صاحب رسالة « البلاغة » و « كتاب الكامل » و « المختضب » .  
 ومنهم أبو الحسن أحمد بن فارس ( — ٣٩٥هـ ) مؤلف « الفصاحي » الذي  
 يعدّ خطوة متقدمة في تصنيف مباحث عام المعاني إذ قسم الكلام على عشرة  
 أقسام : الخبر والاستخبار ، والأمر والأي ، والدعاء والطالب ، والعرض  
 والنحيف ، والتعجب . ولم يبق عند هذه المباحث وإنما تعرض  
 لموضوعات البلاغة الأخرى كالتمثيل والتأخير ، والحذف والذكر ، والتكرار ،  
 والمجاز والتشبيه ، والأياء والتحكم والكتابة .

وكان كتاب أبي عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيريه ( — ١٨٥هـ )  
 من أقدم كتب النحو التي حلت في صفحاتها كثيراً من أساليب التعبير وفنون  
 القول . وبعد هذا الكتاب مصدراً مبناً في دراسة البلاغة لأنه وضع اليذور  
 التي أثمرت فيما بعد قواعد وأصولاً . وأما بعده كتاب « معاني القرآن »  
 للفراء و « قواعد الشعر » لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعاب  
 ( — ٢٩١هـ ) الذي كان الخطوة الأولى لجهد ابن المعتز في البلاغة ، وأما  
 أحميه من أن مؤلفه عند فصولاً خاصة للتشبيه والأقراط والغلو والطاقة المعنى  
 والتعريض والاستدارة وحسن الخروج ومجاورة الأضداد — وهو الطباي —  
 والطباي — وهو الجناس . ويقتب عبد القاهر الجرجاني على قمة النحاة في القرن  
 الخامس للهجرة ، وهو صاحب « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » الذين  
 يعدان من أهم كتب البلاغة ، وأولاً جانوح الأدب نحو التأييد تطورت الحياة  
 الفكرية وقسمت الدراسات البلاغية ، وقد حاول كمال الدين عبد الواحد بن  
 عبد الكريم بن خلف الانصاري السماكي المعروف بابن الزملاكي ( — ٦٥١هـ )  
 أن يحيي جذوة عبد القاهر في كتابه « التبيين في علم البيان المطالع على أعجاز

القرآن » و « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » ولكن هيهات ، فقد بدأت روح التقليد تهب من كل مكان وصارت البلاغة متوقفا تحفظ ، وشروحا تقرأ ، وحواشي تدقق ، وتقريرات تشيع .

### الشعراء والكتاب :

كان الشعراء منذ الجاهلية يعمون بالقول ويجوزون أشعارهم وينقحونها ، وقد دلت الملاحظات البيانية على أنهم أصحاب ذوق ومعرفة بجيد الشعر وردئه . ومن الشعراء الذين كان لهم السبق في الدراسات البلاغية الخفيفة العباسي عبدالله بن المعتز الذي استفاد من جهود السابقين كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد وتمام ، فآلف « كتاب البديع » الذي فتح باب البحث والتأليف في البلاغة . وقد أقامه على قسمين :

الأول : البديع وهو خمسة فصول : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، وردء إعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي .

الثاني : معاني الكلام وهو ثلاثة عشر فنا : الانتقاص . والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيده المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل يراد به الجد ، وحسن التضمين . والتعريض والكتابة ، والافراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، واعتناء الشاعر نفسه في القوافي ، وحسن الابتدآت .

ومن الشعراء الذين اتقوا البلاغة الشرف الرضي ( - ٤٠٦هـ ) صاحب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » و « المجازات النبوية » . وابن رشيق القيرواني ( - ٤٦٣هـ ) مؤلف « المعصدة في معاني الشعر وآدابه وقده » و « قراصة الذهب » . وابن سنان الخفاجي ( - ٤٦٦هـ ) صاحب « سر القصاحة » . وأسامة بن منقذ ( - ٥٨٤هـ ) مؤلف « البديع في نقد الشعر » . وابن أبي الأصميص المصري ( - ٦٥٤هـ ) مؤلف « تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن » و « بديع القرآن » .



وكان للكتاب أثر واضح في البلاغة ، فقد صنفوا كثيراً من بحوثها بصيغة أدبية لما امتازوا به من أدب رفيع وذوق سليم ، وفي كتب الأدب كثير من أفعال الأدباء في البلاغة وتحديثها . وممن تركوا آراءه أثراً في البحث البلاغي عبدالله بن المقفع ( - ١٤٣هـ ) وعسرو بن عبيد ( - ١٤٤هـ ) وثيب بن شيبه ( - ١٧٠هـ ) وسهل بن هارون ( - ١٧٣هـ ) وجعفر بن يحيى ( - ١٨٧هـ ) وكثوم بن عمرو الثاني ( - ٢٢٠هـ ) . ولكن هؤلاء لم يؤلفوا كتباً في البلاغة والبيان ، وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( - ٢٥٥هـ ) من أقدم الكتاب الذين انصرفوا الى البحث في البيان ، وفي كتابه « البيان والبيان » و « الحيوان » وبعض رسائله كثير من الفنون البلاغية التي امتدت جذورها الى القرآن الكريم وكلام العرب القديم .

ومن الكتاب الذين عرفوا في العصر العباسي قدامة بن جعفر ( - ٣٣٧هـ ) صاحب « نقد النثر » و « جواهر الاقفاص » ، وهو في الكتاب الأول عالم بالبلاغة والنقد وقد أضاف كثيراً من الفنون التي طوّرت البحث البلاغي . ومنهم أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب صاحب « البرهان في وجوه البيان » الذي طبع قسم منه باسم « نقد النثر » ونسب الى قدامة . ومنهم أبو هلال العسكري ( - ٣٩٥هـ ) صاحب « كتاب الصناعات » . وابن قايما البغدادي ( - ٤٨٥هـ ) مؤلف « الجمان في تشبيهات القرآن » . وابسن شيت الترشي صاحب « معالم الكتابة ومغاسم الاصابة » . وضياء الدين بن الاثير ( - ٦٣٧هـ ) مؤلف « المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر » و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » و « الاستدراك » . وابن أبي الحديد ( - ٦٥٥هـ ) صاحب « شرح نهج البلاغة » و « الملك الغافر على المثل السائر » . وصالح الدين خليل بن أليك الصلبي ( - ٦٨٥هـ ) صاحب « نورة الثائر على المثل السائر » . وشهاب الدين محمود الحلي ( - ٧٢٥هـ ) صاحب « حسن التوصل الى صناعة الترسيل » . وشهاب الدين

احمد بن عبد الوهاب النوري ( - ٧٣٣ هـ ) مؤلف « نهاية الارب في فنون  
الادب » .

وكان للنقاد دور بارز في البلاغة . فقد استعانوا بفنونها في دراساتهم  
ولمّا كانوا كتّيب يحرفها ، ومن الذين تعرضوا للبلاغة في كتّيبهم النقدية أبو  
الحسن محمد بن أحمد بن طباطبأ ( - ٣٣٣ هـ ) صاحب « عيار الشعر » . وأبو  
القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى ( - ٣٧١ هـ ) مؤلف « الموازنة بين  
شعر أبي تمام والبحرّي » . والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ( - ٣٩٢ هـ )  
مؤلف « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

وتتناثر كتب الشعراء والكتّيب والنقاد بذوق رفيع وفترة أدبية مرهفة ،  
ومتابعة لفنون البلاغة والوقوف على النصوص الأدبية وفترة المعجب المتأثر أكثر  
من وقعة المقرر للأصول .

#### الفلسفة والتكلسون :

كان للفلسفة والتكلسين أثر في نشأة البلاغة وتطورها ، وكان نشأة  
التكلسين واسعة لما لهم من أثر كبير في الحياة العقلية . وقد قال الجاحظ إن  
« كبار التكلسين ورؤساء النظارين فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من  
البغاة »<sup>(١٧)</sup> . ولذلك قيل إن علم البيان ثبت في حجور التكلسين . ولعل صحيفة  
بشر بن المعتز ( - ٢١٠ هـ ) أصدق دليل على ذلك ، فقد ثر بشر فيها بعض  
البذور البلاغية ، ولكن الجاحظ يظل أبرز التكلسين وأظهر من أثر في نشأة  
البلاغة وتطورها وأقرب إلى النزعة الأدبية في عرض مسائلها وفنونها . لأن  
الفلسفة والتكلسين الآخرين أخذوا ينزعون منزعا عقليا في البحث البلاغي  
وضح ذلك عند الذين لفصوا أو شرحوا كتابي « الشعر » و « الخطابة »  
لأرسطو مثل أبي نصر الفارابي ( - ٣٣٩ هـ ) وابن سينا ( - ٤٢٨ هـ ) وابن

(١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ .

رشد) (٥٥٩ هـ) وطهر اتجاه الفلاسفة والمتكلمين في كتب البلاغة المتأخرة مثل « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » للرازي و « مفتاح العلوم » لسراج الدين يوسف بن أبي بكر أبي يعقوب السكاكي (٦٣٦ هـ) و « منهج البلاغة وسراج الأدباء » لأبي الحسن حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) و « المنزاع البديع في تجنيس أساليب البديع » لأبي محمد التتاسم السجلناسي (من أعيان القرن السابع والثامن) وكتاب « الأقصى التريب في علم البيان » لأبي عبدالله محمد بن عمرو التنوخي (من أعيان المائة السابعة) وكتاب « الغراز المختصن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩ هـ) .

ونماذج هذه الكتب باتجاهها نحو المقاييس العقلية والأخذ من منطلق الفلاسفة والمتكلمين ، ولعل كتابي القرطاجني والسجلناسي من أكثر الكتب تأثيراً بهذا الاتجاه .

#### المختصون والنسراج :

لم تكن الحياة الفكرية بعد القرن السادس تبشر بالإبداع في التأليف فقد رأت سحابة من الجمود ، ومضى المؤلفون يُلخصون ويشرحون الكتب السابقة وقد شهد القرن السابع وما بعده حركة شرح وتلخيص واسعة المدى ، ومن أشهر الذين لخصوا القسم الثالث من « مفتاح العلوم » بدر الدين بن ملك (٦٨٩ هـ) فقد وضع كتاب « المصباح في علم المعاني والبيان والبديع » وكتاب « روض الأذهان في علم البيان » . واختصر جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب الفزويني (٧٣٩ هـ) القسم الثالث من المفتاح بكتابه « التلخيص » ثم شرح هذا التلخيص بكتابه « الإيضاح » . وتوالت الفروع بعد ذلك فكان « عروس الاقصر » في شرح تلخيص المفتاح « نبهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) و « الشرح المختصر » و « الشرح المطول » لسعد الدين مسعود بن عمر المشهور بالفتاواني (٧٩٢ هـ) و « شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم » و « حاشية على الشرح المطول على التلخيص » للسيد

الفريق الجرجاني ( - ٨١٦ هـ ) و « الشرح الأول » لأبراهيم بن محمد بن  
عريش عمام الدين الأسفرايني ( - ٩٥١ هـ ) و « مواهب الفتاح في شرح  
الفتاح » لابن يعقوب المغربي ( - ١١١٠ هـ ) و « الحاشية على مختصر السعد »  
لمحمد بن عرفة الدسوقي ( - ١٢٣٠ هـ ) .

وتزخر هذه الشروح بقضايا الفلسفة والمنطق والاصول ، ولذلك ابتعدت  
كثيراً عن النزعة الفنية وتحكيم الذوق في دراسة البلاغة .

#### اصحاب البديعيات :

انصرف بعض المتأخرين الى غلم البديعيات ، وهي قصائد تتضمن فنونا  
بلاغية ومعلمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر  
البيط وعلى روي الميم . والبديعيات كثيرة ولبعظنا شروح ومن أهمها :  
« النتائج الأولية في شرح الكافية »<sup>(١٨)</sup> لصفي الدين الحلي ( - ٧٥٠ هـ )  
و « طراز العلة وثناء العلة » لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعي  
الغزللي ( - ٧٧٩ هـ ) و « خزانة الأدب وغاية الأوب » لابن حجة الحموي  
( - ٨٣٧ هـ ) وشرح « غلم البديع في مدح خير شافع » لجلال الدين السيوطي  
( - ٩١١ هـ ) وشرح « الفتوح المبين في مدح الأئمين » لعائلة الباغونية  
( - ٩٢٢ هـ ) و « أنوار الربيع في أنواع البديع » لصدر الدين بن معصوم  
الحسيني المدني ( - ١١١٧ هـ ) - و « نحات الأزهار على نسجات الأحجار  
في مدح النبي المختار » لعبد القني التابلسي ( - ١١٤٣ هـ ) . وهذه الشروح  
كتب بلالفة تعرضت لدراسة جميع النون ، ولها قية كبيرة في البحث البلاغي  
ولا سيما « خزانة الأدب » لحدوي و « أنوار الربيع » للمدني ، وهي بعد  
ذلك تمثل ذوق ذلك العهد وثقافته وتحلل في صفحاتها كثيراً من النصوص  
التي شاعت مصادرها ، أو لا تزال بعيدة عن أيدي الدارسين .

(١٨) طبعها مجمع القية العربية بدمشق سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م بتحقيق  
الدكتور نسيب نشاي وبمعاون « شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة  
ومعاني البديع » .

تلك أهم مصادر البحث البلاغي عند العرب وقد انضح أن البلاغة لقيت اهتماماً كبيراً من يشأت علمية مختلفة ، فعلماء أصحار القرآن والمفسرون والاصوليون واللغويون والنحاة والشعراء والكتّاب والفلاسفة والمنكلمون والمختصون والشراح وأصحاب البديعات - شاركوا في إرساء قواعد البلاغة وترسيخ مباحثها وإيضاح اتجاهاتها • وكانت كل طائفة من تلك الفصق تحمل نظرة خاصة إلى البلاغة ولكنها لا تمزج فرقتا عن فريق وانسابا تنتهي كلها إلى تفوق كتاب الله العزيز واتقان أساليب العرب وإن تعددت كتبها واختلفت مناهجها • ولكن الدارس يلاحظ اتجاهين بارزين هما : الاتجاه الأدبي والاتجاه الكلامي ، أو ما يسمى بالمدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية • وأمر هذين الاتجاهين قديم فقد قال أبو هلال : « ليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه قصد صناع الكلام من الشعراء والكتّاب فلهذا لم أخل الكلام في هذا الفصل » (١٩) • وقال السيوطي : « ورزقت البحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدع على طريقة العرب والبليغ على طريقة العجم وأهل الفلسفة » (٢٠) • ولكن الحدود بين المدرستين غير قاصدة ، لأن كل اتجاه يجعل سمات الاتجاه الآخر بقدر ، ولعل « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » للبرجاسي و « الطراز » للعلوي خير ما يمثل هذا المزج بين الاتجاه العقلي في تحديد القنن وتفسيرها ، والاتجاه الفني في نقد النصوص وإظهار ما فيها من روعة وجمال وتأثير • وتبقى هناك مصادر أخرى لدراسة البلاغة ، وهي مختلفة تتمثل في كتب الأدب واللغة والنحو والنقد والتعليقات والرسائل العامة (٢١) • وفي كتب البلاغة الحديثة فائدة لا تنكر ولكنها لا تنفي عن الرجوع إلى المصادر الأصيلة وأهم مصادر البحث البلاغي :

#### ١ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي •

- (١٩) كتاب الصناعتين ص ٩ . (٢٠) حسن الحاضرة ج ١ ص ١٥٥ .  
(٢١) وتنسج هذه المصادر في كتابنا « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » وكتبنا « مناهج بلاغية » .

- ٢ - اتمام الدراية لقراء النفاية - جلال الدين السيوطي •
- ٣ - احكام صنعة الكلام - محمد بن عبدالغفور الكلاعي •
- ٤ - الاحكام في اصول الاحكام - أبو الحسن علي سيف الدين الأمدى •
- ٥ - أدب الكاتب - ابن قتيبة •
- ٦ - أساس البلاغة - جار الله الزمخشري •
- ٧ - الاستفراغ - ضياء الدين بن الأثير •
- ٨ - أسرار البلاغة - عبدالناهر الجرجاني •
- ٩ - الاشارة الى الایجاز في بعض أنواع المجاز - عز الدين بن عبدالسلام •
- ١٠ - الأصول - ابراهيم بن محمد عصام الدين الأسفرايني •
- ١١ - الأقصى القريب في علم البيان - محمد بن محمد التنوخي •
- ١٢ - أنوار التريخ في أنواع البديع - ابن معصوم المدني •
- ١٣ - الايضاح في شرح مقامات الحريري - أبو المظفر ناصر المطرزي •
- ١٤ - الايضاح في علوم البلاغة - جلال الدين الخطيب القزويني •
- ١٥ - كتاب الايمان - ابن تيمية •
- ١٦ - البحر المحيظ - أبو حيان الاندلسي •
- ١٧ - البديع - عبدالله بن المعتز •
- ١٨ - البديع في قد الشعر - أسامة بن منقذ •
- ١٩ - بديع القرآن - ابن أبي الاصبغ المصري •
- ٢٠ - البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي •
- ٢١ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب •
- ٢٢ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - ابن الزمكاني
- ٢٣ - البلاغة - المبرد •
- ٢٤ - البيان والتبيين - الجاحظ •
- ٢٥ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة •
- ٢٦ - التبيان في علم البيان المقطع على اصجاز القرآن - ابن الزمكاني
- ٢٧ - تحرير التحبير - ابن أبي الاصبغ المصري •

- ٢٨ - كتاب التشبيهات - ابن أبي عوزة .
- ٢٩ - التفضيل بين بلاغتي العرب والمجسم - أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري .
- ٣٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي .
- ٣١ - تلخيص الخطابة - ابن رشد .
- ٣٢ - التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين الفطيم التزويني .
- ٣٣ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - الخطابي والرماني والجرجاني .
- ٣٤ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري .
- ٣٥ - الجامع الكبير - ضياء الدين بن الاثير .
- ٣٦ - الجدل في تشبيهات القرآن - ابن فاقيا البغدادي .
- ٣٧ - جمع الجواهر في الملح والنوادر - الحصري التتيرواني .
- ٣٨ - جواهر الالفاظ - قدامة بن جعفر .
- ٣٩ - جوهر الكنز - ابن الاثير الحلبي .
- ٤٠ - حاشية الدسوقي على شرح التنازالي - محمد بن عرفة الدسوقي .
- ٤١ - حاشية السيد الشريف الجرجاني .
- ٤٢ - حقائق الشعر في دقائق الشعر - رشيد الدين الوملوط .
- ٤٣ - حسن التوصل الى صناعة الترتيل - شهاب الدين الحلبي .
- ٤٤ - حلية المحاضرة في صناعة الشعر - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر العاملي .
- ٤٥ - الحيوان - الجاحظ .
- ٤٦ - الفراج وصناعة الكتابة - قدامة بن جعفر .
- ٤٧ - خزانة الأدب وغاية الارب - ابن حجة الحوي .
- ٤٨ - الخصائص - ابن جني .
- ٤٩ - الخطابة - أرسطو .
- ٥٠ - الخطابة - ابن سينا .

٥١ - المر النائم المنتخب من كتابات واستمارات وتشييعات العرب

- الزمخشري \*

٥٢ - دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني \*

٥٣ - رسائل البلاء - جميعها محمد كرد علي \*

٥٤ - الرسالة - الامام محمد بن ادرس الشافعي \*

٥٥ - الرسالة الحاثية - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاثي \*

٥٦ - الرسالة الشافية - عبدالقاهر الجرجاني \*

٥٧ - الرسالة العذراء - ابن الدبر \*

٥٨ - الرسالة العجبية في المعاني المؤيدة - عباس بن علي الصنعاني \*

٥٩ - الرسالة الموضحة - أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاثي \*

٦٠ - روض الاذهان في علم المعاني والبيان - بدر الدين بن مالك \*

٦١ - زهر الآداب وثمر الآليات - الحصري النيرواني \*

٦٢ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي \*

٦٣ - سرقات أبي نواس - مهمل بن يهوت بن المزروع \*

٦٤ - شرح بدعية الباعونية - عائشة الباعونية \*

٦٥ - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي \*

٦٦ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد \*

٦٧ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة \*

٦٨ - الشفاء - ابن سينا \*

٦٩ - الصاحب - احمد بن فارس \*

٧٠ - صبح الأعشى في صناعة الانشا - القلشندي \*

٧١ - كتاب الصناعين - أبو هلال العسكري \*

٧٢ - طبقات الشعراء - عبيد الله بن المعز \*

٧٣ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجهمي \*

٧٤ - طراز الحلة وشفاء النلة - أبو جعفر الرعيني \*



- ٧٥ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي \*
- ٧٦ - عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السبكي \*
- ٧٧ - المقصد الفريد - ابن عديريه \*
- ٧٨ - العمدة - ابن رشتيق القيرواني \*
- ٧٩ - عيار الشعر - ابن طياحبا العلوي \*
- ٨٠ - عيون الاخبار - ابن قتيبة \*
- ٨١ - التفاضل - الميرد \*
- ٨٢ - فحولة الشعراء - الاصمعي \*
- ٨٣ - القنك الدائر على المثل السائر - ابن أبي الحديد \*
- ٨٤ - فن الشعر - أرسطو \*
- ٨٥ - الفوائد ( المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ) - ابن قيم الجوزية \*
- ٨٦ - قانون البلاغة - ابو طاهر محمد بن حيدر البغدادي \*
- ٨٧ - قراضة الذهب - ابن رشتيق القيرواني \*
- ٨٨ - قواعد الشعر - ثعالب \*
- ٨٩ - الكامل - الميرد \*
- ٩٠ - كتاب سيبويه - عمرو بن قنبر سيبويه \*
- ٩١ - الكشف - جابر الله الزمخشري \*
- ٩٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير \*
- ٩٣ - المجازات النبوية - الشريف الرضي \*
- ٩٤ - مجاز القرآن - أبو عبيدة \*
- ٩٥ - المختصر - سعد الدين التتازالي \*
- ٩٦ - الزهر - جلال الدين السيوطي \*
- ٩٧ - المستقصى من علوم الاصول - الامام أبو حامد الغزالي \*
- ٩٨ - الصباح في علم المعاني والبيان والبدیع - بدرالدين بن مالك \*
- ٩٩ - المصون في الأدب - أبو احمد الحسن بن عبدالله العسكري \*

- ١٠٠ - المطول - سعد الدين التفتازاني •
- ١٠١ - معالم الكتابة ومغام الأصابة - ابن شيث القرشي •
- ١٠٢ - معاني القرآن - القراء •
- ١٠٣ - معترك الاقران في اعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي •
- ١٠٤ - المعتمد في أصول الفقه - محمد بن علي بن الطيب البصري •
- ١٠٥ - المغني في أبواب التوحيد والعدل - أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي •
- ١٠٦ - مفتاح العلوم - السكاكي •
- ١٠٧ - المقاييس - أبو حيان التوحيدي •
- ١٠٨ - المتقضب - المبرد •
- ١٠٩ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون •
- ١١٠ - المنزع البديع فسي تجنيس أساليب البديع - أبو محمد التاسم السجلناسي •
- ١١١ - منتهى السؤل في علم الاصول - أبو الحسن علي الآمدي •
- ١١٢ - متعلق أرسطو - أرسطو طاليس •
- ١١٣ - منهاج البلغاء وسراج الادباء - حازم القرطاجني •
- ١١٤ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري - أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي •
- ١١٥ - مواهب اللغات في شرح تلخيص المفتاح - ابن يعقوب المغربي •
- ١١٦ - الموشح - المرزباني •
- ١١٧ - نصرة الناظر على المثل السائر - صلاح الدين الصفدي •
- ١١٨ - نصرة الاغريض في نصرة التريض - المظفر بن الفضل العلوي •
- ١١٩ - قصائد الازهار - عبد الغني النابلسي •
- ١٢٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر •
- ١٢١ - نقد لائثر - المنسوب الى قدامة بن جعفر •

- ١٢٢ - النكت في إعجاز القرآن - الرماني \*
  - ١٢٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - فخر الدين الرازي \*
  - ١٢٤ - الوافي في العروض والتواقي - الخطيب التبريزي \*
  - ١٢٥ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني
- وهناك كثير من كتب البلاغة ومصادر المخطوطة ، أما مراجع البحث البلاغي فهي كثيرة تحتل بها مكتبات العالم ، ولا يزال الباحثون يضيفون كل عام كتباً وبحوثاً جديدة<sup>(٢٢)</sup> . ولأني أهتم المراجع من أنها تفتح أمام الباحث سبل الكشف عن المصادر وتفسر له ما غطى وتوضح له ما استهم وتمسح له بعض ما تلفقه المعاصرون من الغرب بما قرأوه في كتب العرب ، وفي ذلك فائدة لمن أراد التجديد \*

#### استدراك :

تضاف إلى القائمة بعض المصادر القديمة وهي :

- ١ - أصول البلاغة - كمال الدين ميثم البحراني \*
- ٢ - العروض المربع في صناعة البديع - ابن البناء المراكشي \*
- ٣ - شرح الكافية البديعية - صفي الدين الحلي \*
- ٤ - المصنف - الحسن بن علي بن وكيع \*
- ٥ - نكت الانتصار لنقل القرآن - أبو بكر الباقلائي \*

---

(٢٢) لم يكن حينما بدأت بالتأليف في البلاغة عام ١٩٥٦ م ، إلا ما يعد على أصابع اليد من الكتب المحففة والمؤلفة في البلاغة والنقد .

## المصادر :

- ١ - إيجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاسي • تحقيق  
أحمد صقر • القاهرة •
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ • تحقيق عبدالسلام هارون - القاهرة  
١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م •
- ٣ - جامع البيان في تفسير القرآن - ابن جرير الطبري • القاهرة •
- ٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي •  
القاهرة ١٢٩٩هـ •
- ٥ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا •  
القاهرة ١٣٧٢هـ •
- ٦ - الرسالة - محمد بن ادريس الشافعي - تحقيق أحمد شاكر • القاهرة  
١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م •
- ٧ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي • القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م •
- ٨ - عروس الافراح - بهاء الدين السيكي • ( شروح التلخيص •  
القاهرة ١٩٣٧م ) •
- ٩ - كتاب الصنائع - أبو هلال العسكري • تحقيق علي محمد الجاوي  
ومحمد أبو الفضل ابراهيم • القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م •
- ١٠ - الكشف - جلال الزمخشري • القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ •
- ١١ - مفتاح العلوم - الكاكي • القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م •
- ١٢ - مقالات الاسلاميين - أبو الحسن الأشعري - استنبول ١٩٢٩م •
- ١٣ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون • دار الكشاف - بيروت •
- ١٤ - نهاية الإيجاز - فخر الدين الرازي • القاهرة ١٣١٧هـ •



( ٢ )

## الفصاحة عند الجاحظ

الفصاحة :

كانت الفصاحة من أهم ما عني به العرب ؛ لأنها عنوان القدرة على الكلام والقاء الخطب وإنشاء الشعر . والفصاحة هي الرفضوح والبيان ، قال ابن منظور : « الفصاحة : البيان . فصّح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصّح ، وامرأة فصيحة من لسوة فصاح وفصّاح . رجل فصيح وكلام فصيح : أي بايغ . لسان فصيح : أي طلق ... وفصّح الأعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . وقيل : وجدت لفته حتى لا يفهم . أفصح كلامه أفصاحاً وأفصح : تكلم بالفصاحة ، وكذلك الصبي ، يقال : أفصح الصبي في مثله الفصاح إذا فهم ما يقول في أول ما يتكلم . أفصح الأغتم : إذا فهم كلامه بعد فهمته .<sup>(١)</sup> أفصح عن الشيء أفصاحاً : إذا بيّنه وكشفه فصّح الرجل وفصّح إذا كان عربي اللسان فأزاد فصاحة . وقيل : فصّح في كلامه وتفصح : تكلم بالفصاحة ، يقال : ما كان فصيحاً ولقد فصّح فصاحة وهو البين في اللسان والبالغة . التفصح : استعمال الفصاحة وقيل : التشبه بالفصحاء ، وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالنفصيح :

\* نشر في مجلة المورد ( العدد الأول سنة ١٩٨٢ ) ثم نشر بتعديل في كتابي « البلاغة عند الجاحظ » الذي نشرته وزارة الثقافة والأعلام العراقية سنة ١٩٨٢ م . وكنت قد اعتمدت بتتبع المصطلح البلاغي منذ أكثر من ثلاثين سنة وظهر ذلك في كتبي الكثيرة ثم توج في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » و « معجم التند العربي القديم » .

(١) الفتحة : المعجمة في المنطق . الاغتم : من لا يفصح في كلامه .

كل فاعل ، والاعجم : كل ما لا ينطق . التصحيح في اللغة المنطق للسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديته «<sup>(٢٢)</sup>» .

ويوضح في هذا القول أن الفصاحة بيان التعبير ووضوحه ، وأنها تخص الكلام والمنكلم ، فصاحة الكلام أن يكون واضحاً بليغاً ، وفصاحة المنكلم أن يكون منطوق اللسان في القول ، عارفاً جيد الكلام من رديته . ولو مضينا بحث عن لفظة « الفصاحة » لرأيناها في كلام العرب كقول ثعلبة السعدي :

وأوه فازدركوه وهو خير مني . ونسج أهله الرجل القبيح

فلم يخشسوا مصالته عليهم . وتحت الرغبة اللبن الفصح<sup>(٢٣)</sup>

وفي القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام : « وأخي هرون » هو أفصح مني لساناً<sup>(٢٤)</sup> . وفي الحديث النبوي أشرف كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » وقوله : « غفر له بعدد كل فصيح وأعجم »<sup>(٢٥)</sup> . ولا يخرج ما في كتاب الله وكلام الرسول الكريم عن المعنى الذي ذكرته المعاجم لكلمة « الفصاحة » وهو الظهور والبيان وإطلاق اللسان ، وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما بل لم يروا بأساً في أن يستعمروا إحداها مكان الأخرى .

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من أوائل الذين اهتموا بدراسة الفصاحة ، وفي كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وغيرها كثير من الاشارات الى فصاحة المنكلم وفصاحة الكلام ، وهي التارات

(٢٢) لسان العرب ( فصح ) .

(٢٣) الفرق : التفسير في سماحة وتجدة . المصالة : ما تقرر من الجرة أو الخابية .

(٢٤) سورة القصص ، الآية ٢٤ .

(٢٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٤٥٠ .

كان لها أثر عظيم في الدراسات البلاغية وتقسيم الفصاحة التي نوعها فصاحة  
المتكلم وفصاحة الكلام .

#### فصاحة المتكلم :

حدد القدماء فصاحة المتكلم بأن يكون نطاق اللسان في التول ، عارفاً  
جيد الكلام من رديئة ، وأن لا يكون في لسانه عيب يمنعه من الملائمة وإخراج  
الحروف من مخارجها بصورة صحيحة . وقد عالج الجاحظ هذه المسألة في  
كثير من فصول كتابه «البيان والتبيين» وتعرض لها عند كلامه على الخطابة وما  
ينبغي أن يتصف به الخطيب ، وهدفه من ذلك أن يعطي صورة وضاعة للخطباء  
العرب وهو يرد على الشعوبيين الخاطئين .

عرف الجاحظ التصحيح والاعمج بقوله : « التصحيح هو الانسان، والاعمج  
كل ذي صوت لا يفهم إرادته الا ما كان من جنسه »<sup>(٦)</sup> . فالعربي فصيح إن  
أدى الكلام أداءً حسناً وأفهم الآخرين وكان غلقه للحروف سليماً وإخراجه  
للكلمات صحيحاً ، وكان بعيداً عما عرف في بعض قبائل العرب من كسكنة  
ولحضة . وقد قال معاوية أبي سفيان يوماً : « من أفصح الناس ؟ فقال قائل :  
قوم ارتفعوا عن لخطائهم الفرات وقياموا من عنقة تميم وقياموا عن كسكة  
بكر ، وليست لهم لحضة قضاة ولا سطاية حير . قال : من هم ؟ قال :  
قريش »<sup>(٧)</sup> . ففرض من أفصح قبائل العرب ، وهي التي نزل عليها كتاب الله  
أول ما نزل فأصبح بيانه وألفاظه المثل الأعلى لكل فصيح بليغ ، وصار أهل  
الأمصار يفخرون بلغتهم التي تقرب من لغة القرآن ولا تخرج على ما جاء فيه  
من عيب الالفاظ . قال أهل مكة لحمد بن المناذر الشاعر : « ليست لكم  
معاشر أهل البصرة لغة فصيحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر :

(٦) الحيوان ج ١ ص ٢٢ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٢ .

أما اللغات فاحكى لألفاظ القرآن واكثرها له موافقة فسموا القرآن بعد هذا حيث شئتم <sup>(٨)</sup> .

لقد ذهب الجاحظ الى أن الفصح من عبر عن نفسه بوضوح وأبان عن قصده بجلالة ، وينطبق ذلك على أية لغة مادام التكلم يطلق حروفها لفظاً سليماً ويتكلم بها بطلاقة ووضوح . إن الانسان فصيح « وإن عبر عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية . وليس العربي أسوأ » فهذا لتسطة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي ، فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح <sup>(٩)</sup> . وهذا ادراك واسع لعقيقة النصاحة التي لا تخص لغة من اللغات أو أمة من الامم بل هي مقسومة عليهم ، والفصح فيهم من عبر عن نفسه بلسان سليم . وقد تجتمع فصاحة لفتين أو أكثر في واحد ، ومن ذكرهم الجاحظ وكان من أعاجيب الدنيا موسى بن سيار الاسواري الذي « كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فتعقد العرب عن بيته والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويترجمها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيترجمها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو آين . واللغتان إذا التفتتا في اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الفصح على صاحبها <sup>(١٠)</sup> . إلا ما ذكره من لسان موسى بن سيار الاسواري <sup>(١١)</sup> .

لقد أولى الجاحظ النصاحة عناية كبيرة لأعنيها فسي المناظرة والخطابة وإنشاد الشعر ، وقال : « كلما كان الانسان آين كسان أحمد ، كما انه كلما كان القلب أشد استجابة كان أحمد <sup>(١٢)</sup> . وذكر سؤال موسى - عليه السلام لربه أن يعادل عقدة من لسانه ليفقروا قوله ، وأن يكون أخوه هرون رده »

(٨) البيان ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

(٩) الحيوان ج ١ ص ٣٢ .

(١٠) عالج الجاحظ هذه المسألة في الحيوان ج ١ ص ٧٦ .

(١١) البيان ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١١ .



يصدق ، لانه أقصَح لساناً ، ولم يكن ذلك إلا " رغبة منه في غاية الإفصاح بالحبجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق اليه أميل والعقول عنه أقفم ، والنشوس اليه أسرع ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ أقدامهم على بعض المشقة " (١٣) . ففصاحة المتكلم مهمة في التعبير وإشغاف الروعة على الممانسي واكسابها التوة فسي التأثير ، وكان العرب يأنسون بالحديث الجميل والكلام العذب ويعدونه جانباً من القيرى ، وقد قالوا : " من تمام الضيافة الثلاثة عند أول وهلة وإمالة الحديث عند المراكسة " (١٤) . وقال عروة بن الورد :

سلي الجائع الغرآن يا أمّ منفرم إذا ما أناسي بين ساري ومجزري  
هل أبسط وجبي إله أوّل القيرى وأبذل معروفسي له دون منكسري

وكان إعطاء الحروف حقها من الفصاحة أول ما يسعى اليه الفصحاء ، ولذلك كانوا يسنون على النطق السليم والالتقاء الحسن ليكونوا أشد تأثيراً حينما يتحدثون أو يخطبون أو يجادلون . وكانوا يتحاشون الحروف التي لا يحسنون نطقها ، ويعتمدون على الالتقاط التي لا يطابق بها اللسان . وكان أصل بين عطاء المعتزلي من أحرص الناس على أن يكون كلامه فصيحاً ، لانه كان صاحب مقالة ورئيس بحثية ، ولما علم أنه ألتسج وأن مخرج ذلك منه شنيع رام إسقاط الراء من كلامه وأخراجها من حروف منطقته ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه حتى انتظم له ما حاول . ومن طريف ما ذكره الجاحظ عنه أن يشاراً حينما هجاه بقوله :

مالي أشاج غرّالاه له عشق كبريتيق الدو إن ولي وإن مثلاً  
عشق الزاهرة ما بالسي وبالكسم أنكشرون رجالاه أكرروا رجلاً (١٥)

(١٣) البيان ج ١ ص ٧ . (١٤) البيان ج ١ ص ١ .  
(١٥) التقيق : ذكر النعام ، الدو : الغلاة . ويشير بشار في البيت الثاني الى طول منق وأصل بين عطاه

قال: «أما لهذا الأدي المحدث المنتصف المكتنى بأبي معاذ من يتنقل؟ أما واقفولوا أن الغلبة سجيبة من سجايا الغلبة لمشت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ويتنقله في جوف منزله وفي يوم حذله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا حثاي أو سدوسي»<sup>(١٧)</sup>، لقد تجنب واصل الرأه في كلامه وهو كثير الدوران في اللغة العربية، وهو حين لم يستطع أن يقول بشار، وابن برد، والمرث، جعل «المكتنى بأبي معاذ» بدلا من بشار وابن برد و«المنتصف» بدلا من «المرث» و«المحدث» بدلا من «الكافر»، وقال لولا أن الغلبة سجيبة من سجايا الغلبة» ولم يذكر المنصورة ولا الغيبة<sup>(١٨)</sup> لكان الرأه، ونال: «لمشت إليه من يبعج بطنه ولم يأل: لأرباب اليه من يقر بطنه» وقال: «على مضجعه» ولم يقل: «على فراشه» أو «سريسه» وكان إذا أراد أن يقول «البر» قال: القبح أو الحطة، والحطة كرفية والقدح لغة شامية، هذا وهو يعلم أن لغة من قال «بشر» أقبح من لغة من قال: قبح أو حطة. ولقد فرته على اجتناب الرأه قال الشاعر:

ويجد البسر قبحاً نفسي تصرفه وجائب الرأه حتى احتال لشعر  
ولم يطبق مطراً والتول يشجيه فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر

وقال قطرب النحوي فيما نقله الجاحظ عنه: «سألت عثمان البري: كيف كان واصل يصنع في المسند؟ وكيف كان يصنع بمشرة وعشرين وأربعين؟ وكيف كان يصنع بالتمر والبدر ويرم الأرباء وشعر رمضان؟ وكيف كان يصنع بالحرم وسفر وريبع الآخر وجمادى الآخرة ورجب؟ فقال: ما لي فيما يقول إلا ما قال صفوان:

مكتنن مكتنن فيسا يحاوله جثم خواطره جواب آفاق<sup>(١٩)</sup>

(١٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٦٠.

(١٨) المنصورة والغيبة: من الفرق التالية. (١٩) البيان ج ١ ص ٢٢٠.

ذكر الجاحظ ذلك كله ليؤكد أهمية النضاجة وأثرها في الحديث : ولكي يجلوها خاض في مسائل كثيرة كالاصوات والالسان واللسان وعيوبه والني والحصر واللين واقتران الحروف وتناثر الاقلاط وغرابتها وجالها وتوعها وتطورها . ولكنه على طريقته في البحث والتأليف ثر هذه المسائل فسي كتبه ثراً ، وجسّع\* الأشباه والنظائر ، وضَمَّ\* بعضها الى بعض يعطي صورة عن جهوده في النضاجة .

#### الاصوات :

الاصوات ظاهرة طبيعية تنشأ عن احتراز الاجسام ، والصوت الانساني ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة التي تضم\* الوترين الصوتيين ، واحتزازات هذين الوترين تطلق من الفم او الالف وتنتقل خلال الهواء الخارجي . واعضاء التلح هي القصبة الهوائية والحنجرة والحنك واللسان والحنك والفرارغ الاعلى والشفثان ، ولكل عضو وظيفة خاصة في اخراج الصوت وتعديد مخارج الحروف . وقد تحدث الجاحظ عن الصوت وهو « آلة الغظ والجوهر الذي يقوم به التناطع وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزونة ولا متشوّراً إلاّ بظهور الصوت ولا تكوّن الحروف كلاماً إلاّ بالتطيع والتأليف »<sup>(١٩)</sup> . وللصوت تأثير عجيب في النفوس « فحسن ذلك ان منه ما يقتل كصوت الصاعقة . ومنها ما يصر\* النفوس حتى يفرط عليها السرور فتتاق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من خالق ، وذلك مثل هذه الاغاني الملهية . ومن ذلك ما يكبد ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يقش على صاحبه كبحر هذه الاصوات الشجية والفرارات الملهنة . وليس يمتريهم ذلك من قبل الممانسي ؛ لانهم في كثير من ذلك لا يفهمون كلامهم ، وقد بكى ماسرجويه<sup>(٢٠)</sup> من قراءة أبي الخوخ فليل له : كيف بكيت من كتاب الله

(١٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٩ .

(٢٠) ماسرجويه : يهودي من اطباء البصرة واحد المترجمين من السريانية .

ولا تصطن به ؟ قال : إنما أبكاني النجا . وبالأصوات يؤمّنون النبيان  
والأطفال » (٢٣) .

وللمرية أثر في اخسراج الحروف وإن كان الأصمعي غير قادر على نطق  
جميع الحروف العربية إلا بعد النصب ، وظهر ذلك منه من غير تأمل طولي أو  
ملاحظة دقيقة فقد « يتكلم المصلاقي (٢٤) » الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية  
المعروفة ويكون للسنة متحيزاً فآخرها ومعناه شربها ، ويعلم مع ذلك السامع  
لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه  
الصفة فالتعلم مع إعرابه وتأثير النطش في مخرج كلامه أنه خراساني ،  
وكذلك إن كان من كتاب الأحواز . ومع هذا اتا نجد الحاكية من الناس يحكي  
الناط سكان الين مع مخارج كلامهم لا يفاد من ذلك شيئاً ، وكذلك تتكون  
حكايته للخراساني والأحوازي والزنجي والسندي والأبجاشي وغير ذلك . نعم  
حتى تجده كأنه أشبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الفقاء فكأنما قد جمعت كل  
مرغة في كل فائء في الأرض في لسان واحد ، وتجده يحكي الأعشى بصورة  
يشبها لوجهه وعيابه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعشى واحداً يجمع ذلك  
كله فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعشى واحد » (٢٥) وكان  
بعضهم يقلد أصوات الحيوانات ويؤري عابها في التقليد . ومن طريقه مذكروا  
الجاحظ أن أبا دثيرة الزنجي مولى آل زياد كان « يقف بباب الكرخ بحضرة  
الكارين فينبق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب يهر إلا نبق ،  
وقبل ذلك تسمع نبق الحمار على الحقيقة فلا تتبع لذلك ولا تحرك منها  
متحرك حتى كان أبو دثيرة يحركه . وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع  
نبق الحمار فجعلها في نبق واحد ، وكذلك كان في نباح الكلاب » (٢٦) .

(٢١) الحيوان ج ٤ ص ١٩٢ .

(٢٢) يقال استغلق عليه الكلام : إذا ارتج عليه قام يحد وجهه للتكلم .

(٢٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

(٢٤) البيان ج ١ ص ٦٦ - ٧٠ .

وقد يصعب تغيير النطق إذا تمكن في الألسنة ، واتبه الجاحظ الى ذلك فقال : « الا ترى ان السندي إذا جاب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هسوازن خسين عاماً . وكذلك التبطي النخ وهو خلاف المقلق الذي نشأ في بلاد النبط ، وإن التبطي التلح يجعل الزاي سيناً فإذا أراد أن يقول : « زورق » قال سوزق ، ويجعل العين هزة فإذا أراد أن يقول : « مشمعل » قال : مشئل والنخاس يتجن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : « ناعمة » وتقول : « شمس » ثلاث مسرات متراليات »<sup>(٢٥)</sup> . وربط بين كثرة مخارج الحروف وكثرة ما يحتاج اليه الانسان أو الخروان من أصوات تعبر عن حاجاته قال : « ونزعم الهند أن سبب ما له كثر كلام الناس واختلقت صور ألقاظهم ومخارج كلامهم ومقادير أصواتهم في اللين والشددة وفي الله والتفتع ، كثرة حاجاتهم ، وكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريح ألقاظهم وانتسعت على قدر اتساع معرفتهم »<sup>(٢٦)</sup> ، ولذلك كانت أصوات الحيوانات وصورها قليلة ، فالسائير لا تعدو حوائجها خمسة أوجه : « منها صياحها إذا شربت ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أخوانها وألقاها ولذلك صورة ، وصياحها إذا دعت أولادها للمطعم ولذلك صورة ، وصياحها إذا جاعت ولذلك صورة ، قلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت وجوه مخارج الأصوات ، وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها »<sup>(٢٧)</sup> . وربط بين صعوبة اللغة وأصواتها وقال : « واللغات إنما تتعدد وتفسر على المتكلم بناء على قدر جهته بما كانها التي وضعت فيها وعلى كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتعقدها في أعضائها ، كثرق ما بين الزنجي والخوزي فإن الرجل

(٢٥) البيان ج ١ ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦) الحيوان ج ٤ ص ٢١ - ٢٢ .

(٢٧) الحيوان ج ٤ ص ٢٢ . ويلاحظ ان الجاحظ سماه عن ذكر الصورة الخامسة .

يتنخس في بيع الزنج وإيتاعهم شيراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ، ويباع  
الخوز ويباورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل » (٢٨) .

وتكلم الجاحظ على بعض أعضاء التلحق كالأسنان واللسان وذكر بعض  
ما يتصل بها وتأثيرها في إخراج الحروف .

الأسنان :

وهي أحد أقسام البدن في أعضاء النطق أو الجهاز العضلي وقدراتها  
في إخراج الحروف ، وقد قال سهل بن هارون : « لو عرف الزنجي قرط حاجته  
إلى ثنائه » (٢٩) في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما أزع ثنائه » (٣٠) . وكان  
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قال من قبل في سبيل بن عمرو الخطيب :  
« يا رسول الله أزع ثنيته السباين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيئا  
أبداً » (٣١) ، ولذلك لم يتكلم معاوية بن أبي سفيان على منبر جماعة منذ سقطت  
ثنائه .

وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهمم (٣٢)  
من الماء والسين إذا كانا في وسط الكلمة . ولا تخرج الفاء إلا من الشدق  
اليمين إلا أن يكون المتكلم أعسر يسراً مثل عمر بن الخطاب -  
رضي الله عنه - فإنه كان يخرج الفاء من أي شذقيه شاء ، فأما الأيسر  
والأعسر والأضبط (٣٣) فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد (٣٤) . وقيل  
إن سقط جميع الأسنان أصاح في الإتيان عن الحروف منه أفا سقط أكثرها

(٢٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٢٩) الثنأيا : أسنان مقدم الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل .

(٣٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٣١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨ .

(٣٢) الأهمم : هو الذي انكسرت ثنائه من أصولها .

(٣٣) الأضبط : الأعسر اليسر الذي يعمل بكنتا يديه .

(٣٤) ينظر البيان ج ١ ص ٦٢ .

وخالف أحد شطريها الشطر الآخر ، قال الجاحظ : « وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم وبعد أن بقي منها الثالث أو الربع . ومن سقطت جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً الوليد ابن هشام القحطاني ، وصاحب الأخبار ، ومتميم أبو سفيان بن العلاء بن ليبد النخعي وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن أبي غسان يصرف لسانه كيف شاء ، وكان الالطاح «أبي القيس»<sup>(٣٥)</sup> قد برد أسنانه حتى لا يرى أحد منها شيئاً إلا «إن» متتابع في لحم اللثة أو في أصول منابت الأسنان . وكان سفيان بن الأبرد الكلابي كثيراً ما يجمع بين الحار والبار فتساقطت أسنانه جميع ، وكان فسي ذلك خظياً يئس . وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه معارز الأسنان تشمير وقصر سنك<sup>(٣٦)</sup> ، ذهبت الحروف وقصد البيان . وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ولم يرس في هواه واسع اللجل ، وكان لسانه يلا جوبة فيه ، وإذا كان كذلك ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المنقصر والجزء والمحتل<sup>(٣٧)</sup> .

#### اللسان :

اللسان عضو مهم في حماية الفم لروته وكثرة حركته في الفم عند الكلام . وقد تحدث الجاحظ عنه وذكر صاته الوثيقة بالطق وقال إن من سقط جميع أسنانه كان عظم اللسان ناعماً له ، ونزل عن أرسطو « أن كل مائل عريض اللسان فالانفصاح بحروف الكلام منه أوجد »<sup>(٣٨)</sup> . وقال : « يؤكد ذلك قول صاحب المنطق أنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والمجربة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أنقص وأبهر وأحكي<sup>(٣٩)</sup> » . لا إذن ولما يسمع كبحر البيفاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك<sup>(٤٠)</sup> .

(٣٥) القيسي : الشمس الجاف ، ولا يزال هذا مستعملاً في العراق .  
(٣٦) التشمير : التقاطع . السمك - بالفتح ومكون الميم - : الارتفاع .  
(٣٧) البيان ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .  
(٣٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٨ .  
(٣٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٢ .

ويحتاج اللسان الى التدرب فاذا « تسرك الانسان القول فلتت خواطره وتبادت نفسه وفسد حسه » وكانوا يروون مياهم الأرجاز ويعلمونهم المناقالات وأمروهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب ؛ لأن ذلك يخلق الالة ويشجع الجريم<sup>(١٠)</sup> . واللسان إذا كثرت تقاييه رقى "ولأن" ، وإذا أقلت تقاييه وأملت إسهانه جأ وغاظ<sup>(١١)</sup> . وكانوا يستدعون رحابة الشديق وقد قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : « نؤور العينين ، واشراف الحاجبين ، ورحب الشديق »<sup>(١٢)</sup> . وكانوا يذمون المتشفق الذي يري شدته للتفصح . ولكن الجاحظ رأى أن « صاحب التشديق والتقصير والتعيب<sup>(١٣)</sup> من الغلباء والبلقاء مع سباجة التكلف وشنعة التزبد أعذر من عبي يتكلف الخطابة ومن حصر يضرض لأهل الاعتياد والدربة . ومدار اللامسة ومستقر المفسدة حيث رأيت بلاغة بغالطها التكلف وبيانا بمازجه التزبد . إلا أن تعاطي الحصر المتقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الغليب ومن تضادق الأعرابي الناح . واتحال المرووف ببعض الغزارة في المعاني والالفاظ وفي التعبير والأرتجال انه البحر الذي لا ينزع والفر الذي لا يسير أيسر من اتحال الحصر المنخوب في مسلاخ<sup>(١٤)</sup> الشام الوافر والجامع المحكك وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال : « إياي والتشادق » . وقال : « أبشركم الي الترسلارون المتيقنون » . وقال : « من بداجنا » . وعاب النذاكدين<sup>(١٥)</sup> والمتزبدن في جسارة الصوت واتحال سعة الاشدناق ورحب الغلاصم وهذل النفاة ، وأعلمنا أن ذلك في أهل الور أكثر وفي أهل المدر أقل<sup>(١٦)</sup> .

(١٠) الجرم - بكسر الجيم - : الحلق .

(١١) البيان ج ١ ص ٢٧٢ .

(١٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

(١٣) التقصير : أن يتكلم بأقصى قمر فمه . التعقيب في الكلام كاللتقصير فيه

(١٤) المنخوب : الجبان . المسلاخ : الجلد .

(١٥) النذاد : الجاني الصوت والكلام .

(١٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .



ومن الخلباء من كان أشقى أقاليم<sup>(١٧)</sup> كزبد بسن جنذب ، « وأولاً ذلك  
لكأن أخطب العرب قاطبة »<sup>(١٨)</sup> . ومنهم من كان أروكن ومن كان أضجمن ،  
ومن كان أنقم<sup>(١٩)</sup> .

عيوب اللسان :

لا بد للصحيح من أن يكون سليم النطق أي يكون لسانه خالياً من  
العيوب التي تعوقه عن اخراج الحروف بصورتها الصحيحة . وقد تكلم  
الجاحظ على بعضها ومنها :

١ - اللثغة : وهي التي تمرر الصبيان السى أن يشأوا ، وهي خلاف  
ما يعتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من  
النعجم ومن يشأ من العرب مع العجم<sup>(٢٠)</sup> والحروف التي تدخلها اللثغة أربعة  
هي : اللثاق والسين واللام والراء ، قال الجاحظ : « فأما التي على الشين  
المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ، لأنه ليس من الحروف المعروفة وإنما  
هو مخرج من المخارج ، والمخارج لا تعصى ولا يوقف عليها . وكذلك الفعل  
في حروف كثيرة من حروف لقات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في  
لغة الخوز ، وفي سواحل البحر من أسياف فارس فاس كثير كلامهم يشبه  
الصغير . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي  
تظهر من فم الجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ قسي باب الكناية وهو  
على الطمام ؟ فاللثغة التي تعرض للسين تكون ناه كقولهم لا يبي يكسوم<sup>(٢١)</sup>  
« أبي يكسوم » وكما يتولون : « يثرة » إذا أرادوا : « بثرة » و « بسم الله »  
إذا أرادوا : « بسم الله » .

(١٧) اللثغا : اختلاف نبرة الأستان . القلق : شق في اللثغة العليا .

(١٨) البيان ج ١ ص ٥٥ .

(١٩) الروق : طول في التناوب العليا على السفلى . الضجمن : اعوجاج في الفم  
والنغم مثله .

(٢٠) البيان ج ١ ص ٧١ .

(٢١) كناية ابرهة الملك الحبشي صاحب الغيل .

واللغة الثانية التي تعرض للقصاف فإن صاحبها يجعل القاف طاءً فإنما أراد أن يقول : « قلت له » قال : « قلت له » وإذا أراد أن يقول : « قل لي » قال : « قل لي » .

وأما اللغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياءً فيقول بدل قوله : « اعتلت » : « اعتيت » وبدل : « جسل » : « جسي » . وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر أخيه هلال فانه كان إذا أراد أن يقول : « ما العلة في هذا ؟ » قال : « مكنت في هذا ؟ » .

وأما اللغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لغة اللام ؛ لأن الذي يمرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسي » فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عسح » فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول : « عمرو » قال : « عشد » فيجعل الراء قافاً . وإذا أشد قول الشاعر :

واستبدعت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد  
قال :

واستبدعت مئة واحدة إنما العاجز من لا يستبد  
فمن هؤلاء علي بن الجعيد بن فريدي . ومنهم من يجعل الراء غيناً معجمة فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال :

واستبدعت مئة واحدة إنما العاجز من لا يستبد  
كما أن الذي لغته بالياء إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة » يقول : « واستبدت مئة واحدة » .

وأما اللغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ولإسماعيل بن يزيد المدودي الشاعر فليس إلى تصويرها سبيل ، وكذلك اللغة التي تعرض في

السين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط تسمى بالعين والنسا يصورها اللسان وتنادى بالسع»<sup>(٥٢)</sup> . ولكنهم قالوا إن اللثة التي تكون بالعين أقلها قبها وأوجدها في كبار الناس والغالظ وأشرافهم وعلمائهم<sup>(٥٣)</sup> . وقد تجتمع في اللسان لثتان في حرفين كأن يجمل اللام ياء والسراء ياء كلثة شوشى صاحب عبادقه بن خالد الأموي فإنه قال مسرة : « مولاي ويى آيتي » يريد : « مولاي ولي السري »<sup>(٥٤)</sup> . واللثة التي في السراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعين لذى المروءة ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال ، فأما التي على العين فهي أيسرهن ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه واحد لسانه وتكلف مطرج الرء على حقها والاتصاح بها لم يك بعيداً من أن تحبب الطبيعة وإثر فيها ذلك التمهيد أثرأ حسناً . وقد كانت لثة محمد بن شبيب المتكلم بالعين وكان إذا شاء أن يقول « عمرو » و « لمري » وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثلي التكلف والتعثر لذلك ، وقد قال الجاحظ له : « إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتعب شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم »<sup>(٥٥)</sup> . وكانوا يقولون إن أحسن اللث ما كان على السين وهو أن تصير ثاءً ، وكانوا يقولون أيضاً : أحسنها على الرء وهو أن تصير غيناً<sup>(٥٦)</sup> . وكانوا يستلحون اللثاء إذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فإذا أسنت وانتهلت تغير ذلك الاستلاح<sup>(٥٧)</sup> . وكانوا

(٥٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ - ٢٦ .

(٥٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥ ، ٢٧ .

(٥٤) البيان ج ١ ص ٣٦ .

(٥٥) البيان ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٥٦) البيان ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٥٧) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

يخافون من الوراثة في التلغ ولذلك يقال ان أبا رمادة ملق امرأته حين وجدها  
تلغاً خشية أن تجيئه يولد التلغ وقال :

تلغاه ثاني بحسبهم التلغ نيس\* في الموشى والمصبغ<sup>(٥٨)</sup>  
٢- التمتع : وهو التردد في الكلام فساداً تمتع اللسان في القاء فهو  
فافاه ، وقد قيل في مدح الطاق اللسان :

ليس بفافاه ولا تسامر ولا كثير الهجثر في الكلام  
وقيل : إنَّ التمام غير المتعرب عن معناه ولا المصحح بحاجته<sup>(٥٩)</sup> ، وإذا  
أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو آف ، وقيل : بلسانه لتت ،  
قال الناصر :

كان\* فيه لتاً إذا تعلق\* من طول تحيسر وهم\* وأرق\*  
قال الجاحظ : « كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلله ولمال عليه  
ذلك أصابه لتف\* في لسانه » ، وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة بعد  
التمثيل يقال له : « الصوت » لانه لما طال صوته ثقل عليه الكلام فكان  
لسانه ياتوي ولا يكاد يبين \* والخبرني محمد بن الجهم ان مثل ذلك اعتراه  
ايام محاربة الزط من طول التفكير ولزوم الصمت<sup>(٦٠)</sup> \* وقد يكون في كلام  
بعضهم عجلة فلا يستطيع السامع أن يفهم منه إلا بعد النصب والانتباه  
الشديدين \* .

٣- الحبسة : وهي أن ينال الكلام في اللسان ، ولكنه لا يبلغ حد\*  
القائه والتمام \* .

٤- العقلة : هي أن ينحبس اللسان عن الكلام \* .

(٥٨) البيان ج ١ ص ٥٧ ، الحيفس : - يوزن هز - الولد القصير الصغير .

(٥٩) البيان ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٦٠) البيان والبيان ج ١ ص ٢٨ .

٥ - اللفظة : وهي العجة في اللسان ، أو أن تعرض في الكلام اللفظة الأجنبية ، قال الجاحظ : « ويقال في لسانه لفظة إذا أدخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول » (٦١) . وقد يكون المتكلم غير قادر على تعلق بعض الحروف ، ومن ذلك زياد الأصم الذي كان فصيح الشعر غير أنه لا يطق الطاء فإذا طلق « السلطان » قال : « السلطان » . ومنهم صحيح عدي بنى العساس الذي كان يقلب الشين سينا فإذا طلق : « ما شعرت » قال « ما سمعت » . ومنهم أم ولد لجريس بن الخطمي الشاعر وكانت تقلب البذال دالاً في كلمة « الجرذان » . ومنهم عبيد الله بن زياد الذي نشأ في الأساورة عند شيوخه الأسواري زوج أمه مرجانة ، فإنه كان يقلب الحاء هاء فيقول في : « أخروني ؟ » : « أخروني ؟ » . وكان شعيب بن سنان يطق العربية بالكنة رومية فيقول في « حائس » : « هائس » . ومنهم أبو مسلم الخراساني الذي كان يقلب القاف كافاً فيقول في « قت » : « كلت » .

وذكر الجاحظ موضعاً آخر من اللفظة يتصل بصيغة الفعل أو بناء الكلمة لا يتعلق بالحروف ، فقد قيل لنبطي : لم اتمت هذه الأمان ؟ قال : « أركبها وتقدم لي نجاه بالمعنى يمينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال : « وتقدم لي » ولم يقل : « تأيد لي » (٦٢) .

٦ - العكلة : وهي نقصان آلة المطلق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معاية إلا بالاستدلال (٦٣) . قال الجاحظ وهو يتحدث عن العجة : « يقال في لسانه عجة إذا كان في لسانه نحل يمنعه من البيان ، فإذا كان النحل الذي في لسانه من قبل العجة قيل في لسانه عككة ، والعككة من الحيوان كنه ما

(٦١) البيان ج ١ ص ٢٦ .

(٦٢) ينظر البيان والتبيين ج ١ ص ٧١ ، ج ٢ ص ٢١٢ ، الحيوان ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٦٣) البيان ج ١ ص ٤٠ .

لم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره ومكابه ما يخذوه  
أو عند هياجه إذا أراد السفاد ، أو عند وعيد لقتال ، وغير ذلك من أمره «<sup>(٢١٧)</sup>» .

### العسي :

وكانوا يذمون العسي ، وهو العجز عن الأمر وإحكامه أو عن الحجّة ،  
وقد بدأ الجاحظ كتاب « البيان والتبيين » بقوله : « العسي نموذج لك من فتنة  
القول كما نموذج لك من فتنة العدل ، ونموذج لك من التكلف لما لافحس كما  
نموذج لك من المحب بما تحسن » ونموذج لك من السلاطة والهدر كما نموذج لك  
من العي والحصر وقدنيا ما نموذجوا باقة من شرها وتضرعوا إلى الله في السلامة  
منها «<sup>(٢١٨)</sup>» . ونقل بعض الأقوال من ذلك قولهم : « البيان بصر والعي عسى  
كأن العليم بصر والجبل عسى ، والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج  
الجبل »<sup>(٢١٩)</sup> . وقول النمر بن تولب :

أعذني ربّ من حصر وعسي ومن تقس أعالجها عرجا

وقول الآخر :

وما بي من عي ولا شليق الخنا إذا جبع الأقوام في الخطب محتئل\*  
وكانوا يقولون : « عسي أبس من شلسل » كأن العسي فوق كل  
زمانه «<sup>(٢٢٠)</sup>» . وفي الباب الذي عنده الجاحظ للعسي «<sup>(٢٢١)</sup>» أمثلة كثيرة تدل على  
استعجاب القدماء له وتقديرهم منه .

### الحصر :

وكان يذمون الحصر وهو « ضرب من العي » حصر الرجل حصراً مثل  
ثعب ثعباً فهو حصير عيسى في منطقته . وقيل : حصر لم يقدر على

(٢١٧) الحيوان ج ٢ ص ٢١ .

(٢١٨) البيان ج ١ ص ٢ .

(٢١٩) البيان ج ١ ص ٢١٨ .

(٢٢٠) البيان ج ١ ص ٧٧ .

(٢٢١) ينظر البيان ج ٢ ص ٢٢٢ .

الكلام»<sup>(٦٩)</sup> . وقال الجاحظ : «والناس لا يتعبون الخرس ولا يارمون من استولى على بياض العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنبون العمي فإني تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعلمنا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب . ومماناة العمي الحصر للبالغ المصنوع في سبيل مماناة المنتطح المحجم للشاعر اللائق وأحدهما ألوم من صاحبه ، والألسنة إليه أسرع . وليس العلاج والانتقام والألتغ واللفاء وذو العيشة والحكمة والرياسة»<sup>(٧٠)</sup> وذو اللقب والمجلة في سبيل الحصر في خطبه والعمي في مناقلة خصومه كما أن سبيل المحجم عند الشعراء والبكسي عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والغلل المكثار»<sup>(٧١)</sup> .

#### اللعن :

وكانوا يستبحرون اللعن ؛ لأنه من صوب الكلام ، وقالوا : «اللعن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه»<sup>(٧٢)</sup> . وكان أول لعن سمع بالبادية «هذه عصائني» وأول لعن سمع في العراق : «حي» على الفلاح»<sup>(٧٣)</sup> . وأقبح اللعن لعن أصحاب التعمير والتعيب والتشديق والتسليط والجهورة والتنظيم ، وأقبح من ذلك لعن الأعراب التازلين على طرق السابابة وبقر مجامع الأسواق . وقد رأى الجاحظ أن تذكر النوادر والطرف كما قيلت ولا يصالح ما فيها من لعن ، قال «ومنى سمعت - حفظك الله - بتاديرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا» مع إعرابها ومغارج أئناولها ، فإني إن غيرتها بأن لعن في إعرابها وأخرجتها مغارج كلام المولدين والبنديين خرجت من تلك الحكاية وإليك فضل كبير . وكذلك إذا سمعت بتاديرة من لسواد

(٦٩) لسان العرب ( حصر ) .

(٧٠) الرثة : مجلة في الكلام وقلة أناة ، وفيل هي المجلة في الكلام ، والحكمة :

شبه الصيغة في الكلام .

(٧١) البيان ج ١ ص ١٢ .

(٧٢) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧٣) البيان ج ٢ ص ٢١٩ .

العوام وملحة من مائع العشوة والظغام فأياك أن تستعمل فيها الاعراب أو تخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سهياً ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له وذهب استقلالاً باسم أياها واستلاحهم لها <sup>(٧٤)</sup> . وقال : « إن الأعراب يفسد نواذر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب » <sup>(٧٥)</sup> . وقال في كتابه « البخل » : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جنته فاعلموا إنما إنما تركنا ذلك لأن الأعراب ينفذ هذا الباب ويخرجه من حده إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعالي البخله وأشده المشاء كسبل بن هارون وأشباهه » <sup>(٧٦)</sup> وقال عن الجوراري : « والحن من الجوراري الطراف ومن الكواعب النواعد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخذور الغرائر أيسر ، وربما استلح الرجل ذلك منين مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان الحن على سجة سكان البلد » <sup>(٧٧)</sup> . وفي باب اللحن <sup>(٧٨)</sup> كثير من الأخبار والطرائف وهي تدل على استهجان القدماء لهذا العيب الذي يقع فيه المتحدثون والخطباء . وفي باب المخاتين والبلغاء <sup>(٧٩)</sup> أسماء بعض الذين كانوا يتعوفون في هذا العيب على الرغم مما عرفوا به من بلاغة وانتشار على الكلام .

تلك هي المسائل التي تحدث عنها الجاحظ في باب فصاحة الكلام ، وتلك هي العيوب التي مرض لها . وقد يكون بعضها طبعياً لا بدّ للشكلم فيها ، وقد يكون بعضها بسبب نقص التمرين والعناية بالكلام ، ولذلك كان العرب يرسلون أولادهم إلى البادية أو ينحفون لهم مؤدبين يدرّبونهم على الفصاحة واللفظ السليم ، ويعلمونهم البيان وفي القول ، لأن التمرين سبيل إلى إتقان

- (٧٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ . (٧٥) الحروان ج ١ ص ٢٨٢ .  
 (٧٦) البخله ص ٤ .  
 (٧٧) البيان ج ١ ص ١٤٦ .  
 (٧٨) البيان ج ٢ ص ٢١ .  
 (٧٩) البيان ج ٢ ص ٢٢٠ .



الكلام وسلامة النطق وقصاحة اللسان . وقد قال الجاحظ : « ويسد الانسان لا يكون ابداً إلا خرقاء ولا تصير صناء ما لم تكن المعرفة ثقافاً لها ، واللسان لا يكون ابراً ذاهباً في طريق البيان متصرفاً في الالتفات الا بعد ان تكون المعرفة متخللة به منقطة له واضحة في مواضع حقايقه وعلى اماكن حظوظه . وهو علة له في الأماكن الميقة ومصرفة له في المواضع المختلفة » (٨٠) . فذلكم صناعة من صفات المتكلم كما هي من صفات الكلام ، وقد كانت مهمة في القديم حينما كان العربي يعتمد على فصاحته في الغناء الخطب واتساع الشعر ومقارعة الخصوم ، والجاحظ حين بحث هذه المسألة كانت أمامه الخطابة والمناظرات التي كانت تقوم بين المتكلمين وخصومهم أو بينهم وبين الطاعين في كتاب الله العزيز . وقد كانت جسارة الصوت وسلامة اللسان من العيوب ذات أهمية كبيرة لأنها تؤثر تأثيراً عظيماً على المستمعين . ولم يلق الأمر عند هذه المسائل بل كان الضليط يعتمد على هيئته وزيه وإشاراته وتمثله للمعاني بآراء حسنة ومقالمع كلامه ، وقد قال أبو داود بن حريز وقد جرى شيء من ذكر الخطب : « تلخيص المعاني رقيق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشاقق من غير أهل البداية بغض ، والنظر في عيوب الناس عسي » ، ومن الأهمية هناك « . وقال : رأس الخطابة الطبع ، وجودها الدربة ، وجناحها روية الكلام ، وحاية الأعراب وبهاؤها تنير الالتفات ، والمجبة مقرونة بقلّة الاستكراه » (٨١) وقال الجاحظ : « إن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياسة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهازة النطق وتكديب الحروف وإقامة الوزن ، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجة إلى الجزالة والقصاحة ، وإن ذلك من أكثر ما تستشال به القلوب وتشتى به الأعناق وتزين به المعاني » (٨٢) .

(٨٠) الحيوان ج ١ ص ١١٦ .

(٨١) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٤ .

(٨٢) البيان ج ١ ص ١٤ .

### فصاحة الكلام :

أما فصاحة الكلام فهي « خلوصه من ضعف التأليف وتناثر الكلمات والتعقيد »<sup>(٨٢)</sup> . وقد تحدث الجاحظ عن ذلك حديث العارف المطلع والأديب المقدر وكان لنزعة الأديبية وتناقضه الواسعة أكبر الأثر في معالجة هذا الموضوع . ولا تنحصر فصاحة الكلام في مسألة واحدة وإنما تشمل كثيراً من المسائل المتصلة بالحروف والألفاظ والكلام ، وقد أولى الجاحظ هذه المسائل عناية كبيرة وتحدث عنها حديث الخبير .

### الحروف :

تحدث الجاحظ عن الحروف وذكر ما يشيع منها في بعض اللغات ، قال : « ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرانيمة للعين وقال الأسمعي : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسرياني قال<sup>(٨٣)</sup> » . وقال إن أكثر الحروف دورانا في اللغة العربية الراء والياء واللام والألف ، ولذلك كانوا يمجّبون من واصل بن عطاء لتجنبه الراء في كلامه . وأشد أبو محمد اليزيدي :

وخلة التثقل في الياءات إن "ذكيرت" كخلة اللظ في اللامسات والألف  
وخصلة الراء فيها غير خافية فأعرف مواضعها في القول والصحف

قال الجاحظ : « يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها والحاجة إليها أشد واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فإليك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد »<sup>(٨٤)</sup> . وذكر أن الميم والباء أول ما يهين

(٨٢) الإيضاح ص ٤١

(٨٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٨٤) البيان ج ١ ص ٢٢ .

في أسماء الالمقال كقولهم « ماما » و « بابا » لانهما خارجان من عمل اللسان ،  
وانما يظهران بالتقاء الشفتين (٨٦) .

وتحدث عن اقتران الحروف ، وهو ما يتصل بوضاحة اللفظة المفردة وقال :  
« فاما في اقتران الحروف فان الجيم لا تقارن الطاء ولا الفاء ولا الضاد ولا الميم  
العين بتقديم ولا بتأخير ، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الميم  
بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير وقد يشكك في ذكر القليل حتى يستدل به  
على الغاية التي اليها يجري » (٨٧) . وهذه القائمة ذكية ؛ لان اللغة العربية ذوقاً  
خاصاً في اقتران الحروف ، ولذلك لا نجد ما أشار اليه الجاحظ إلا في الالفاظ  
المخيلة . وهذه القائمة يستطيع الباحث أن يعرف أصيل النطق العربي  
من دخله .

#### الالفاظ :

تتكون اللفظة من حروف ، وللنظرة المفردة موقع في الجملة فاذا وضعت  
وضعا حسنا كانت جميلة موحية واذا وقعت في غير موقعها ثبتت\* وانكرتها  
الأذواق وقد تكلم الجاحظ على تناثر الالفاظ وقال : « ومن الالفاظ العرب  
الفاظ تتناثر وان كانت مجسومة في بيت شعر لم يستطيع المثنى تشادها إلا\*  
بعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قصر      وليس قير حرب قبر قير\*  
ولما رأى من لاعم له أن أحداً لا يستطيع أن يشدها هذا البيت ثلاث

مرات في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجج وقبل لهم إن ذلك انما اعتراء إذ  
كان من أشعار الجن صدقوا ذلك . ومن ذلك قول ابن سبير :

لم يضرها والحمد لله شيء\*      واشتت\* نحو عزف تنس ذهول

(٨٦) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٨٧) البيان ج ١ ص ٦٩ .

فتشقه النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه شيراً  
من بعض «(٨٨)». ولذلك ينبغي أن تكون الالفاظ متشابة متلازمة لكي لا يقع  
بينها التناقض فتصبح كأولاد عائلة «(٨٩)»، قال الجاحظ: «وأشعدي أبو العاصي  
قال أشعدي خلف الأحمر في هذا المعنى:

وبعض قريض القوم أولاد علة يكده لسان الناطق المحتفظ

وقال أبو العاصي: «وأشعدي في ذلك أبو اليباء:

وشعر كبير الكبش فترعى بينه لسان دمي" فسي القريض دخیل

فانه يقول: إذا كان الشعر مستكراً، وكانت الالفاظ البيت من الشعر لا يقع  
بعضها معاً لئلا يقع بينها من التناقض ما بين أولاد العائلات. وإذا كانت  
الكلمة ليس موقفاً إلى جنب أخوها مرضياً موافقاً، كان على اللسان عند إنشاء  
ذلك الشعر مؤونة قال: وأجود الشعر ما رأيت متلاحماً الأجزاء، سهل المغارج،  
فتعلم بذلك انه قد أفرغ أفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان  
كما يجري الدمان. وأما قوله: «كبير الكبش» فانه ذهب إلى أن يمر الكبش  
يقع متفرقا غير مؤلف ولا متجاور، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من  
الشعر تراها متفقة ملساً ولينة المعاليف سواة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة  
مستكرهة تنشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة وورلية مواتية  
سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى  
كأن الكلمة بأسرها حرف واحد «(٩٠)».

(٨٨) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ - ٦٦، وينظر الحيوان ج ٦ ص ٢٠٧.

(٨٩) أولاد علة: بنو رجل واحد من أمهات شتى.

(٩٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦.

ومن أمثلة الكلام الذي لا تباين ألفاظه ولا تتأخر أجزاؤه قول  
الأجرد الشقي :

من " كان ذا عظم يدرك " علامته      إن " الذليل الذي ليست له عظمة "  
تبسو سدها إذا ما فسل " ناصير "      وبأضه الضيم إن أنسى له عكسه  
وقول أبي حنيفة النيربي :

رميتي وسيرت " الله بيني وبينها      عشية آرام الكناس رميم "  
رميم " التي قالت لجارات بينها      ضمنت لكم أن " لا يزال جيم "  
الأرب " يوم لورمتي رميتا      ولكن " عهدي بالفضال قديم "

#### الغريبة :

قال الجاحظ إن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عامياً وساقطاً سوفياً  
فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم يدوياً أعرابياً ،  
فإن الوحشي من الكلام يقومه الوحشي من الناس كما يفهم الوقفي رطانة  
السوفي<sup>(٩١)</sup> . فالصاحبة لا تتفق مع الغريب لأنه يقتضي عليها وتحيل الكلام  
الغائباً ويجعله بعيداً عن الفهم والادراك ، والمغربون هم مدخولون في عقولهم  
إذا كانوا من غير الأعراب ، فأبو علقمة النحوي مر " ببعض طرق البصرة وهاجت  
به مر " قوم فوئب عليه قوم نأقبوا يعضون إبهامه ويؤذنون في أذنه فأقلت منهم  
وقال : « ما لكم تنكأون علي » كما تنكأون على ذي جثة ، وأثر نعلوني<sup>(٩٢)</sup> .  
وقال الجاحظ بعد أن ذكر بعض الغريب : « فإن كانوا رويوا الكلام لأنه يدل  
على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وإن كانوا إنما دونه  
في الكتب وتذكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج وشعر  
الفرماح وأشعار خذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك<sup>(٩٣)</sup> . ولذلك

(٩١) البيان ج ١ ص ١٤٤ .

(٩٢) البيان ج ١ ص ٣٧٦ .

(٩٣) البيان ج ١ ص ٣٧٨ .

كانت الاستماعة بالغريب عجزاً ، وكانت دليلاً على أن المتكلم أو الكاتب لا يعرف أهمية الألفاظ وفصاحتها وإيجازها وصلة ما بينها وبين المعاني التي ينبغي أن تكون الألفاظ مطابقة لها ، أو هي كما نقل الجاحظ عن صحيفة بشر بن المتشر : « ومن أراخ معنى كريماً فليتنس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حطها أن تصونها عما يسدها ويحجبها وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتبس إظهارهما وترتب نفسك بملابسهما وفشاء حقهما » (٩٤) .

إن جمال الألفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ ، والفرابة تفقدها ذلك الحسن والجمال ، وقد نقل الجاحظ عن بعض الرائيين الراغبين في العلم ما تلمحه الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسب لفظاً حسناً وأغاره البليغ مخرجاً سهلاً ومنحه المتكلم دلاً متعشفاً صار في قلبك أحلى ولصدرك أملاً . والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة واكسبت الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها وأريت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت . فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معاني الجوارى ، والقلب ضعيف ، وساطان الهوى قوي ، ومدخل خدع الشيطان خفي » (٩٥) . فاللفظ الحسن عند الجاحظ هو ما لم يكن غريباً بل كان كريماً في نفسه ، قال : « ومشي كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متحيزاً من جنسه وكان سليماً من الفضول وريئاً من التعقيد حبيباً إلى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهنّت إليه الأسباع وارتاحت له القلوب وخفّ على السن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم ورياضة للمتعلم الرّشيق » (٩٦) . ولذلك تنبئ بعض الألفاظ ويستغلها الناس ؛ لأنها فصيحة جميلة أو لأنها توحى

(٩٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ .

(٩٥) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٩٦) البيان ج ٢ ص ٨ .

بقرتها وما يتصل بها من الالفاظ وما تعطيه من معاني ، قال الجاحظ : « وقد يستخف الناس الالفاظ ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز المظاهر . والناس لا يذكرون السب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر لماك لأنجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامية وأكثر الخاصة لا يصلون بين ذكر المطر وبين ذكر النيث . ولفظ القرآن الذي عليه قول الله إذا ذكر الأبصار لم يقبل الأسع . وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل : الأرضين إلا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السبع أسباعا ، والجاري على أنواء العامة<sup>(٩٧)</sup> غير ذلك ، لا يفتقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض الفراء أنه لم يجد ذكر لفظة النكاح في القرآن إلا في موضع التزوج . والعامية ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفها ، وتستعمل ما هو أقل استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر<sup>(٩٨)</sup> . ومعنى ذلك أن الالفاظ أيعاء خاصا حينما تأتي في الكلام أو حينما تفرق بغيرها ولذلك تشيع كلمات وتهمل غيرها أو تتجنب لما فيها من أيعاء غير جميل . وما يتصل بهذه المسألة ما ذكره الجاحظ من تنبيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى اجتناب إضافة المؤمن الظاهر إلى غلبة الخبيث والفساد بوجه من الوجوه ، فقد روي عنه - عليه السلام - أنه قال : « لا تقولوا أحداكم خبيث نفسي ولكن ليقول لنفسه نفسي<sup>(٩٩)</sup> » . وذكر الجاحظ في باب « ما يكره من الكلام »<sup>(١٠٠)</sup>

(٩٧) قال الجاحظ في البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٧ : « وإذا سمعتموني أذكر العوام فاني لست أعني الفلاحين والحدوة والصناع والبيعة ولست أعني أيضا الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأسم مثل البير والظليسان ومثل موقان وجبلان ومثل الزنج وأشياء الزنج ... وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولفتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عولها وأخلاقها فوق تلك الأسم ولم يلقوا منزلة الخاصة منها » .

(٩٨) البيان ج ١ ص ٢٠ . (٩٩) الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ .

(١٠٠) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

كثيراً من الالفاظ التي يكره استعمالها في غير مواضعها ، ومن ذلك قول القائل : « استأثر الله بفلان » والصحيح أن يقال : « مات فلان » . ويقال في « استأثر » : « استأثر الله بعلم الغيب ، واستأثر الله بكذا وكذا » . وكانوا يكرهون أن يقال : « قراءة عبادة » أو « قراءة سالم » أو « قراءة أبي » أو « قراءة زيد » ويكرهون أن يقال : « ستأبى بكر وعمر » . وكره ابن عمر - رضي الله عنهما - قول القائل : « أسلست في كذا وكذا » وقال : « ليس الاسلام إلا لله - عز وجل - » . وكره ابن عباس - رضي الله عنهما - قول القائل : « الناس قد انصرفوا » يريد من الصلاة ، قال : « بل قولوا : قد قضاوا الصلاة ، وقد قرعوا من الصلاة ، وقد صلوا ، لقوله : « ثم انصرفوا صرّف الله قلوبهم » (١٠١) .

وهذه الأمثلة التي ذكرها الجاحظ تبدل على أن للالفاظ ابعاء خاصة واستعمالاً تحدد اللغة وأساليب التعبير ، وإن لها سحراً يؤثر في التنوع كما تقدم من كلام بعض الربانيين من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ، وكما جاء عن عمر بن الخطاب حينما حبس الأحنف بن قيس حولاً تاماً وقال : « إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان خيراً منا كل منافق عليم ولخت أن تكون منهم » وذلك لما كان راعه من حسن منطته ومال إليه لما رأى من رفته وقلة تكلفه (١٠٢) . وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحراً » ، وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأنى لها بكلام وجيز ومنطق حسن : « هذا - والله - السحر الحلال » .

ومن مزيّف ما تحدث عنه الجاحظ سلطان الخط على الالفاظ ، قال : « وكما تحظى بعض الأشعار وبعض الأمثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها » (١٠٣) ولذلك تشيع الالفاظ بعينها ويتداولها

(١٠١) سورة التوبة ، الآية ١٢٧ ، وهي : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » .  
(١٠٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٤ . (١٠٣) الحيوان ج ٢ ص ١٠٢ .



الأدباء أكثر من غيرها ، وقد يكون وراء ذلك سبب من الأسباب كخفتها أو دلالتها على المعاني الجديدة أو صلتها بالحضارة الى جانب ما أشار اليه الجاحظ وهو الحظ الذي يرافق الانسان .

#### التفصيل :

من شروط الكلام التصحيح أن يكون بعيداً عن التعقيد ، وقد قل الجاحظ عن بشر بن المعتز قوله : «إياك والتورع فإن التورع يسلك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معازيك ويشين ألقائك»<sup>(١٠٤)</sup> ، وصارت هذه العبارة قاعدة سار عليها البلاغيون في فصاحة الكلام . ولم يشرح الجاحظ التعقيد أو يذكر له أمثلة كما فعل في كثير من المسائل المتصلة باللفاظ ، وقد يرجع ذلك الى أن الشعر لا يزال في صفائه ورويق أساوبه ولم تدخل فيه التعمية التي أخذت تظهر بعد ذلك في الكلام .

#### الخلاصة :

للمعاني الفاظ تدل عايتها ، ولكن تلك الالفاظ لا تبتسى مختلفة بمعانيها الأولى بل تنتقل الى غيرها وتكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد أدرك الجاحظ ذلك وعرف أن اللغة تتطور بتقديم الحياة ، وإن اللغة التي يتحدث بها أهل زمان قد تختلف عما يتحدث به أهل زمان سابق أو لاحق . وكان للمعاني الجديدة أنسر في هذا التطور ، فقد فصل عن الاصعبي قوله : « كان للعرب كلام على معان فاسفا ابتدأت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام»<sup>(١٠٥)</sup> . ومن ذلك قوله الناس : «ساق إليها صفاتها» ، وإنما كان هذا يقال حين كان الصفاق إبلا\* وغنما . وقال الجاحظ تعليقا على ذلك : « وفي قياس

(١٠٤) البيان والنبين ج ١ ص ١٢٦ .

(١٠٥) البخل ص ٢١٤ .

الأصمعي أن أصحاب التستر الذين كان التستر ديانتهم ومبهرهم كانوا لا يقولون : « سائق فلان صدائه » • قال : ومن ذلك قول الناس اليوم : « غد بني فلان البارحة على أهله » وإنما كان هذا القبول لمن كان يتسرب على أهله في تلك القيلة قبله وخيسته وذلك هو بناؤه •

وكان لنزول القرآن الكريم أثر كبير في تطور الدلالة ، فقد تركت الألفاظ كانت مستعملة في الجاهلية ومن ذلك تسميتهم للضراج « آتاه » وكنولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « العيال والمكس » • كما تركوا « ألهم صباحا » و « ألهم ظلاما » وصاروا يقولون : « كيف أصبحتم ؟ » و « كيف أمسيتم ؟ » وتركوا أن يقال للملك أو السيد المطاع : « آيت اللعن » وترك العبد أن يقول لسيده : « ربي » كما يقال : « رب السدار » و « رب البيت » • وتركوا أن يقولوا للقوام الملوك : « السدة » وقالوا : « الحجة » ، وتركوا « علامة » و « المرباع » و « التسيطة » وبقي « الصفايا » <sup>(١٠٦)</sup> • واستحدثت أسماء لم تكن ، وقد اشتهت من أسماء متقدمة على النسب من ذلك قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » ، ومن ذلك اسم « منافق » لمن رآه بالاسلام واستسّر بالكفر و « المرتك » و « الكافر » و « الفاسق » و « التيسم » و « القسرآن » و « الفرقان » <sup>(١٠٧)</sup> • ومن ذلك قولهم في الاسلام لمن لم يحج « صرورة » ولم يكن ذلك معناها في الجاهلية ، فالصرورة عندهم « كان أرفع الناس في مراتب العبادة » وهو اليوم اسم للذي لم يحج أما لعجز وإما لتضييع وأما لا تكار ، فهما مختلفان كما ترى <sup>(١٠٨)</sup> •

(١٠٦) المرباع : ربع جميع الثمنية الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام الخمس . التسيطة : كان للرئيس أن يشغل عند قسمة الخراج الملقى للرئيس براه إذا استحلها ، وبقي الصفي ، وكان لرؤس الله - صلى الله عليه وسلم - من كل معتم ، وهو كالسيك القهديم والفرس العتيق والسدرع المعصية والشبه النادر ( ينظر المحوان ج ١ ص ٢٢٧ ) •

(١٠٧) المحوان ج ١ ص ٢٢٠ •

(١٠٨) المحوان ج ١ ص ٢٤٧ •

لقد نزل القرآن الكريم بالفاظ ذات دلالات جديدة ، وليس ذلك غريبا فقد تغيرت كثير من قيم العرب وجاءت قيم جديدة ، وكان لابد من التعبير عن هذه القيم والمعاني . وكان نزول القرآن اكبر دافع الى تطور اللغة وقد قال الجاحظ وهو يتحدث عن الفاظ كتاب الله : « فاذا كانت العرب يشتون كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم ، واللغة عارية في ايديهم ممن خلفهم ومكتنهم والهمم وعلمهم ، وكان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس فالذي أغارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق وأوجب طاعة . وكذا انه له أن يتبدى الاسماء فكذلك له أن يبتدئها مما أحب ، قد سئى كتابه المنزل « قرأنا » وهذا الاسم لم يكن قد كان »<sup>(١٠٩)</sup> . وقال : « واذا كان للتأنيب أن يتبدى الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقولهم :

إلا الأوراري لأيا ما أبيئنا      والتؤي كالحوش بالظلمة الجلد

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع أثره وعلى أنها لغة عربية ، فانه الذي له أصل اللغة أحق بذلك »<sup>(١١٠)</sup> وأصبحت كلمات كثيرة مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العرب الطبيعية ، ومن ذلك مصطلحات المتكلمين والعروضيين والنحاة قال الجاحظ عن المتكلمين : « وهم تغيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وفدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرس والجوهر وأيس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهدية والهوية والمائة<sup>(١١١)</sup> وأشياء ذلك » . وقال عن العروضيين : « وكما وضع الغليل بن احمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأغراض بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الاسماء ، كما ذكر الطويل والسيط والمديد والوافر والكامل وأشياء ذلك ،

(١٠٩) الحيوان ج ١ ص ٣٨ .

(١١٠) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٠ . (١١١) نسبة الى : هذا ، هو ، ما هو .

وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزخاف . وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والافواء والاكفاء ولم أسعح بالإيقاء . وقالوا في القصيد والرج والسجع والخطب وذكروا حروف الروي والتوافي وقالوا : هذا بيت وهذا مصراع . وقال عن النحاة : «وكما سمي النحويون فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلدين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتنبوا أساء» جعلوها علامات للتفاهم » (١٧٢)

لقد أدرك الجاحظ بسعة علمه وصديق حبه أن اللفاظ تنتقل من معنى إلى آخر ، وأن المعاني الجديدة تغير كثيراً من دلالة اللفاظ ، ولو نظر الباحث إلى معاني هذه الكلمات وغيرها لوجدتها تختلف اختلافاً واضحاً عما كانت عليه قبل أن تكون مصطلحات دينية أو كلامية أو عروضية أو نحوية أو علمية . وهذه ظفوة عتيقة في فهم اللغة وما يطرا عليها من تحوّل يقتضيه تطور الحياة ، ولو استعمل المتكلم أو الكاتب هذه اللفاظ بمعانيها القديمة لخرج عن التفصاحة وصار كلامه غير فصيح لأنه لا يفهم منه المعنى الجديد أو ما تعارف عليه الناس في زمانه . ولم يلق الأمر عند هذا التطور وإنما دخلت اللغة العربية ألفاظاً أجنبية ، وهذا أمر طبيعي بعد أن اتصل العرب بالأمم والمجتمعات المختلفة وامتزجت المجتمعات العربية والإسلامية . وقد حصل شيء من ذلك قبل الإسلام ، قال الجاحظ : « إن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من قديم العهد علقوا باللفاظ من الفارسي ولذا لم يسموا بطيخ : « الخير » يز » ويسمون السبيط : « الرزق » ويسمون الموصوس : « المزور » ويسمون الشطرنج : « الأشرنج » في غير ذلك من الأسماء ، وكذلك أهل الكوفة فسموا المسحاة : « سبال » « وبال » بالفارسية » (١٧٣) . ولكن اللغة العربية استطاعت

(١٧٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(١٧٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

أن تجري كثيراً من الالفاظ الأجنبية مجرى العربية ، وهذا من خصائص اللغات الحية .

والثقت الجاحظ الى أن الالفاظ بحسب طبقات الناس ، ولذلك ينبغي للتكلم أن يعرف مقدار المعاني ويوازن بينها ويجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً . وعرف أن لكل طبقة من الناس ألفاظاً تدبرها في كلامها ، فالكتاب يكتبون من الالفاظ الجميلة الموحية التي لا توغل في التراب ولا تتساقط في الأيتال ، وهم كما قال عنهم : « أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متروفاً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً » (١١١) . والمتكلمون يكتبون من الالفاظ الدالة على الجوهر والعرض والكون والنسب والتلاشي واليسية والأيسية ، قال الجاحظ : « فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللغز أن أكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها ، والمادة فيها أن اللغز بالسبي العتيد الموجود وأدع التكلف لما عسى أن لا يسلس ولا يسئل إلا بعد الرياضة والقدرة . وأرى أن اللغز بالفاظ المتكلمين مادمت خائفاً في صناعة الكلام مع خراس أهل الكلام ، فإن ذلك أفهم لهم عني وأخف لمؤوتهم علي » . ولكل صناعة الفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تترك بصانعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلها بينها وبين تلك الصناعة . وقبيح بالتكلم أن يشتر إلى الفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والتجار ، أو في مخاطبة أهله وعبدته وأمته أو قسي حديث إذا تحدث أو خبره إذا أخبر . وكذلك فإن من الخطأ أن يجاب الفاظ الاعراب والفاظ العلوم وهو في صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل » (١١٢) . ولكن قد تحسن بعض الفاظ المتكلمين على وجه النظر والتماح كما جاء في شعر أبي نواس وغيره من طرقات ذلك الزمان .

واقبه الجاحظ الى ما يستعمله الأديب في كلامه من ألفاظ يدبرها ويكثر منها ، وهو ما يسمى « لغة الكتاب » أو « لغة الشاعر » ، قال : « ولكل قوم

(١١٤) البيان ج ١ ص ١٢٧ . (١١٥) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٨ .

ألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام مشهور ، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون ، فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بألفاظها يدورها في كلامه وإن كان واسع العلم ، غزير المعاني ، كثير اللفظ » (١١٦) .

**المعاني :**

وربط بين الالفاظ والمعاني فقال إن اللفظ من دلالات المعاني وهو الذي يصورها في النفوس وينقلها إلى الآخرين (١١٧) . وقرن اللفظ بالمعنى فقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالخفيف للسخيف ، والخفيف للثقيل ، والجزل للجزل ، والافصاح في موضع الافصاح ، والكتابة في موضع الكتابة ، والاسترسال في موضع الاسترسال . وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله ، ودخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جبهته وإن كان في لفظ سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكرها ويأخذ بالكفاحها » (١١٨) . وقال : « إنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشرورها لشرورها ، وسخيفها لسخيفها . والمعاني المفردة البائنة بصورها وجوانبها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجوانب الملتبسة » (١١٩) .

لقد اهتم الجاحظ بالألفاظ اهتماماً عظيماً وأولاهها عناية كبيرة ودفعه ذلك إلى أن يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها المعجب والمريب ، والبدوي والقروي ، والمدني ، وأنا الشان في إفاضة الوزن وتخفيف اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فأما الشعر صناعة وضرب من التسع وجنس من النصور » (١٢٠) . ولئن يفض الباحث أن يسيل إلى اللفظ كل الميل وأنه لا يرى للمعنى كبير أهمية ، ولعل موقفه من أبي

(١١٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٦٦ . (١١٧) البيان والبيان ج ١ ص ٧٦ .

(١١٨) الحيوان ج ٣ ص ٣٩ . وينظر البيان ج ١ ص ١٤٥ .

(١١٩) الحيوان ج ٦ ص ٨ . (١٢٠) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢ .

عسرو الشيباني يشر به من أنصار اللفظ ، فقد أعجب الشيباني بقول القائل :

لا تحسبن الموت موت البلى      فأنسا الموت سؤال الرجال  
كلاهما موت ولكن      فأنطق من ذاك لنذل السؤال

قال الجاحظ : « وأنا رأيت أبا عسرو الشيباني وقد بلغ من استجاده لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً حتى كتبهما له . وأنا أزمع أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا أن أدخل في الحكم بعض التفك لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً » (١٢١) . والواقع أن الجاحظ عثي باللفظ وأعطاه نصيبه من الاهتمام وشغل بالمعنى والتصوير الذي قال عنه : « فأنسا الشعر صناعة وشرب من النسيج وجنس من التصوير » . وكلامه في كنهه يؤكد أنه لم يصل المعنى لأن « مدار الأمر على فهم المعاني لا الالفاظ ، والحقائق لا العبارات » (١٢٢) وإن حكم المعاني « خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية ، وأساء المعانسي مفسورة معدودة ومحسنة محدودة » (١٢٣) . وقال : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بائساً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراء ومنزهاً عن الاختلال موصولاً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة » (١٢٤) . وقال وهو يتكلم على شامة من أقرس : « وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الإقحام مع قلة عدد الحروف ، وله من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ، وكان لفظه في وزن وإشارته ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك » (١٢٥) . وقال : « ومتى شاكل — أبداً الله — ذلك

(١٢١) الجوهري ج ٢ ص ١٢١ .

(١٢٢) الجوهري ج ٥ ص ٥٤٩ .

(١٢٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(١٢٤) البيان ج ١ ص ٨٢ .

(١٢٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١١١ .

اللفظ معناه وأعرّب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وقتاً ولذلك القدر لثبته ،  
 وخرج من ساجدة الاستكراء ، وسلم من فساد التكلف كان قبينا بحسن  
 الموقع وارتفاع المستمع (١٣٣) .

هذه الأقوال الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن الجاحظ لم يبدل المعنى  
 وكيف يبدله وهو جوهر الكلام ؟ وكيف يبدل عنه وهو المعتزلي الذي يعتد في  
 الاقتناع على الفكرة والمعنى قبل اعتياده على اللفاظ ؟ وكيف يبدله وهو أم  
 يفرق بين الفصاحة التي أصبحت وصفاً للالفاظ والبلاغة التي صارت وصفاً  
 للمعاني قبل الالفاظ ؟ لقد كانت اللفظتان عنده بمعنى واحد وكان كثيراً ما  
 يجمع بينهما ، قال في تعريف البلاغة : « وقال بعضهم - وهو من أحسن ما  
 اجتنبناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه  
 لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمك أميق من معناه إلى  
 قلبك » (١٣٤) . وأن المعنوي والالفاظ متحد لتخرج صورة تنتقل إلى القراء  
 والسمعين ، ومحال أن يكون اللفظ وحده مؤدياً الهدف أو المعنى وحده  
 محققاً الغاية ، ولكن الجاحظ رأى - إلى جانب اهتمامه بالمعنى - أن الفصاحة  
 مهمة في التعبير ، ولذلك كان من أصحاب الأساليب التي تعرض الفكرة عرضاً  
 واضحاً وتعبّر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو هو من أنصار النظم ، وقد فسر إعجاز  
 القرآن الكريم به وألف كتاباً هو « فم القرآن » وكان لهذا الاتجاه أثر في  
 الدراسات البلاغية حينما أقام عبدالقاهر الجرجاني إعجاز القرآن على النظم .

#### الآثار :

كان لجهود الجاحظ في الفصاحة أثر كبير في الدراسات البلاغية والنقدية ،  
 وقد أخذ الدارسون يستقون منه مادة بحثهم ويحاولون أن يضعوها ثروناً  
 لفصاحة اللفظة المبردة والالفاظ المؤلفة . وبدأت لفظة « الفصاحة » تأخذ

(١٣٧) البيان ج ١ ص ١١٥ .

(١٣٦) البيان ج ٢ ص ٧ .



صورة علمية بعد أن كانت عامة المعنى واسعة الدلالة ، وأخذت تفصل عن البلاغة التي اقترنت بها في بداية التأليف . والبحث في أثر الجاحظ منع الجواب ؛ لأنه لم يسرك أدباً أو مؤلفاً من غير أن يؤثر فيه ، وكان كتابه « البيان والتبيين » أحد الكتب الأربعة التي عدت من أصول الأدب وأركانها ، قال ابن خلدون : « وسعنا من شيوخنا في مجالس التلميم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب السوادد لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة كتبت لها وفروع » عنها (١٢٨) . وسيكون الوقوف على أهم البلاغيين والنقاد ولعل أول من نقل كلام الجاحظ وأمثله في فصاحة الكلام أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ( - ٣٨٦هـ ) فقد وقف عند كلام الجاحظ من غير أن يذكره وذكر البيت المشهور : « وقبر حرب ... » مثلاً للتأخر وأبيات أبي حبة السيري : « رميتي وسر الله » مثلاً للتلازم (١٢٩) . وكان أبو هلال العسكري ( - ٣٩٥هـ ) أكثر تأثراً به فقد نقل كثيراً من أقوال القدماء عنه وربها ترتيباً دقيقاً لأن كتاب « البيان والتبيين » لم يشغله بالمنهج الدقيق . قال أبو هلال : « وهو لعمرى كثير القوائد جم المنافع لما اشتغل عليه من النصول الشريفة والفقر الطويلة والخطب الرائعة والأخبار البارة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء وما به عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونمونه المستحسنة ، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والمصاحبة مبثوثة في تصانيفه ومنشورة في أثنائه فهي ضالة بين الأمثلة ولا توجد إلا بالتأمل الطويل والتنصع الكثير » (١٣٠) . ودفعه هذا النقد إلى أن يرب موضوعات البلاغة ترتيباً دقيقاً ويقسم فنونها تقسيماً طريفاً ، وكانت الفصاحة من الموضوعات التي نالت اهتمامه وبعداً أكبر

(١٢٨) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٢٩) التكت في أبعاد القرآن ص ٨٧ - ٨٩ .

(١٣٠) كتاب الصنائع ص ٥ .

: هلال من أوائل الذين ميزوا بينها وبين البلاغة ، قال : « وقال بعض علمائنا :  
 - الفصاحة تمام آلة البيان، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى - فصيحاً إذ كانت  
 الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله - تعالى - الوصف بالآلة ،  
 - ويرد عليه كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك أن  
 التلخيص والتنشيط لا يسميان فصيحين لتقصان آلهما عن إقامة الحروف . وقيل :  
 - « زياد الأصم » لتقصان آلة لفظه عن إقامة الحروف وكان يمر عن الحمار  
 بالهمار ، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه . فعلى هذا تكون الفصاحة  
 والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على  
 اللفظ بلان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي انتهاء المعنى إلى  
 القلب فكأنها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ  
 والبلاغة تتناول المعنى أن البهلاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم  
 الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى  
 الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير  
 مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يشتمع من أحد إلا شيئ شيء لما فيه من  
 إيضاح المعنى وتقوم الحروف » (١٣١) . وكان ذلك إبانة عن موضوع الفصاحة  
 والبلاغة ، أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد كان في الإبانة عن حدّ البلاغة  
 ولا يتضح أثر الجاحظ في هذين الفصلين ، ولكن الفصل الثالث من الباب  
 نفسه كان عرضاً لكثير من الأقوال والآراء التي ذكرها الجاحظ في « البيان  
 والتبيين » وهذا يدل على أنه فتح طريق البحث للنقاد والبلاغيين ووضع أمامهم  
 المادة الأساسية لأبواب البلاغة وفصولها .

وعقد ابن سنان الخفاجي ( - ٤٦٦ هـ ) في كتابه « سر الفصاحة » فصولاً  
 ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها وفصاحة اللفظة المفردة  
 والالفاظ الموقوفة . والفصاحة عنده « الظهور والبيان » (١٣٢) والفرق بينها وبين

(١٣١) كتاب المستأنفين ص ٧ - ٨ .

(١٣٢) سر الفصاحة ص ٦٠ .

البلاغة « أن فصاحة مقصورة على وصف الالفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للالفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لاندل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصحة . وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا » . وذكر شروط النقطۃ الفصيحة والالفاظ المؤلفة وكانت هذه الدراسة من أعمق الدراسات وأكثرها تفصيلا ، وكانت منطلق الآخرين كضياء الدين بن الأثير ( ٦٣٧هـ ) الذي أمثال الكلام على الفصاحة وأفنى ابن سنان وأخذ بعض كلامه ورد<sup>١</sup> بعضه<sup>(١٣٣)</sup> . ودعا إلى العناية بالالفاظ واختيار الجليل منها والطراح الوحشي المكر ، وكان يلحظ للفظ الحسنه وتلذذ له ، قال : « ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الأذن نغمة لذیذة كنعمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار ، وإن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل وممرارة كمرارة العتطل ، وهى على ذلك تجري مجرى النغمت والطعوم »<sup>(١٣٤)</sup> .

ولكن هؤلاء لم يقتصروا على فصاحة المتكلم كما وقف عليها الجاحظ ؛ لأن الفصاحة والبلاغة لا تكون لل متكلم إلا على سبيل التوسع ، قال أبو حلال : « وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ كما تقول : فلان رجلا متحكما ، وتعني أن أفعاله بحكمة » قال الله تعالى : « حكمة بالغة »<sup>(١٣٥)</sup> فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة<sup>(١٣٦)</sup> .

ولكن الخطيب التزورني ( ٧٣٩هـ ) قال : إن الفصاحة والبلاغة تقع كل واحدة منهما صفة لمعين :

(١٣٣) ينظر الملل السائر ج ١ ص ١٤٢ وما بعدها .

(١٣٤) الملل السائر ج ١ ص ١٥٠ .

(١٣٥) سورة القمر ، الآية ٥ وهي : « حكمة بالغة فما نفث النمل » .

(١٣٦) كتاب الصناعات ص ٦٠ .

الأول : الكلام كما في « قصيدة فصيحة أو بليغة » و « رسالة فصيحة أو بليغة » .

الآخر : المتكلم كما في « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ »<sup>(١٣٢)</sup> . ولم يفصل القول في المعنى الثاني ووقف عند تعريفه فقال : « وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح »<sup>(١٣٣)</sup> . وفيهم من شرحه لهذا التعريف أن الفصاحة هي واسطة في المتكلم وأنها تشمل النطق وغيره ، وهو ما أراد الجاحظ حينما تحدث عن الخطيب وهيئته وصفاته وأقال الكلام على اللسان واللسان والميوسب التي تعوق عن الفصاحة والخلق السليم .

ويبقى الجاحظ بعد ذلك منفرداً في دراسة هذه المسائل وإن بدأت تمتد عن كتب البلاغة ، وكان ما اهتم به وجعله من « البيان » أخذه اللغويون وأداروه في كتبهم عند حديثهم عن الأصوات ومخارج الحروف وما يعتري اللسان من عيوب . ولعل انصراف الناس عن الخطابة واهتمامهم بالكتابة والتأليف جعل البلاغيين والنقاد يشتغلون بما يشتغلون به ويبتعدون بالفكر لا يظهر المتحدث أو الخطيب وجهاً صوتهما وسلامة نطقهما للحروف . ولا يقلل هذا الانصراف من جهود الجاحظ ، فقد كان رائداً في الدرس البلاغي وكانت ملاحظاته وآراؤه معالم في الطريق وصوى اهتدى بها المؤلفون مع أنها توزعت في كتبه وانتشرت في رسائله ، ولم ينكر التقدم فضله كما لم يهمل المعاصرون بل كان من أكثر الذين قالوا عناية كبيرة واهتماماً عظيماً في عالم البحث والتأليف .

تلك وقفة عند الفصاحة كما صورها كتب الجاحظ ، وتلك جهوده في مباحثها ، فما تبقية هذه الدراسة وما صنعها في هذا العصر ؟ هل كنتي يرضى التراث وتبيان جهود السابقين أو تنتفع بذلك الجهد وتضيف إليه ما يخدم اللغة

١٣٢) الإيضاح ص ٩٠ .

١٣٣) الإيضاح ص ٩٠ .

العربية وطورها لتكون أكثر قدرة على استيعاب العصر ورسم المستقبل ؟ إن الاهتمام بالتراث يعني كشفه وتقريبه والأخذ بما يشيد ، وقد كانت هذه الدراسة كشفا عن جهود الجاحظ في النضاعة وثباتا لموقفه في كثير من المسائل التي تخص المتكلم والكلام . وقبل وضع هذه الجهود في صورتها المعاصرة لابد من تلخيص ما سبق لتتضح الأبعاد وتكشف الأهداف . لقد تحدث الجاحظ عن :

١ - الأصوات وتأثيرها في النفوس وقدرة الإنسان على تقليد الأصوات المختلفة ؛ لأن جوارح لطفه قادر على اخراج الأصوات الكثيرة .

٢ - بعض أعضاء النطق كالأسنان واللسان والحنجرة وما يعثر بها من عيوب كالهتيم وسقوط الأسنان كلها والتهنسة والتمتة والماناة واللف والرتة والحبسة والعقلة والكتنة .

٣ - العي والحصر وما يصيب المتحدث أو الخطيب أو المجادل حينما يما أو يحصر فتذهب روعة كلامه إن كان يلينا وتسقط هيئته بين الناس .

٤ - الخصائص الصوتية للغة العربية والحروف الكثيرة الدوارة فيها وأسمائها .

٥ - اللحن وما يترك في نفس السامع من أثر سيء .

٦ - تناثر اللفاظ .

٧ - الغرابة والتعقيد .

٨ - دلالة اللفاظ على المعاني وتطورها وأثر الاسلام في تغير المعاني أو وضع اللفاظ ومعططات تطلبها النهضة العلمية والحضارة العربية الاسلامية .

ويتضح ان الجاحظ جال في رحاب واسعة وهذه الرحاب يتضي بعضها الى علم اللغة ويوصل بعضها الى علم البلاغة ، وكلا السبيلين مهسان في الدراسات الحديثة . إن معظم ما تحدث عنه يدخل اليوم في علم اللغة ، فالأصوات ومخارج الحروف وعيوب النطق ما تعرض له الدراسات الحديثة

وتسمى به ، بل إن هذه الدراسات طغت على ما عرفت من فقه اللغة والصرف والنحو وغيرها من علوم اللغة عند القدماء . وفيما ذكر الجاحظ زاد للباحثين لأن معلم آرائه وما قلته عن الآخرين ثبت أمام البحث العلمي الجديد ، وبذلك يظل الجاحظ حياً وإن بُعدَ به الزمان . وليس هذا وحده ما ينفع الدارسين وإنما للدراسات النربوية نصيب من ثراث الجاحظ فلا تزال المدارس وستبقى تعنى بتعلق الأفعال وكلامهم وتعالج عيوب السنتهم وتصلح منها وتدفع الفصحاء إلى التحدث بطلاقة وتجمعهم على الخطابة باقتدار . وكم في النطق الصحيح والكلام الفصيح من أثر فسي النفوس . ودراسة الجاحظ للكثرة تكتشف عن الحروف التي يقع فيها هذا العيب وتبين لحن الرومي والقاروسي والتبليطي والزنجي ، وهي قائمة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها لأنها توضح أمام المعنيين الحقائق الواضحة وتنبههم إلى العناية بكل جنس من هذه الاجناس وتعيد المتعلمين النطق السليم والابتعاد عن اللمكنة التي قد تأتي من طبيعة اللغة التي نشأوا عليها . ودلالة الاقتاط من الدراسات المهمة التي عني بها الجاحظ؛ لأنها تبين نشأة الاقتاط وتطور معانيها وترصد العوامل التي تؤثر فيها . وكتب « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « البخل » معجم غير مصنف ولو شئنا لهذه الكتب أن تجرد الناطقا وتصف لكان للعربية معجم تاريخي يصور واقع الفكر العربي والحضارة الإسلامية حتى القرن الثالث للهجرة ويكشف عن الثقافة الكبيرة التي شهدتها العصر العباسي الأول ، وقد كان الجاحظ أحد أقطاب هذا العصر الذين تناطوا معه .

وتأتي دراسة الجاحظ للحروف واتساقها شاهداً على أصالة اللغة العربية فقد أدرك بحسه اللغوي وثقافته الواسعة ارتباط الحروف في الكلمة الواحدة وما يورجى من فصاحة أو عجمة . وجدّد ما ذكره أساساً للنفوس الذين جاءوا من بعده كآين جني ( ١٣٩٢ هـ ) الذي قال : « أما إهمال ما أهمل ما تحتله قسمة التركيب وبعض الأصول المتصورة أو المستعلة فأكثره متروك للاستئصال ، وثبينة ملحقة به ومقتاة على أثره . فمن ذلك ما رفض استعماله

لتقارب حروفه نحو سمن وطس ، وثث وتظ ، وضن وشطن . وهذا حديث واضح لشعور الحسن عنه والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك نحو فتح وجن ، وكث وكظ ، وكج وجك . وكذلك حروف العلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مغارجها عن معظم الحروف اضني حروف التيم<sup>(١٢٩)</sup> . وكأبي إبراهيم اسحاق بن إبراهيم الثماري<sup>(١٣٠)</sup> الذي قال : « الجيت صنم ويقال لن الجيت هو حني بن أخبط . وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والثاء في كلمة من غير حرف ذواتي »<sup>(١٣١)</sup> . وكانوا يعرفون أصالة الكلمة من حروفها<sup>(١٣٢)</sup> ، وقد أفادهم ذلك في ارجاع الالفاظ الى أصولها ، وشعهم في التعريب الذي كان من أهم معالم الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام . والقاعدة التي وضعها الجاحظ وغيره من اللغويين تنبع في عملية التعريب التي تغوؤها الأمة العربية في هذه الأيام لانها تحدد طبيعة اللغة العربية وتنضبط حروفها ، وان الأخذ بها يجب العاملين في حقل التعريب كثيراً من الزوايق ويضون اللغة من العجمة والاصوات الغريبة ويقيها من التناثر الذي لا قبله الأذن ولا يستسيغه الذوق العربي .

أما ما يدخل في الدراسات البلاغية فحسي كثير ، منه فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة وما يتصل بها من وضوح أو غرابة ، ورقة أو خشونة ، وما يربط بها من ايحاء جميل أو فبيح ، ومن استحسان أو استهجان . وكل ذلك مهم في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة لانها تمثل اللغة العربية وخصائصها وتصور حياتها المتطورة . وليس هذا وحده ماقدسه الجاحظ فهناك مصطلحات علم اللغة والفصاحة وما يتصل بها ، وقد كانت هذه

(١٢٩) الخصال ج ١ ص ٥٤ .

(١٣٠) اختلف في وفاته فمن قال انه مات سنة ٢٩٨ هـ ، ومن قال انه مات قبل ذلك بكثير . ( انظر مقدمة ديوان الادب ج ١ ص ٢ ) .

(١٣١) ديوان الادب ج ١ ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(١٣٢) انظر المهر ج ١ ص ٢٦٨ وما بعدها .

المصطلحات الأساس الذي بنى عليه التقدم دراساتهم ، وهي كذلك في هذا العصر ، فلا تزال كتب اللغة والبلاغة والنقد تستعمل ماقلته الجاحظ أو ابتدعه ، وستظل كذلك مادامت اللغة العربية ومادامت أمة العرب .

إن دراسة جهود الجاحظ في الفصاحة لم تكن تأريخاً يمرض ماضي الأمة وثراتها ، وإنما هي حاضر ينض بالحياة ومستقبل يزهر بالأمل ، وهكذا كان التراث ماضياً مشرقاً وحاضراً زاهراً ومستقبلاً باهراً ، ومن غير هذه النظرة لن نفهم الماضي ، ولن ندرك الحاضر ، ونستشرف المستقبل ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين .

#### المصادر :

- ١ - الإفصاح - الخطيب القزويني . تحقيق لجنة من اساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر . القاهرة .
- ٢ - البخلاء - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجري . القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٣ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م .
- ٤ - الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون القاهرة ١٣٥٦هـ - ٢٩٢٨ م .
- ٥ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .
- ٦ - ديوان الأدب - أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم القارابي . تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر . القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .
- ٧ - سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبدالمتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢ م .
- ٨ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو القضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ م .



- ٩ - لسان العرب - ابن منظور .
- ١٠ - الثقل السائر في أدب الكاتب والشاعر - غياث الدين بن الأثير - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ١١ - المزهري في علوم اللغة - عبدالرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد أحمد جواد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البحراوي . الطبعة الثالثة - القاهرة .
- ١٢ - مقفعة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون . دار الكشاف - بيروت .
- ١٣ - التكت في أحجار القرآن . أبو الحسن علي بن عيسى الرماني . تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام . ( ثلاث رسائل في أحجار القرآن ) دار المعارف - القاهرة .
- ١٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٢ م .



( ٧ )

## الأساليب البلاغية

التهج :

الأساليب البلاغية هي الخبر والانشاء ، وأحوال الجيلة كالتهريف والتكثير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والقصر ، والفصل والوصل ، والابجاز والامتناب والمساواة ، والخروج على مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع الظاهر ، ووضع المظهر موضع المفسر ، والقلب ، والاسلوب الحكيم ، والانشاءات .

وقد درس النحاة أكثرها في أبواب كتبهم ، ويبحثها البلاغيون في علم المعاني وهو « تبسع خواص تراكيب الكلام في الاقادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره » (١) . وشرح السكاكي هذا التعريف بقوله : « وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصول حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق . وأعني بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارياً مجرى اللازم له لكونه صادراً عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو أو لازماً له لما هو حيناً . وأعني بالهم فهم ذوي النظرة السليمة مثل ما يسبق الى فهك من تركيب » إن

\* انظر على المشرفين التريوين في معهد تطوير اللغة العربية في ايلول سنة ١٩٨١ .

(١) مفتاح العلوم ص٧٧

زيداً منطلق « إذا سمعت عن العارف بفسياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به في الشك أورد الانتكار . أو من تركيب « زيد منطلق » من أمه يلزم مجرد القصد الى الأخبار ، أو من نحو « منطلق » بترك المسند اليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة ما يلوح بها مقامها ، وكذا إذا نطق بالمسند اليه . وهكذا إذا عرّف أو نكر أو قيّد أو املق أو قدّم أو أخر . » وتتضح في هذا النص عدة حقائق تتصل بعلم المعاني كما حدده السكاكي .

الاولى : أن الأصل في هذا العلم كلام البلغاء لا كلام عامة الناس .  
 الثانية : أن الأصل بالتركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماعه وأن يكون مرتبطاً بالمعنى ، أي أن المراد به المعنى الأول لا المعنى الثاني الذي هو من سمات علم البيان .

الثالثة : أن الأصل في الفهم ما عليه ذوق النظرة السليمة لامن في مشاركهم  
 قص لا يعلمهم لأدراك الكلام البليغ .

الرابعة : إن السكاكي حدد أهم موضوعات علم المعاني وهي الخبر وأنواعه من ابتدائي وطلبي وإنكساري ، وحذف المسند أو المسند اليه والتعريف والتذكير ، والتقليد والأملان ، والتقديم والتأخير ، وغير ذلك من موضوعات أشار اليها بقوله : « على ما يظلمك على جميع ذلك شيئاً فشيئاً مسان الكلام في الطعين بأذن الله تعالى » .

وقرر السكاكي أن كلام العرب شيان : الخبر والطلب ، ولذلك قسم علم المعاني الى قانونين : الأول يتعلق بالخبر والثاني بالطلب . وقسم القانون الاول الى أربعة أقسام :

الاول : في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري . وقد تكلم فيه على أنواع الخبر وأغراضه ومؤكّناته وخروجه على مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اعتبارات المسند اليه وقد تكلم فيه على حذف المسند اليه وذكره وتعميقه وإفساره وكونه علماً وتأكيد المسند اليه وبيانه وتفسيره

وتأخيره وتقصره وغروجه على مقتضى الظاهر والالتماس .

الثالث : في تفصيل اعتبارات المسند ، وقد تكلم فيه على حذف المسند وذكره

وتقييده وتأخيره وتقديمه والحالات المتضمنة لتقييد الفعل .

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ، والإيجاز والاختصار . وبعد أن انتهى من هذا الترتيب عقد للتقصر فصلا خاصا ؛ لأنه أرجأ بحثه إلى هذا المكان من كتابه « مفتاح العلوم » . وقسم القانوين الثاني إلى خمسة أبواب هي : التمني ، والاستفهام ، والأمر والنهي ، والتداء . وتكلم بعد ذلك على وضع الخبر موضع الطلب ، ووضع الطلب موضع الخبر ، وأسلوب الحكيم .

لقد بحث السكاكي علم المعاني بهذا المنهج ورتب موضوعاته هذا الترتيب ، ويلاحظ أنه قدّم الخبر مع أن كثيراً من الموضوعات التي بحثها فيه لا تخص الخبر وحده وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب . وعلى التنازلي ذلك يقول : « وأما ابتداء باب بحث الخبر لكونه أعظم شأنًا وأهم فائدة ؛ لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وفيه تلحق الصيغات الجيدة ، وبه تقع غالباً المزايا التي يمسها التفاضل ولكونه أصلاً في الكلام ؛ لأن الانقضاء إنما يحصل منه باشتقاق كالأمر والنهي أو نقل كـ « يس » و « نعم » و « بعت » و « اشترت » أو زيادة أداة كالاستفهام والتمني وما أشبه ذلك . ثم قدّم بحث أحوال الاستناد على أحوال المسند إليه والمسند مع أن النسبة متأخرة عن الطرفين ؛ لأن علم المعاني إنما يبحث عن أحوال التلطف الموصوف بكونه مستنداً إليه ومستنداً . وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقق الاستناد لأنه مالم يستند أحد الطرفين إلى الآخر لم يصير أحدهما مستنداً إليه والآخر مستنداً ، والمتقدم على النسبة إنما هو ذات الطرفين ولا بحث لنا عنها » (٢٢) .

ومها حاول انصار هذا المنهج أن يدعوه بالبراهين العقلية فإن البلاغة التي يقاس بها الكلام ويحكم على حسنه وروعه لا يمكن أن يعالج منهج بحثها

هذا التحليل وإن يسطع لها هذا المنهج اسطوانا يبعدها عن روحها الفنية . ولكن هل نجح السكاكي في هذا المنهج ؟ هل حصر موضوعات علم المعاني حصراً دقيقاً ؟ الواقع أنه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناء على المنطق فحصر به موضوعات علم المعاني حصراً مزمناً به أوصلها تميزاً آتقدها كل روح وواعد بينها وبين ما يطلبه الفن الأدبي الذي ينبغي أن يعتمد - أول ما يعتمد - على الفوق . ولتوضيح ذلك نقول أنه قسم مباحث هذا العلم بحسب ركني الجبلة - المسند اليه والمُسند - وعلى هذا الأساس ذكر التقديم - مثلاً - في المسند اليه تارة وفي المسند تارة أخرى ، وفعل مثل ذلك بالتأخير ، والحذف ، والذكر ، والتعريف ، والتكثير . وكل من الدقة أن يبحث كل موضوع في فصل لجميع اجزائه ويستوفي أصوله وأركانه وبذلك يتسنى المنهج وتنضج الأهداف . ومقارنة عامة بين ما كتبه السكاكي في هذه الموضوعات وما كتبه عبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الأثير توضح مدى جور السكاكي على هذه المباحث ، فبعد أن كان الفارس يقرأ في « دلائل الإعجاز » أو « المثل السائر » موضوعات فيها متعة وتحليل ، وجشع لاجزاء الموضوع الواحد ، صار يقرأ في « مفتاح العلوم » موضوعات تهرقت اجزاؤها وتناثرت في عدة أبواب لا يفرج منها القارئ إلا بصورة حائلة وقواعد جامدة وقد يلجأ ليقول : فكرة واضحة إلى أن يلم شتات الموضوع الواحد ويضم بعضها إلى بعض وفي ذلك إضاعة للجهد وإفساد للبلاغة .

وبحث " خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كوضع المفسر موضع المظهر ووضع المظهر موضع المفسر والائتلاف في السند والمسند اليه ليس دقيقاً لأن " هذه الموضوعات ليست خاصة بواحد منها وإنما تدخلها . وقد أشار السكاكي إلى ذلك فقال : « واعلم أن هذا النوع - أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى النبية - لا يختص المسند اليه » (٢) . وكان عليه أن يبحث كل

موضوع من هذه الموضوعات في فصل واحد لا في بحثين هما المسند  
والمسند اليه .

وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضي في الحالات المتضمنة لتقييد  
الفعل بالشرط مع أن الاخبار عن الفعل الماضي بالمضارع أو المستقبل نوع من  
الافتقار كما صرح به بعض البلاغيين كابن الأثير الذي قسم الافتقار الى  
ثلاثة أقسام : قسم في الرجوع عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة ،  
وقسم في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى  
الأمر ، وقسم في الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي<sup>(١)</sup> .  
وعند السكاكي فصلا للفعل وما يتعلق به من ترك وإثبات ، والظهار واضمار ،  
وتقدير وتأخير ، مع أن الفعل مسند وكان عليه أن يبحث في باب المسند ويذكر  
أنه يأتي فعلا كما يأتي اسما وجلة . ولكننا في هذا الممدد لابد من أن نعيد  
له تنبيه الى اشتراك كثير من المباحث التي ذكرها في المسند اليه ، فقد قرر وهو  
يتكلم على الحالة المتضمنة لقصر المسند اليه على المسند أن القصر لا يختص  
بالمسند اليه وإنما يدخل المسند أيضا ويجري بين الفعل والمفعول وبين  
المفعولين ، وبين الحال وذي الحال وبين كل طرفين ، قال : « واعلم أن القصر  
كما يكون للمسند اليه على المسند يكون أيضا للمسند على  
المسند اليه ، ثم هو ليس مختصا بهذا البين بل له شيوخ  
وله تفرعات فالأولى أن نورد للكلام في ذلك فصلا ونؤخره الى تمام  
التعرض لما سواه في قانوننا هذا ليكون الى الوقوف عليه أقرب »<sup>(٢)</sup> . وصنع  
مشيلا ذلك في بحث الابهتزاز والاطناب ، والفصل والوصل ،  
والترعيف والتكثير ، والتصر ، فسي التانون الأول أي باب الخبر ، وليس في  
ذلك دقة لأن هذه الموضوعات تدخل المطلب أيضا . وقد أشار المتقدمون الى  
ذلك فقال عبدالقاهر : « انه لا يجوز أن يكون نظم الكلام وترتيب أجزائه في

(١) الملل السائر ج ٢ ص ٤ - ١٩ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٩٤ .

الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخير ، وذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستفهام هو طلب من المخاطب أن يخبرك فإذا كان كذلك كان محالاً أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : « أريد قائم ؟ » غيره إذا قلت : « أقام زيد ؟ » ثم لا يكون هذا الافتراق في الخير . ويكون قولك : « أريد قال ؟ » و « قام زيد » سواء ذاك ، لا يؤدي إلى أن تستطه أمراً لا سبيل فيه إلى جواب أو أن تستثبه المعنى على وجه ليس عنده عبارة يشبه لك بها على ذلك الوجه <sup>(٦)</sup> . وقيل : « وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالثبوت في الاستفهام فابتنر الخبر عليه » <sup>(٧)</sup> .

وكان تقسيم السكاكي لعلم المعاني أساساً في دراسة هذا العلم ، وقد قال الخطيب التزويني في تعريفه : « هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال » <sup>(٨)</sup> . وقال : وقيل : « يعرف » دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص للعلم بالكتليات والمعرفة بالجزئيات كما قال صاحب القانون <sup>(٩)</sup> في تعريف الطب : « الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان » ، وكما قال الشيخ أبو عمر <sup>(١٠)</sup> - رحمه الله - : « التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم » . وذكر تفسيف السكاكي وقال : « وفيه نظر إذ التبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به » . ثم قال : « وأعتي بالتراكيب تراكيب البلاء » . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة وقد عرفها في كتابه بقوله : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بثوافية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » . فإن أراد

(٦) دلائل الإعجاز ص ١٠٨ .

(٧) دلائل الإعجاز ص ١٠٩ .

(٨) الأيضاح ص ١٢ ، التلخيص ص ٣٧ .

(٩) هو ابن سينا .

(١٠) هو ابن الحاجب صاحب الكافية في النحو والشافية في الصرف .

بالتراكيب في حد البلاغة تراكييب البلاء ، وهو الظاهر — فقد جاء الدور ، وإن أراد غيرها فلم يبينها ، على أن قوله « ولغيره » مبهم لم يبين مراده به •  
وتعرف السكاكي أكثر دقة وشسولا ؛ لأنه عرض كل ما يتصل بعلم المعاني  
وحده أبعاده تحديداً واضحاً وإن كان فيه شيء من صرامة وثبوت •

وحصر القزويني هذا العلم في ثمانية أبواب :

الأول : أحوال الاسناد الخبري •

الثاني : أحوال المسند إليه •

الثالث : أحوال المسند •

الرابع : أحوال متعلقات الفعل •

الخامس : القصر •

السادس : الانشاء •

السابع : الفصل والوصل •

الثامن : الإيجاز والامتناب والمساواة •

ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبه  
خارج نطاقه أو لامتطابقه ، أو لا يكون لها خارج • الأول الخبر والثاني  
الإنشاء • ثم الخبر لا بد له من اسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه  
الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً  
أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ثم  
الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر وهذا  
هو الباب الخامس • والانشاء هو الباب السادس • ثم الجملة إذا فرت بأخرى  
فتكون الثانية إما مبطوفة على الأولى أو غير مبطوفة وهذا هو الباب السابع •  
ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد القائلة أو غير زائد عليه وهذا هو  
الباب الثامن •



وهذا المنهج يختلف قليلاً عن منهج السكاكي وهو أقرب إلى الدقة ؛ لأن  
 القزويني ضمّ الموضوعات المتشابهة في فصول مستقلة وكذلك في بحثه ألصق  
 بالبلاغة ورواجها من صاحب « مفتاح العلوم » الذي مزّجها كل مزج . ولكن  
 هذا المنهج لا يجمع الأجزاء ويوحّد الأبواب كل التوحيد ، أي أنه ظلّ قريباً  
 من منهج السكاكي الذي سيطر على البلاغيين وثالث كتبهم تقسم علم المعاني  
 هذا التقسيم ولم يخرج عنه معظم المتأخرين والمحدثين . وحاول المرحوم أمين  
 الخولي أن يضع منهجاً جديداً للبلاغة في كتابه « فن القول »<sup>(١١)</sup> وكانت مباحث  
 علم المعاني من الموضوعات التي مستها ذلك المنهج ، وقد أدخل النكرة والمعرفة  
 في باب الكلمة من حيث هي جزء الجسلة ، وأتبع ذلك الالتفات وأنواع المعارف  
 والقصر والتوسع والتغليب والتعريف عن المثني بالواحد وما إلى ذلك مما ذكره  
 البلاغيون في الخروج على مقتضى الظاهر . وأدخل في الباب نفسه الاستعانة  
 والنداء والنهي وما يؤديه أدواتها من المعانسي وراء الطلب ، وألحق بها صيغ  
 الأمر والأخبار والانشاء ودلالة إحداهما على الأخرى وأثر تبادلها في  
 الاستعمال . وتحدث في النظم أو تأليف الجمل عن التقديم والتأخير ، والحذف  
 والذكر ، وتكلم في الجسلة على ربط جزأي الجسلة بالاستناد ، والتوكيد ،  
 والتقصير بالأدوات « أنا » و « ما » و « إلا » وأدخال أدوات الشرط على  
 الجسلة وأثره ، والإيجاز والامتناب . وذكر في سباب الفقرة الفصل والوصل  
 وإيجاز الفقرة والامتناب . وهذا التوزيع لمباحث علم المعاني أقرب من توزيع  
 السكاكي والقزويني ، فقد فرقها الخولي وباعد بينها ، فكان بعضها في الوضع  
 اللغوي للكلمة من حيث هي جزء الجسلة ، أو من حيث الاستعمال ، وكان  
 بعضها في النظم أو تأليف الجمل وبعضها في الجسلة والنقشة . ولولا توزيع  
 هذه المباحث في الكتب القديمة لكان منهج السكاكي والقزويني أقرب من  
 المنهج الذي رسمه الخولي .

(١١) ينظر فن القول ص ٢١٦ وما بعدها .

إن وضع منهج جديد لعلم المعاني لا يزال بعيداً عن المثال ولكن النظر في كتب المتأخرين يوحى بمنهج أقرب إلى البلاغة من المنهج القديم الذي مزق أوصال البحث الواحد . ونرى أن يضم علم المعاني الأبواب الآتية :

الاول : علم المعاني وصلته بنظرة النظم التي أولاها عبد القاهر أهمية كبيرة .  
الثاني : الخبر والانشاء وما يتصل بهما من أساليب وخروج على المعنى الحقيقي .  
الثالث : أحوال الجملة ، يضم تعريفها والفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، والتعريف والتكثير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، والقصر .

الرابع : الفصل والوصل .

الخامس : الإيجاز والاطناب والمساواة .

السادس : الخروج على مقتضى الظاهر مثل وضع المنصر موضع المظهر ووضع المظهر موضع المنصر ، وأسباب الخروج ، والتثنية ، والأسلوب الحكيم ، والتقليب ، والالفاظ ، وغيرها من الموضوعات الأخرى كالانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين ، والانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع ، والانتقال من الاثنين إلى الجمع ، والانتقال من الجمع إلى الواحد والانتقال من الجمع إلى الثنية .

وقد تجلّى هذا المنهج وتطبيقه في كتابنا « أساليب بلاغية » وهو ليس بعيد عن منهج السكاكي والقزويني ، ولكنه يوحد الأجزاء ويبحث الموضوع الواحد في فصل أو باب ، وبذلك تكون فصول علم المعاني أو أبوابه متناسقة يرتبط بعضها ببعض . وليس في منهج الخولي مثل هذا التناسق أو الارتباط ، فقد أراد أن يسبق مباحث العلماء ولكنه وقع فيها وتضمنوا فيه حينما اعتدوا على المستد والمستد إليه في تقسيم الموضوعات . ولكن منهج علم المعاني يظل مع - محاولة الباحثين - مجالاً للنظر والتدقيق لأن البلاغة ليست من العلوم التي

استقرت والمأهلي كما قال القدماء « لم تضج ولم تحترق » أي أن سبل القول فيها لم توقف وإن الطريق إلى غولها طويل . وهذه مزلة من القول الذي قال الغولي عنه : « تحكم هي خلة من القول وتنسيق يحوت ، لا نقول أنها في صورتها الأخيرة بل قول أنها تخطيط لمحاولة تأمل أن ظل أبسد الدهر — لو أمكن ذلك — رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين يقف إليها ويحذف منها ويسبقها من تهيات له القدرة الصادقة على ذلك وكانت له فيه بصيرة خيرة ليظل هذا الدرس للنم التتولي صدى لعبارة أهله وسبيلا لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية » (١٣) وإذا كان علم المعاني قريبا من النحو أو تفرع من معاني النحو ، فإنه يختلف عنه في معالجة الموضوعات ، وقد فصل القول في ذلك عبد التاھر الجرجاني واتفق إلى أننا لا نريد المعاني الأولى وإنما المعاني الثواني وهي عنده معنى المعنى . ولخص المتأخرون فائدة علم المعاني فقال بهاء الدين السبكي : « ولعلك تقول : أي فائدة لعلم المعاني فإن المفردات والمركبات عشت بالعلوم الثلاثة — اللغة والنحو والصرف — وعلم المعاني غايه من علم النحو ؟ كلا إن غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها وبورا ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يشاؤون به أغراض المتكلم على أوجه لا تنهاى ، وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني . والنحوي — وإن ذكرها — فهو على وجه إجرائي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لا يصل إليه النحوي ، وهذا كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلا بنفسه . وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والافتاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسائل الاختيار والعصوم والخصوم والامسلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والتراجع كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني ، وليس في أصول الفقه ما يفرد

به كلام الشارع من غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء سيرة<sup>(١٣)</sup> . وهذا ما ألسل الكلام عليه عبد القاهر الذي قال ان الصحة في الكلام هي الخطوة الاولى أما المقابلة الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيه من المعاني الثواني التي يدل عليها ، ولذلك كان علم المعاني مهسا في معرفة الأساليب البلاغية وادراكها بعد أن فقد التحو رونقه وأصبح قواعد لا تضمنى إلا بالأعراب والبناء والموامل والجدل المنطقي الذي لا يخدم اللغة كثيرا .

### التطبيق :

لم يمت معظم البلاغيين الاوائل موضوعات علم المعاني لان اهتمامهم كان منصبا على فتون البيان والبدع . ولعل أحمد بن فارس كان من أمبق الباحثين الى هذه المسألة ، فقد عقد في كتابه « الصحابي » بابا باسم « معاني الكلام » وقال : « هي عند أهل العلم عشرة : خبر واستخبار ، وأمر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض ونحشيش ، وتمن وتعيب »<sup>(١٤)</sup> ، ويدخل هذا الباب في الخبر والانتشاء . وتكلم على موضوعات أخر تعد من أركان علم المعاني مثل التقديم والتأخير ، والحذف والاختصار ، والكرار وبعض ما يدخل في الخروج على مقتضى الظاهر وهي : الواحد ويراد به الجسج ، والجمع ويراد به الواحد ، واثنان ومخاطبة الواحد بلفظ الجمع ، والالثناء .

وكان عبد القاهر الجرجاني من أشهر الذين تحدثوا عن علم المعاني في كتب « دلائل الإعجاز » وسماه قلنا وقال في تعريفه : « معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلام بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض »<sup>(١٥)</sup> ، وقال :

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من التحو لمضي في توكيه

وقال : « واعلم ان ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه

(١٣) عروس الأفراح ج ١ ص ٥١ .

(١٤) الصحابي ص ١٧٦ .

(١٥) دلائل الإعجاز ص (ص)

علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نبحث فلا تخرج عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها . وذلك أنا لنعلم شيئا ينبغي النظام ينظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : « زيد منطلق » و « زيد منطلق » و « منطلق زيد » و « منطلق زيد » و « منطلق زيد » وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج » أخرج » « وإن » خرجت » خرجت » و « إن تخرج » أخرج » و « أخرج » إن خرجت » « أخرج » إن خرجت » خارج » وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » و « جاءني يسرع » و « جاءني وهو مسرع » أو « هو يسرع » و « جاءني قد أسرع » و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويحيى به حيث ينبغي له . وينظر في العروف التي تشارك في معنى ثم يفرّد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن يحيى بـ « ما » في هي الحال و بـ « لا » إذا أراد في الاستقبال و بـ « إن » فيها يترجسح بين أن يكون وأن لا يكون و بـ « إذا » فيها علم أنه كائن . وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيها حقه الوصل موضع التوار من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع « ثم » وموضع « أو » من موضع « أم » وموضع « لكن » من موضع « بل » ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والأنسار والأخبار فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي له . هنا هو السبيل فليست بواجب شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظام ويحل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بزمرة وفشل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الزمرة

وذلك التصل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله  
وتشمل باب من أبوابه « ١٣٦ » .

فمعاني النحو أو النظم تشمل الخبر ، وأركان الجملة ، وما يتعلق بالسند  
والمسند اليه من شرط وحال ، وتشمل التفصيل والوصل ومعرفة مواقعها ،  
ومعاني الواو والفاء وثم ويل ولكن ، والتعريف والتشكيك ، والتقديم والتأخير ،  
والحذف والتكرار ، والأضمار والأظهار . والفرق بين هذه الأساليب ليس  
فرقا في الحركات وما يقرأ على الكلمات وإنما في معاني العبارات التي يحدثها  
ذلك الوضع والنظم الدقيق . ولذلك فليست المصنعة في معرفة قواعد النحو  
وحدها ولكن فيها تؤدي إلى هذه القواعد والأمسول من معاني ، ونبت  
المزية باللغة ومعرفتها لأن ذلك لا يؤدي إلى التفاوت بين الكلام ، ولا من أجل  
العلم بأفمن الترويق والوجود فتستند إلى اللغة ولكن للعلم بمواضعها وما  
يجب أن يصنع فيها ، وليست بسلامة الحروف وإنما بالنظم الذي يعطي  
الكلمات والأعراب معنى دقيقا . فالحسن والفضل والزوجة ترجع إلى النظم  
ودقته ، وقد أقام عبدالقاهر نظريته في اعجاز القرآن الكريم والمرقات الأدبية  
على هذه الفكرة وربط صور البيان كالتمثيل والاستعارة والكتابة بها . ومن  
بدع تحليله وربطه الصور بالنظم قوله : « وإذا قد عرفت ذلك فاعبد إلى  
ما توصفوه بالحسن وتباهدوا له بالفضل ثم جملوه كذلك من أجل النظم  
خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ،  
وتأمله ، فإذا رأيته قد ارتحت واعتززت واستحسن فاطلعه إلى حركات  
الأرجحية مم كانت وعند ماذا ظهرت ؟ فإني ترى عبارة أن الذي قلت لك كما  
قلت أعد إلى قول البحراني :

بلوناً خراباً من قد نرى      فما إن رأينا فتح خراباً  
هو المرء أبنت له العادى      تـ عوماً وشيكاً ورأياً صلياً

تنتقل في خلتني سؤدد      ساحبا مرجى وباسا مهيبا  
فكالسيف إن جنته صارخا      وكالبحر إن جنته مستثيا

فإذا رأيتها قد رافقت وكثرت عندك ووجدت لها اخترازا في نفسك نعم  
فاظهر في السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قد تم  
وأخر ، وعرف ، وفكر ، وحذف وأحسر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على العبارة  
وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف  
موضع صوابه وأتى ما يوجب التفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروى منها  
قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنتقل في خاتمي سؤدد »  
بتكثير « السؤدد » وإضافة الخلقين اليه ، ثم قوله : « فكالسيف » وعلمه  
بالقاء مع حذف المبتدأ ؛ لأن المعنى لا محالة فهو كالسيف . ثم تكريره الكاف  
في قوله : « وكالبحر » ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه  
فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما أخرج من  
الأخر وذلك قوله : « صارخا » هناك و « مستثيا » ههنا . لا ترى حسنا  
تسبه إلى النظم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فأعرف ذلك .  
وإذا أردت أشهر أمرا في هذا المعنى فاقتر إلى قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ نيا دهر " وأتكر صاحبه " وسلكت أعداء " وغاب نصير " .  
تكون عن الأحواز داري بنجوه      ولكن مقادير " جرت وأمور " .  
وإني لأرجو بعد هذا محسدا      لأفضل ما يرجى أخ " ووزير "

فانك ترى ما ترى من الروق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ، ثم تنتقد  
السبب في ذلك فتجده انما كان من أجل تنديبه الطرف الذي هو « إذ نيا »  
على عامته الذي هو « تكون » وإن لم يقل : « فلو تكون عن الأحواز داري  
بنجوة إذ نيا دهر » ثم أن قال : « تكون » ولم يقل : « كان » ثم أن تكثر  
« الدهر » ولم يقل : « فلو إذ نيا الدهر » ثم أن ساق هذا التكثير في جميع ما

أخيه من بعد ، ثم أن قال : « وأنكر صاحب » ولم يقل : « وأنكرت صاحباً » .  
 لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تجملته حسناً في النظم ،  
 وكنه من معاني النحو — كما ترى — وهذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية  
 رأيتها قد نسباً إلى النظم ونضل وشرف حبل فيها عليه « (١٧) » .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلم . وهو تحليل يعطي النص قيمة  
 لأنه يظهر ميزته ويوضح ما بين كلماته من صلة وما توحيه من صور تجسد  
 المعنى وتبرزه . ولم يستند البلاغيون من هذا المنهج ومضى السكاكي  
 والقزويني وشراح التلخيص لخصون كلام عبد القاهر وملتفتون بعض أمثله  
 وتركوا تحليله للنصوص وملاحق منهجه النقدي . وقد حاول ضياء الدين بن  
 الأثير أن يقترب من عبد القاهر ولكن « إزراءه النحو وتشنجه على التحاة  
 أبعدته عن المنهج اللغوي التحليلي الذي أبدع فيه المتقدم ، فهو يقول عن ابن  
 جني : « لكن فن التصاحف والبلاغة غير فن النحو والأعراب » (١٨) . ولولا هذا  
 الموقف لجارى عبد القاهر لأنه كان يشعر بسا للنظم من قيمة وقد قال عنه :  
 « هو سبك الألفاظ بعضها مع بعض » (١٩) ، ثم قال : « قاما النظم فإن له  
 أوصافاً أربعة :

الأول منها : أن تكون الألفاظ واضحة يسهل ليست بغريبة الاستعمال .

الثاني : أن تكون الألفاظ حلوة في النسم ، سهلة في النطق ، غير مستقلة  
 ولا مستكرهة .

الثالث : أن تكون كل كلمة من الألفاظ ملائمة لأختها التي تليها ، غير قافرة  
 عنها ولا مباينة لها .

(١٧) دلائل الإيجاز ص ٦٧ — ٦٩ .

(١٨) الأثر السائر ج ١ ص ٢٨٢ ، وينظر الاستفادك ص ١٢ وما بعدها .

(١٩) الاستفادك ص ٥٨ .



الرابع : أن لا يكون في الالتفات تقديم وأخير يستلحق به المعنى ليجيء نظم الكلام مضطرباً .

فهذه أوصاف أربعة تتعلق بالآلفاظ ومتى عرى الكلام المنظوم والشعر منها لم يكن قصيها ، وإن عرى عن شيء منها نقص منه جزء من القصاحة . وفي ضوء ذلك ظهر ابن الأثير إلى الأساليب البلاغية ، وأوضح مثال على ذلك كلامه على التقديم والتأخير ، وهو من الموضوعات التي أدخلها المتأخرون في علم المعاني . قال : « وهذا باب طويل عريض ، يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجه آغا ، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان »<sup>(٢٠)</sup> وقسه إلى ضربين :

الأول : يختص بدلالة الالفاظ على المعاني ، ولو أخطر التقدم أو قدّم المؤخر لتغير المعنى .

الثاني : - يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخطر لما تغير المعنى .

والضرب الأول قسمان : أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ . ومن الأول تقديم المفعول على الفاعل وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على المامـل . والثاني هو المعاطلة المعنوية كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول .

والضرب الثاني : لا يحصره حد ولا ينتهي إلى شرح ، ومن ذلك تقديم السبب على المسبب وتقديم الأكثر على الأقل .

ومنهج ابن الأثير في التحليل يعتمد على أساسين :

الأول : المعنى وهو الذي يحدد موضع الكلمات ويظهر قصد الأدب .

(٢٠) المثل السادس ج ٢ ص ٢٨ .

الثاني : نقل العبارة وانسجام اللفاظ ومراعاة ما توجبه الصياغة من صور .

قال : « وقال عليه البيان — ومنهم الزمخشري رحمه الله — : إن تقديم هذه الصورة المذكورة هنا هو للاختصاص ، وليس كذلك . والذي عندي فيه أن يستعمل على وجهين : أحدهما الاختصاص ، والآخر مراعاة نظم الكلام ، وقالك أن يكون ظنه لا يحسن إلا بالتقديم ، وإذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ وأؤكد من الاختصاص . فاما الأول الذي هو الاختصاص فنحو قوله تعالى : « أفغير الله تباروتي أعبد أيها الجاهلون . ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . يسل الله فاعبد » وكثرت من الشاكرين »<sup>(٢١)</sup> . فانه إنما قيل : « بل الله فاعبد » ولم يقل « بل اعبد الله » لانه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره . ولو قال : « بل اعبد » لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء .

وأما الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى : « إياك نعبد » وإياك نستعين »<sup>(٢٢)</sup> . وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لبيان نظم الكلام ، لانه لو قال : « نعبدك ونستعينك » لم يكن له من الحسن ما لقوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » . ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين »<sup>(٢٣)</sup> فجاء بعد ذلك قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف التثنية ، ولو قال : « نعبدك ونستعينك » لذهبت تلك الطلاقة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير خلاف على

(٢١) سورة الزمر ، الآيات ٦٤ — ٦٦ .

(٢٢) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .

(٢٣) سورة الفاتحة ، الآيات ٢ — ٤ .

أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان . وعلى نحو ما ورد قوله تعالى : « فأوحى إلى موسى . قلنا لا تخف إنا أنزلنا عليك الكتاب »<sup>(٢٤)</sup> . وتقديم الكلام : « فأوحى موسى في قصة خيئة » وإنما قدّم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول ويعرف الجبر قصداً لتحسين النظم . وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فببطل إذن ما ذهب إليه الزمخشري وغيره<sup>(٢٥)</sup> .

ويختلف تحليل ابن الأثير عن تحليل معاصره السكاكي الذي ذكر قواعد تقديم المسند اليه وتأخيره من غير أن يقف عليها ويحلل النصوص ، فهو يقول عن المسند اليه : « وأما الحالة التي تنتفي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره أهم ، ثم إن كونه أهم يقع بأخبارات مختلفة »<sup>(٢٦)</sup> . ثم يحدد تلك الأخبارات منها : لأن أصله التقديم . أو لأنه متضمن للاستفهام ، وأما لأنه ضير الشأن والقصة ، وأما لأن في تقديمه تشويقاً للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه ، وأما لأن اسم المسند اليه أصلح للتساؤل فيقدم ، وأما لأن تقديمه يلبي عن التحظيم والمقام يقتضي ذلك ، وأما لأنه يلبد زيادة تخصيص . وليس في هذه القواعد ما يوضح التقديم والتأخير ويبرز أهميته ويبسط معناه مع أن عبد القاهر قد تحدث عن هذا الموضوع وأوضح المعاني المختلفة التي تقدمها صياغة العبارة حينما يقع فيها تقديم أو تأخير . قال : « هو باب كثير القوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعد الغاية ، لا يزال يتسارع لك عن بديعة وهيضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروك مسمه ، وطفلك لذيذك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان »<sup>(٢٧)</sup> . ومثال تحليله للتقديم والتأخير كلامه على الاستفهام ، قال : « وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يستوعب من التفرقة بين تقديم ما قدّم

(٢٤) سورة طه ، الآية ٦٧ - ٦٨ .

(٢٥) الملل السائر ج ٢ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢٦) مفتاح العلوم ص ٩٤ . (٢٧) دلائل الإعجاز ص ٨٣ .

فيها وترك تقديمه . ومن أبين شيء في ذلك الاستهزام بالهزة فلأن موضع الكلام على أنك إذا قلت : « أفعلت ؟ » فبدأت بالفعل كسان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استهزامك أن تعلم وجوده . وإذا قلت : « أنت فعلت ؟ » فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو ؟ وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : « أبليت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « أفلت الشعر الذي كان في فesk أن تنوليه ؟ » - « أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » . تبدأ في هذا وتعوذ بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتائيه مجوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن . وتقول : « أنت بنيت هذه الدار ؟ » - « أنت قلت هذا الشعر ؟ » - « أنت كتبت هذا الكتاب ؟ » تبدأ في ذلك كله بالاسم . ذلك لأنه لم تشك في الفعل أنه كان ، كيف وقد أشرت إلى الدار مبنية والشعر مقولا والكتاب مكتوبا ؟ وأنا شككت في الفاعل من هو ؟ ففسدا من القرن لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شك ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر . فلو قلت : « أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ » - « أنت قلت الشعر الذي كان في فesk أن تنوليه ؟ » - « أنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » خرجت من كلام الناس . وكذلك لو قلت : « أبليت هذه الدار ؟ » - « أفلت هذا الشعر ؟ » - « أكتب هذا الكتاب ؟ » قلت ما ليس يقول ، ذلك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينك أوجود أم لا ؟ وما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم ، أنك تقول : « أنت شعرا فذا ؟ » - « أرايت اليوم انسانا ؟ » فيكون كلامك مستقيما . ولو قلت : « أنت قلت شعرا قط ؟ » - « أنت رأيت انسانا ؟ » أخطأت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا ؛ لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل محصوص نحو أن تقول : « من قال هذا الشعر ؟ » و « من بنى هذه الدار ؟ » و « من أناك اليوم ؟ » و « من أدن لك في الذي فعلت ؟ » وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين ،

فاما قيل شعر على الجبله ورؤية انسان على الاطلاق فبحال ذلك فيه لانه ليس  
 مما يختص بهذا دون ذلك حتى يسأل عن عين فاعله • ولو كان تقديم الاسم  
 لا يوجب ما ذكرنا من أن يكون السؤال عن الفاعل من هو ؟ وكان يصح أن  
 يكون سؤالاً عن الفعل أكان أم لم يكن ، لكان ينبغي أن يستقيم لك « ٢٨٥ » •

فالتقديم والتأخير يخضع للمعنى وللهدف الذي يسعى اليه المتكلم ، ولم  
 يكن عبثاً أن يعنى العرب في كلامهم بذلك وأن يرصد البلاغيون والنقاد ،  
 وأوضح ما في كلام عبد القاهر ثلاث مسائل :

الأولى : أن الابتداء بالفعل في الاستفهام معناه أن التشكك في الفعل شبه  
 وإن الغرض من الاستفهام أن يعلم المستفهم وجوده •  
 الثانية : أن الابتداء بالاسم في الاستفهام معناه أن التشكك في الفاعل من هو ؟  
 وإن التردد كان فيه •

الثالثة : أن الاستفهام لا يكون عبثاً وانما يأتي حينما يتطلبه الموقف ولذلك  
 لا يصح الاستفهام إذا كان المعنى مبروفاً أو أن المسؤول عنه نصب العبيد •  
 وهذا التحليل فريد في البلاغة العربية لانه يقوم على العلاقات بين الكلم  
 وموقع الكلمة في العبارة ، وتقديم كلمة أو تأخيرها يغير المعنى وينقله من حال  
 الى حال • ولا يفتقر الأمر عند المعنى الحقيقي وانما يعتمد الى خروج الاستفهام  
 الى أغراض أخرى كالترديد والتوبيخ وهو ما تحدث عنه البلاغيون المتأخرون •  
 ولكنهم لم يعتمدوا في دراسته ولم يحللوا هذا النوع من الاستفهام كما حله  
 عبد القاهر السلفي قال : « واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في البقرة وهي  
 للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتفسير ، فإذا قلت : « أنت فعلت ذلك ؟ »  
 كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل ، بين ذلك قوله تعالى حكاية عن قول فرود .  
 « أنت فعلت » هذا بالهتاء يا إبراهيم « ٢٨٦ » • لاشبهة في أنهم لم يقولوا

(٢٨٦) دلائل الإعجاز ص ٨٧ - ٨٨ . (٢٨٧) سورة الانبياء • الآية ٦٢ .

ذلك له - عليه السلام - وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الاستعانة قد كان ، ولكن أن يقر بأن منه كان ، وقد أنشأوا له إلى الفعل في قولهم : « أنت فعلت هذا » وقال هو - عليه السلام - في الجواب : « بل فعله كبيرهم هذا » . ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : « فعلت » أو « لم أفعل » . فإن قلت : أو ليس إذا قال : « أفعلت » فهو يريد أيضا أن يقره بشأن الفعل كان منه ، لا بأنه كل على الجملة . فأي فرق بين الحالتين ؟ فانه إذا قال : « أفعلت » فهو يقره بالفعل من غير أن يسرده بينه وبين غيره . وكان كلامه كلاماً من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة . وإذا قال : « أنت فعلت » كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره ولم يكن منه في نفس الفعل تردد ، ولم يكن كلامه كلاماً من يوهم أنه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن ، بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود منار إليه كما رأيت في الآية <sup>(٢٠)</sup> . واكتفى السكاكي والقزويني بنقل الآية الكريمة حبساً ذكراً خروج الاستعانة إلى معنى التقرير <sup>(٢١)</sup> من غير أن يقتضا عليها ويحللها ويظهر ما فيها من معنى التقرير . وبذلك تحولت الموهبة الأدبية والذوق الفني إلى قواعد ثابتة تقرر ليحفظها المدارس بلا تمثل لها أو تأثر بالنصوص وجعلها .

وللعلم المضارع في الاستعانة موضع غير موقع الماضي ، وقد تحدثت عنه جدد القاهر وأوضح الهدف منه فقال : « وإذا قد بينا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماض ، ينبغي أن ينظر فيه والتعل مضارع . والتقول في ذلك أنك إذا قلت : « أفعل » و « أنت تفعل » لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال ، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي فإذا قلت : « أفعل » كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله وكنت كمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن . وإذا قلت : « أنت تفعل » كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل ، وكان أمر التعل في وجوده

(٢٠) - دلائل الإعجاز ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢١) مفتاح العلوم ص ١٥١ ، الإيضاح ص ١٣٨ .

ظاهراً ويحيث لا يحتاج السى الاقرار بأنه كائن . وإن أردت بـ « تفعل » المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعدد بالانكسار الى الفعل منه وتزعم أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون . فمثال الأول :

أيقننسي والمصرفي مضافجسي ومسونة زرقن كالياب اغوال ؟

فهذا تكذيب منه لافسان تصدده بالتفصيل والكار أن يقدم على ذلك ويستطيعه . ومثله أن يضع طامع في أمر لا يكون مثله فتجهله فتقول : « أروى عنك فلان وأنت متيسم على ما يكره ؟ » - « أتجد عنده ما يحب وقد فعلت وصنعت ؟ » . وعلى ذلك قوله تعالى : « ألهزمكوها وأتسم لها كارهون ؟ » (٣٣) .

ومثال الثاني قوله للرجل يركب الخطر : « أخرج في هذا الوقت ؟ » - « أذهب في غير هذا الطريق ؟ » - « أقرر بنفسك ؟ » ، وقوله للرجل يضيع الحق : « أتسى قديم إحسان فلان ؟ » - « أترك صحبه وتغلبه عن حاله معه لأن تغير الزمان ؟ » كما قال :

أترك أن قلت دواهم خالد زيارته إنسي إذن لليسم

وجملة الأمر أنك تنحو بالانكار نحو الفعل فإن بدأت بالاسم فقلت : « أنت تفعل ؟ » أو قلت : « أهو يفعل ؟ » كنت وجهت الانكسار الى نفس المذكور وأبيت أن تكون بوضوح أن يجيء منه الفعل ومن يجيء منه وأن يكون بتلك المثابة (٣٤) .

ومثال آخر هو الالتفات الذي كان الفن الأول من محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز ، وقد قال في تعرضه : « هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة وما يتبى ذلك . ومن الالتفات الانصراف عن معنى يسكون فيه الى معنى آخر » (٣٥) . وتبعه كثير من البلاغيين في

(٣٢) سور هود ، الآية ٢٨ . (٣٣) دلائل الامجال ص ٩١ - ٩٢ .  
(٣٤) البدیع ص ٥٨ .

مصطلحه وتعريفه غير أن ابن وهب ساء « الصرّاف »<sup>(٢٦)</sup> وساء أساءه بن منقذ « الانصراف »<sup>(٢٧)</sup> واعلم العارسون بهذا الأسلوب وتحدث عنه بالتفصيل الزمخشري في كشافه والسيكاكي في مفتاحه والقزويني في إيضاحه وابن الأثير في مثله السائر والزركشي في برهانه . وقال الزمخشري وهو يفسر قوله تعالى : « إياك تحبّد » وإياك تستعين<sup>(٢٨)</sup> : « فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات في البيان وقد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة . ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى : « حتى إذا كنتم في الثلثك وجرت بهم »<sup>(٢٩)</sup> وقوله تعالى : « واقه الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه »<sup>(٣٠)</sup> . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث الثلاث في ثلاثة أبيات :

تساولك ليك بالأسد ونام الغني ولم ترقد  
وبات وبانت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد  
وذلك من نأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للاستعلاء اليه من أجهالة على أسلوب واحد . وقد تختص مواقفه بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تنطق العلم بعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهات فغولب ذلك المعلوم المتشيز بتلك الصفات قليل : « إياك من هذه

(٢٦) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٢ .

(٢٧) المديح في نقد الشعر ص ٢٠٠ . (٢٨) سورة الفاتحة : الآية ٥ .

(٢٩) سورة يونس : الآية ٢٢ . (٣٠) سورة فاطر : الآية ٩ .



صفاته تخص بالعبادة والاستعانة ، لا تصيد غيرك ولا نستعينه » ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به » (٤٠) .

ولا يخرج كلام السكاكي عن ذلك إلا ما أضاف من أمثلة قليلة قال بعدها : « وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم ، وهذا النوع قد يختص بمواضع بطائفة قلما تتضح إلا لأفراد بلغاتهم أو للحنان المجرى في هذا الفن والعلماء النحارير . ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كسأه فضل بهاء ورواق وأورث السامع زيادة هزّة ونشاط ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان ممن يسع ويعقل » (٤١) . وقدر إليه ابن الأثير قطرة أعشق وقال : « وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن واليها تستمد البلاغة وعنها ينمن . وحقيقته مأخوذة من الثقات الألسان عن بينه وشماله ، فهو يقبل بوجه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلاً . ويسمى أيضاً « شجاعة العربية » وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام ، وذلك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ويثور مالا يتورده سواء ، وكذا هذا الانتقال في الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات » (٤٢) .

وفسره إلى ثلاثة أقسام :

- الاول : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .
- الثاني : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر .
- الثالث : الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي .

(٤٠) الكشف ج ١ ص ١١ - ١٢ .

(٤١) مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٤٢) القل السائر ج ٢ ص ٤ ، الجامع الكبير ص ٩٨ .

وأحسن ما في بحث الأمثلة الكثيرة التي وشح بها كلامه ، وردّه رأي  
الزمخشري ومن تابعه في فائدة أسلوب الالتفات . وقد وضع ابن الأثير  
رأيه بقوله :

« وقال الزمخشري - رحمه الله - إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب  
أما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب نظرية  
لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه . وليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال  
في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إن لم يكن إلا نظرية لنشاط السامع  
وإيقاظاً للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يله من أسلوب واحد  
لينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع . وهذا قدح في الكلام لا وصف  
له ، لانه لو كان حسناً ما ملّ ، ولو سلمنا إلى الزمخشري ما ذهب إليه  
لكان إنما يوجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، لانه  
قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع  
كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجوع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ  
أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى  
أسلوب إنما يستعمل قصداً للتحالف بين المتنقل عنه والمتنقل إليه لا قصداً  
لاستعمال الأحسن . وعلى هذا فافهم وجدنا كلاماً قد استعمل في جميعه  
الإيجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل في جميعه الأطناب ولم ينتقل عنه ،  
وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا : هذا ليس بحسن إذ لم ينتقل فيه  
من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب  
على مثل الزمخشري مع معرفته بأن فصاحة والبلاغة . والذي عندي في  
ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب  
لا يكون إلا لفائدة اكتشفته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب  
إلى أسلوب غير أنها لاتحدد بعد ولا تحيط بشابط ، لكن يشار  
إلى مواضع منها ليناس عليها غيرها . فلا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى  
الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن الخطاب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد

الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى النية فعلما حيث شد أن  
الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وثيرة واحدة  
وانما هو مقصور على الناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعبا  
كثيرة لا تحصر ، وانما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه « (٢٢) » .

ومرقة ابن الأثير في اظهار روعة الالتفات ضرب من الأمثلة والتعليل  
عليها والاشارة إلى ما فيها من روعة وجال ، وهذه الطريقة أنصح فسي  
معالجة البلاغة وتحليل النصوص . ومن ذلك قوله : « فأما الرجوع من  
النية إلى الخطاب فكتنوله تعالى من سورة القاتحة : « الحمد لله رب  
العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين .  
إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم » (٢٣) » هذا رجوع من  
النية إلى الخطاب ، وما يختص به هذا الكلام من التوائد قوله : « إياك  
نعبد وإياك نستعين » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » فانه انما عدل  
فيه من النية إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك  
ولا تعبد ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع  
النية في الخبر فقال : « الحمد لله » ولم يقل : « الحمد لك » . ولما صار  
إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إياك نعبد » فضالبا بالعبادة  
أصراها بها وتقربا منه - عز اسمه - بالانتباه إلى محدوديتها . وعلى  
نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم »  
فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم » علما على  
الأول ، لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نفسه ، فلما صار إلى ذكر  
الغضب جاء باللفظ متحررا عن ذكر الناسب فأستد النعمة إليه لعلنا وروى  
عنه لفظ الغضب تحتنا ولفظنا . فاطر إلى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني  
الفرصة التي الاتهام لا تكاد تخلوها والألهام مع قربها صائقة عنها ، وهذه

(٢٢) المثل السابع ٢ ص ٤ - ٥ - (٢٣) سورة الفاتحة ، الآيات ٢ - ٧ .

السورة قد انتقل في أولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب ايضاً ، لأن مخاطبة الرب — تبارك وتعالى — بأستاد النعمة اليه تعظيم لخفايته ، وكذلك ترك مخاطبته بأستاد الغضب اليه تعظيم لخفايته ، لينبغي أن يكون صاحب هذا الثمن من التواضع والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على استبعادها (٤٥) .

ومن ذلك تعليقه على بيتي تأبط شرا :

باني قد لتيت القول تهوي بسهيم كالصحية صعثمجان

فأضربها بلا دهمير فخرت\* صريحا لليدين وللجيران (٤٦)

قال : « فانه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب القول كأنه يصصرهم إياها مشاهدة للتجرب من جرائته على ذلك القول ، ولو قال : « ففرضتها » علقاً على القول لزالست هذه القائدة المذكورة . فان قيل : إن الفعل الماضي أيضاً يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل ، قلت في الجواب : إن التخيل يقع في التعلين معاً ، لكنه في أحدهما — وهو المستقبل — أؤكد وأشد تخيلاً ، لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعله في وجود الفعل منه . ألا ترى أنه لما قال تأبط شرا : « فأضربها » تخيل السامع أنه مباشر للفعل ، وانه قائم بأزاء القول وقد رفع سببه ليضربها ، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ، لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلاً قد مضى من غير احضار للصورة في حالة سماع الكلام الحال عليه ، وهذا لا خلاف فيه (٤٧) . »

(٤٥) القتل السائر ج ٢ ص ٥ — ٦ .

(٤٦) السهيب : الأرض المستوية . الصححان : الأرض الواسعة . الجران : مقدم عنق البعير .

(٤٧) القتل السائر ج ٢ ص ١٦ — ١٧ .

إن هذا التحليل لاسلوب الالتفات يطعي صورة جلية لما كان عليه الشيخ  
 النقدي عند ابن الاثير ، وهو منهج يقوم على العلاقة اللغوية وما توحي من  
 معنى أولاً وعلى الذوق الرفيع . أما مذهب السكاكي والقزويني وشرائح  
 التلخيص فيقوم على القاعدة وكثيراً ما تخلق الفاعلة في إثارة المعنى وتقديم  
 ما فيه من تأثير . ومن هنا كان الأخذ بمنهج عبدالقاهر وابن الاثير في  
 التحليل ضرورة تتطلبها النزعة الفنية في البلاغة والنقد ، وهي زعة تلتل  
 مرتبطة بالأدب مادام فيه عرق ينبض وما دام فيه إبداع وتجديد . ومما  
 يسوغ ذلك الأخذ أن الرجلين اطلقا من علاقات الكلم فيما بينها أي من  
 التركيب النحوي المرتبط بالاسلوب والذوق الأدبي الرفيع ، وهما ركنا  
 تحليل النصوص ، ومن الوقوف على معناها والتأثر بها في صور .  
 أو الإحساء بالتأثير .

#### المصادر :

- ١ - أساليب بلاغية - الدكتور احمد مطلوب . القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٢ - الاستمراء - شهابالدين بن الاثير - تحقيق الدكتور حفي محمد شرف .  
 القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٣ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة .
- ٤ - البديع - ابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ م .
- ٥ - البديع في نقد الشعر - اسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور احمد احمد  
 بلوي والدكتور حامد عبد المجيد . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٦ - البرهان في وجوه البيان - ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور احمد  
 مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي . بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٧ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور - شهابالدين بن الاثير .  
 تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٥ هـ -  
 ١٩٥٦ م .
- ٨ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا .  
 القاهرة ١٣٧٢ هـ .

- ٩ - الصاحبي - أحمد بن فارس . تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي . بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
- ١٠ - عروض الأفراح في شرح تلخيص المفتاح - بهاء الدين السيدي . ( مطبوع في كتاب شروح التلخيص ) القاهرة ١٩٣٧م .
- ١١ - فن القول - أمين الخولي . القاهرة ١٩٤٧م .
- ١٢ - الكشف - جلاله التومخسري . القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م .
- ١٣ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٤ - المطول - سعد الدين التفتازاني . تركيا ١٢٣٠هـ .
- ١٥ - مفتاح العلوم - السكاكي . القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٦م .



## ( ٤ )

### الفنون البلاغية

#### التهج :

الفنون البلاغية هي : التشبيه والمجاز والكناية - أو ما حسنه المتأخرون علم البيان - والمحسنات اللغوية والمنوية - أو ما سوره البديع .  
وعلم البيان هو « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة لشي وضوح الدلالة عليه وبالتقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه »<sup>(١)</sup> . وتتضح في هذا التعريف عدة حقائق :

الاولى : ان هناك معنى واحداً يراد التعبير عنه في طرق مختلفة .

الثانية : ان التعبير عن ذلك المعنى الواحد قد يكون بالزيادة وقد يكون بالتقصان .

الثالثة : ان ذلك التعبير بالزيادة أو بالتقصان يكون لهدف هو الاحتراز عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه .

وشرح السكاكي هذا التعريف وأوضحه في الفصل الثاني من قسم البلاغة وقال : « والغرض فيه يستدعي تهديد قاعدة ، وهي ان محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالتقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن ، فإليك إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحصة مثلاً وقلت : « خد يشبه الورد » امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا

(١) انظر على المشرفين التريويين في معبد تطوير اللغة العربية قس إيسول سنة ١٩٨١ م .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو انقص . فانك إذا  
أقمت مقام كل كلمة منها ما يراد منها ، فالتامع إن كان عاقلًا يكونها موضوعة  
لتلك المفاهيم كان فهمها كفه من تلك من غير تفاوت فسي الوضوح  
وإلا لم يفهم شيئاً أصلاً ، وانما يسكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن  
يكون لشيء تعلق بآخر ولثالث . فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى  
المتعلق به ، فتمسى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخطائه صَحَّ في  
طريق افادته الوضوح والخفاء . وإذا عرفت هذا عرفت أن صاحب علم  
البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلام <sup>(٢)</sup> . ونكلم على  
الدلالات وبني تقسيم علم البيان عليها فأخرج التشبيه منه لأن دلالة وضعية  
لا يسكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، وحصر الموضوعات الأخرى  
يقوله : « وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأثر إلا »  
في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما  
كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار  
المتلازمات بين المعاني . ثم إذا عرفت أن اللزوم إذا تصور بين الشيئين فاما  
أن يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل أو بين طول  
القامة وبين طول التجاد بحكم الاعتقاد ، أو من جانب واحد كالذي بين العلم  
والحياة بحكم العقل ، أو بين الأسد والجرأة بحكم الاعتقاد - ظهر لك أن  
مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من مفزوم إلى لازم ،  
وجهة الانتقال من لازم إلى مفزوم . ولا يربك بقاهرة الانتقال من أحد لازمي  
الشيء إلى الآخر ما إذا انتقل من يياض الثلج إلى البرودة لمرجه ما ذكر  
ينتقل من اليباى إلى الثلج ، ثم من الثلج إلى البرودة  
فتأمل . وإذا ظهر لك أن مرجع البيان هاتان الجهتان  
علت انصباب علم البيان إلى التعرض للجواز والكتابة فإن المجاز ينتقل فيه  
من المفزوم إلى اللازم كما تقول : « وعينا الغيث » والمراد لازمه وهو الثبت .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .



وقد سبق أن اللزوم لا يجب أن يكون عقليا بل إن كان اعتقاديا إما نعرف أو نغير عرفه ، صح البناء عليه ، وأما نحو قولك : « أمطرت السماء بناء » أي عينا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم إلى المزوم منخروط في سلك « رعينا الغيث » . وأن الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى المزوم كما تقول : « فلان طويل النجاد » فلا يصار إلى جعل النجاد طويلا أو قصيرا إلا لكون القائمة طويلة أو قصيرة ، فلا علينا أن نطلقها أصليا»<sup>(٢٢)</sup> .

لقد حصر السكاكي علم البيان في بحثين هما : المجاز والكناية لأن دلالتهما عقلية ، أما التشبيه فقد أخرجه من البيان لأن دلالته وضعية . وقهم من ذلك أن هذا الفن من الحقيقة لا المجاز ، ولكنه — مع ذلك — لم يستطع أن يعمده عن علم البيان وهو الكثير الاستعمال في اللغة ، وله مزايا تورت الكلا حسنا وجبالا . واضطر إلى أن يصطنع طريقة فيها تكلف فقال : « ثم إن المجاز — أعني الاستمارة — من حيث أنها من فروع التشبيه لا تحقق بمجرد حصول الاشتغال من المزوم إلى اللازم ، بل لابد فيها من خدمة تشبيه شيء بذلك المزوم في لازم له ، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من أن تأخذ أصلا ثالثا وقدمه ، فهو الذي إذا مهرت فيه ملككت زماع التعريب في فنون السحر البياني<sup>(٢٣)</sup> » . وليس التشبيه فنا طارئا وإنما هو كثير الدوران في كلام العرب ، وقد قال المبرد : « والتشبيه جارح كثير في الكلام — أعني كلام العرب — حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يعمد»<sup>(٢٤)</sup> . فعلم البيان هو التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية على الرغم مما حاول السكاكي اصطناعه لأخراج التشبيه من البيان .

ولم يلق السكاكي عند هذه المسألة في دراسة علم البيان وإنما أصر في تقسيمه وتوزيع مباحثه ، واستخدم مصطلحات بعيدة عن فن القول في

(٢٢) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢٤) الكامل ج ٢ ص ٨١٨ .

ذلك التقسيم . ومن أمثلة ذلك الأسراف تشبيه طرفي التشبيه إلى أنواع كثيرة ترتبط بالحسي والعقلي والخيالي والوهمي ، وتشبيه الاستعارة إلى ثمانية أنواع هي : الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ، والاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع ، والاستعارة المصرح بها المحتملة للتعليل والتخيل ، والاستعارة بالكناية ، والاستعارة الأصلية ، والاستعارة التبعية ، والاستعارة المجردة ، والاستعارة الترشيفية . إلى جانب تنوع الاستعارة إلى خمسة أنواع كتشبيه التشبيه إليها وهي : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس . ومن ذلك تشبيه المجاز إلى خمسة أنواع منها الاستعارة التي قسمها إلى ثمانية أضام وأضاف إليها خمسة أنواع ، وتشبيه الكتابة إلى الكتابة المطلوب بها قص الوصف ، والكتابة المطلوب بها قص الصفة ، والكتابة المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف .

وكان هذا التقسيم أساساً في دراسة علم البيان ، وقد قلل الخطيب القزويني في تعريفه : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »<sup>(٦)</sup> . وكان قوله : « طريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » مدعاة للكلام على الدلالات . وذكر - كما ذكر السكاكي - أن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لأن السامع إن كان عالماً بوضع اللفظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض وإلا لم يكن كل واحد منها حالاً وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض . قال : « ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت فرصة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلا فهو كتابة ، ثم المجاز من الاستعارة وهي ما تبني على التشبيه . فتميز الترخيص له ، فالعصر المقصود في التشبيه والمجاز والكتابة . وقدم التشبيه على المجاز لما ذكره من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على

(٦) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٣٥ .

التشبيه . وقدم المجاز على الكتابة لسرول معناها مسرلة الجزء من الكل<sup>(٧)</sup> . وبذلك استقرت مباحث علم البيان فكانت التشبيه والمجاز والكتابة ، ودراستها بهذا الترتيب دقيق وإن حاول السكاكي والغزوي وشراح التلخيص إخراج التشبيه لأن دلالة وضعية . ولكنهم على الرغم من ذلك - قدموه على المجاز لأن أحد أنواعه وهو الاستعارة مبني عليه .

وحاول أبو محمد القاسم السجلاني أن يدرس موضوعات علم البيان دراسة أخرى فعمد الجنس الثاني من كتابه للتخييل وأدخل فيه التشبيه والاستعارة والمجاز ، وعقد الجنس الثالث للاستعارة وأدخل فيه الكتابة والتعريض والتلويح والابهام والتصية والرمز والتورية<sup>(٨)</sup> . وقد يكون هذا المنهج أكثر دقة ، لأن التشبيه والاستعارة وأنواع المجاز الأخرى تتصل بالتخييل ، ولأن الكتابة والتعريض والتورية ترتبط بالإشارة واللغة العامة . ولكن هذا المنهج لم يستد' وظل منهج السكاكي ومن تبعه نحوه عدة الباحثين حتى هذا العصر الذي تعالت فيه دعوات التجديد ، وكان المرحوم أمين الغولي من أكثر الباحثين اقتداراً على وضع منهج جديد نفس القول ، وقد أدخل التشبيه والاستعارة والكتابة في صور الإيضاح المعلن<sup>(٩)</sup> . وليس ذلك دقيقاً ، لأن هذه الفنون يلتصق بها الخفاء أحياناً ، وتسميتها « التخييل » كما فعل السجلاني أقرب ، قال : « هذا الجنس من علم البيان يشتمل على أربعة أنواع تشترك فيه ويحد عليها من طريق ما تحل المتواطئ على ما تحته ، وهي نوع التشبيه ، ونوع الاستعارة ، ونوع امثالة - وقوم يدعونه التشثيل - ونوع المجاز . وهذا الجنس هو موضوع الصناعة الشعرية<sup>(١٠)</sup> » .

والحق السكاكي علم البديع بالبلاغة وقال بعد أن انتهى من بحث علمي المعاني والبيان : « وإذا قد تقرر أن البلاغة برجعها ، وإن القصاحة بنوعها ،

(٧) الإيضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٢٧ .

(٨) الفرع البديع ص ٢١٨ ، ٢٦٢ .

(٩) فن القول ص ٢٢١ . (١٠) الفرع البديع ص ٢١٨ .

ما يكثر الكلام حلة التزيين ورفية أعلى درجات التحسين ، فهنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يشار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا صير أن تشير إلى الأعراف منها ، وهي قسبان : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ (١١) . ولم يسمها بديعاً ، وكان بشرا الذين بن مالك أول من أطلق عليها ذلك وقال في تعريف علم البديع : « هو معرفة توابيع الفصاحة (١٢) » وقسمه إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية ، والمعنوية أما مختصة بالفهم والتبيين وأما مختصة بالتزيين والتحسين ، أي أن البديع عنده ثلاثة أقسام وهو ما لم يأخذ به البلاغيون ، وحينما ألب الخطيب الفروزي « التلخيص » و « الإيضاح » فصل علم البديع فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان ، وقال : « إن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام القصيح من غيره . والثاني — أعني التمييز — منه ما ثبت في علم متن اللغة أو التصرف أو النحو ، أو يدرك بالحوس ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي . وما يحترز به عن الأول — أعني الخطأ — وهو علم المعاني — وما يحترز به عن الثاني — أعني التعقيد المعنوي — هو علم البيان . وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع (١٣) » . وقال عن البديع : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة (١٤) » .

والبديع عنه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى ، وضرب يرجع إلى اللفظ ، ومن الأول : المطابقة ، والمقابلة ، ومراعاة النظر ، والأرصاد ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والتورية . ومن الثاني : الجناس ، ورد المعجز على الصغر ، والسجع ، والموازاة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم .

(١١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(١٢) الصباح ص ٧٥ .

(١٣) الإيضاح ص ١١ ، التلخيص ص ٣٦ .

(١٤) الإيضاح ص ٣٢٤ ، التلخيص ص ٢٤٧ .

والبديع - عند الفروني - يعود على الكلام بالتحسين العرضي  
 لا الدائي مع أن كثيراً من ألوانه ينضجها الحال ويحتاج اليها الأدب  
 كصحة التسميم ، والمثابرة ، والطائفة ، والمبالغة . وسار أكثري البالغين  
 على خطاه وخالفه بعضهم ، قال بهاء الدين السبكي : « يحتل أن يراد بعد  
 معرفة رعاية تخطيطه ووضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعد يصرف بها  
 وجوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح . ومعرفة التطبيق والوضوح  
 سابقان على معرفة التحسين ليكون المعاني والبيان جزأين للبديع . ويحتل  
 أن يراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين  
 فلا يكون المعاني والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له . وقد صرحوا بأن المراد  
 هو الأول .... والحق الذي لا يثارع فيه متصف أن البديع لا يشترط  
 فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، ولأن كل واحد من تطبيق الكلام على  
 مقتضى الحال ومن الأيراد بطرق مختلفة ومن وجوه التحسين قد يوجد  
 دون الآخرين . وأدل برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان  
 يتعرضون إلى بيان اشتغال شيء منها على التطبيق ولا تجدهم في شيء من  
 أمثلة البديع يتعرضون لاشتغاله على التطبيق والإيراد . بل تجد كثيراً  
 منها خالياً عن التسمية والاستعارة والكتابة التي هي طرن علم البيان . هذا  
 هو الانصاف وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين<sup>(١٥)</sup> » .

واضطربوا في توزيع فنون البديع فوضعوا قسماً منها في علم المعاني  
 وأعادوا بحثها في علم البديع ، وعلم ذلك أنهم كانوا يفترون إليه من زاويتين:

الأولى : أن تحسينه عرضي .

الأخرى : أن تحسينه ذاتي .

ومن ذلك الالتفات ، فقد تحدث عنه السكاكي في علم المعاني وقال :  
 « ويسى هذا النقل التفاضل عند علماء المعاني . والعرب يستكثرون منه ويرون

(١٥) عروض الانحراج ج ٤ ص ٢٨٢ .

الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن نظرية لنتائه وأمثالاً باستمرار أصغائه»<sup>(١٦)</sup>، وأدخله قائيه في علم البديع وعدّه من المحسنات المعنوية ، ولكنه لم يتكلم عليه واكتفى بقوله : « وقد سبق ذكره في علم المعاني »<sup>(١٧)</sup> . وكان الزمخشري قد عدّه من البيان<sup>(١٨)</sup> ، وإن لم يقصد به علم البيان الذي ضبطه السكاكي بتعريفه وإنما يريد به البيان بمعناه الواسع . فالسكاكي تردد في وضع الالتفات وعمل ابن يعقوب المغربي ذلك بقوله : « فإن قلت : لأي وجه خصصت به علم المعاني مع أن عدّه الالتفات من البديع أقرب ، لأن حاصل ما فيه أنه يقيد ظرافة وحسن نظرية فيصغى إليه لظرافته وإبداعه ولا يكون الكلام به مطابقاً لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعاني . فضلاً عن كونه يختص بهم فيسوّيه به دون أهل البديع ؟ قلت : أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني فصحيح كما إذا اقتضى المنام فائدته من طلب مزيد الأصغاء لكون الكلام سؤالاً أو مدحاً أو إقامة حجة أو غير ذلك ، فهو من هذا الوجه من علم المعاني . ومن جهة كونه شيئاً ظاهرياً مستتباً يكون من علم البديع . وكثيراً ما يوجد في المعاني مثل هذا فليفهم ، وأما تخصيص علماء المعاني بالنسبة فلا حجر عليه ، والله أعلم »<sup>(١٩)</sup> .

ولولا تقسيم السكاكي للभाغة إلى علومها الثلاثة ما احتاج المغربي وغيره إلى هذا التحلل والافتراق في التأويل . لأن الالتفات لا يستعمل من غير أن يؤدي معنى فيكون مطابقاً لمقتضى الحال وتكون فيه ظرافة وملاوة . إن الالتفات من أسلوب إلى آخر لا يكون ، إلا إذا اقتضى الحال ذلك وأريد

(١٦) مفتاح العلوم ص ٩٥ .

(١٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .

(١٨) الكشف ج ١ ص ١١ .

(١٩) مواهب الفتح ج ١ ص ٤٦٤ .

به نوع من الابداع والشمه الفنية ، ولذلك ينطبق عليه تعريفنا علم المعاني وعلم البديع ، أي أنه من مقاصد الكلام وأساليب التعبير . لقد ظر المتأخرون الى الالتفات هذه النظرة الجامدة ، فهو من البديع إن كان تحسبه عرضياً ، ومن المعاني إن كان تحسبه ذاتياً ، وأشار الدسوقي الى هذه المسألة فقال : « واعلم أن المحسنات البديعية إنما يكون تحسبها عرضياً إذا اعتبرت من حيث أياها محسنة وهي من هذه الجهة يبحث عنها فسي علم البديع . وأما إذا اعتبرت من حيث أنها مطابقة لمقتضى الحال لكون الحال اقتضاه كانت موجبة للحسن الذاتي ومن هذه الجهة يبحث عنها فسي علم المعاني . ولهذا ذكر المصنف فيهِ الالتفات الذي هو من المحسنات البديعية » (٢٠) . وقال المقرئ : « إن البديعيات إذا قصد بها مناسبة الأحوال التي أوردت لأجلها عادت معاني . والمطابق إذا ذهل عن تلك المناسبات فيها وأني بها لأجل طرائقها فقط كانت بديعيات » (٢١) . وليس وراء هذا النزاع كبير فائده لأن كل فن بديعي إذا استعمل بدقة وعناية ووضع الوضع الذي يقضيه المعنى كان جيلاً سواء عدّ تحسبه عرضياً أم ذاتياً .

وجاء بعد الفزوني أصحاب البديعيات ولكنهم لم يريدوا بالبديع المحسنات المعنوية والفكرية وحدها وإنما اتون البلاغة كلها أي أن نظرتهم كانت قريبة من نظرة ابن المعتز وأبي هلال العسكري وابن رشيق وأسامة ابن منقذ . ولم تؤثر البديعيات كثيراً في البحث البلاغي . وساد منهج السكاكي والفزوني وشرح التلخيص ، وأصبح البديع خاصاً بالمحسنات التي يتوهم بها لحسن الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . وحاول المحدثون أن يجددوا في منهج البديع وسئلوا فنونه تصنيفاً جديداً يقوم على جمع الأقسام والنظائر ومنهم آدور مرقس الذي ردّها الى الموازنة ، والمخالفة . والترتيب والبلاغة ، والاستنراج ، والتلميح . وحسن التعليل ،

(٢٠) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٢١ .

(٢١) مواهب الفتح ج ٢ ص ٢٢٤ .

والإيهام ، والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع<sup>(٢٢)</sup> . وأدخل في الملائمة - مثلاً - الطباق ، والمقابلة ، وإيهام التضاد ، والمناقضة والعكس والتضيق واللب والإيهام والرجوع والاستدراك . ومنهم منيس المقدسي الذي ردها إلى ستة أبواب هي : التماثل ، والتواطؤ التقضي ، والتواطؤ المعنوي ، والمغايرة ، والخروج عن المعتاد ، والإيهام إلى الغرض<sup>(٢٣)</sup> . وأدخل في التماثل - مثلاً - التوازن والملائمة والسجع والتسبيط والترصيع والتشواجر . وهذا أقرب إلى ما ذكره السجستاني الذي حصر البلاغة في عشرة أبواب هي : الإيجاز ، والتخييل ، والاشارة ، والمبالغة ، والرصف ، والمطاهرة ، والتوضيح ، والاتساع ، والانتشاء ، والتكرار . وذكر في الرصف - مثلاً - الارصاد والمقابلة والاتصاف والتقسيم والتسويل .

ووزع المرحوم أمين الخولي بعض فنون البديع على عدة أبواب فذكر في الكلمة من حيث هي عنصر لغوي : الجنس ، والسجع ، والترصيع . والتصریح ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يلزم . ووضع في الكلمة - من حيث هي جزء الجملة - الالتفات، ووضع في صور الايضاح المثلن القلب وأسلوب الحكيم والمبالغة وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتدبيح والتنهيج والالهاب والتعظيم والتجاهل ، ووضع في صور التعبير المضللة السرمز والاماء ، والالغاز ، والثورة والاستخفا والامساع<sup>(٢٤)</sup> . وهذا توزيع طريف وإن كان أسلوب الحكيم - مثلاً - ليس من صور الايضاح المعلن وإنما هو من صور التعبير المضللة. وينبغي رأي الخولي - بعد ذلك - أن يرب الآراء في توزيع فنون البديع وإن لم يكن الأخير .

#### التطبيق :

ليس في كتب البلاغة المتأخرة ما يقع كثيراً في دراسة فنون البيان

(٢٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد التاسع، ص ٤٨١ .

(٢٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ( المجلد الثلاثون ) ص ٣٥ .

(٢٤) في القول ص ٢١٧ - ٢٢٢ .



والبديع لأن أصحابها كالسكاكي والخطيب والقزويني وسعد الدين التتائزي وبناء الدين السبكي وابن يعقوب المغربي والدسوقي أسرفوا في التقسيم وضبط القواعد والافتقار من الأمثلة وتحليلها . ولعل العودة إلى الكتب التي تقدمتها كمثل السائر لابن الأثير ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لمبدئ القاهر تفني عن هذه الكتب المتأخرة ، وترجع إلى البلاغة العربية أصالتها ، لأن ابن الأثير وعبدالقاهر اعتصما على التحليل العلمي أولا وعلى الذوق السليم ثانيا ، أي أن القاعدة والذوق كانا أساس الإبداع في كتبهما . والوقوف على هذه الكتب يرفد البحث البلاغي بالجدة والطرافة ويقود إلى عمل نقدي خلّاق يبدع فيه الناقد أيضا إبداعا .

لقد تحدث السكاكي عن التشبيه وقال إنه « مستدعٍ طرفين مشبها ومشبهاً به واشتركا بينهما من وجه واختراقة من آخر » . مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس . فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصرًا ، والثاني كالطوفين إذا اختلفا حقيقة انشأً وفرساً . وإلا فانت غير بأنّ ارتضاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التبعين يأبى التعدد فيطيل التشبيه ، لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً بمشاركته المشبه في أمر ، والشيء لا ينصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف ، وإن التشبيه لا يصر إليه إلا لغرض وإن حاله تضاوت بين القرب والبعد ، وبين القبول والرد<sup>(٢٥)</sup> . وهذا هو معنى التشبيه عند البلاغيين غير أن السكاكي أسرف في التقسيمات والنظر إلى هذا القسّم نظرة عقلية ، وتحدث عن طرفيه وجه الشبه والغرض منه وأحواله . وليس الغريب مثل هذا التفصيل ولكن الغريب أنه لم يظهِر روعة التشبيه والتشليل مثلما أظهرها عبدالقاهر الذي قسم التشبيه إلى ضربين<sup>(٢٦)</sup> :

(٢٥) مفتاح العلوم ص ١٥٧ .

(٢٦) أسرار البلاغة ص ٨٠ .

الأول : أن يكون من جهة أمر يثبت لا يحتاج فيه الى تأويل مشمل أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة ، أو أن تجمع الصورة والصور معاً كقول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كمنشود ملاحية حين نوراً

الأخر : أن يكون الشبه محصلاً بفرب من التأويل مثل : « هذه حجة كالشمس في الظهور » وقد شبهت الحجة من جهة ظهورها ، ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأويل . قال « حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الاجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه ما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشيء لك ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو لم يكن بينك وبينه ذلك الحجاب . ثم تقول ان الشبهة قلل الحجاب فيما يدرك بالعمول لأنها تمتنع القالب رؤية ماهي شبهة فيه كسا يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من وراءه ، ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يسروم القلب ادراكه ويصرف فكره للوصول اليه من صحة حكم أو فساد » فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجة على صحة ما ادعى من الحكم قيل : « هذا ظاهر كالشمس » أي ليس ههنا مانع عن العلم به ولا للترقب والشك فيه مبالغ ، وان الشكر له إما مدخول في عقله أو جاهد مباهت ومصرف في العناد ، كما ان الشمس طالعة لا يشك فيها ذو بصير ولا يشكرها إلا من لا عذر له في انكاره . فقد احتجت في تحصيل الشبه الذي أثبتته بين الحجة والشمس الى مثل هذا التأويل كسا نرى » (٢٢) .

وما طريقه التأويل يشاوت تفاوتاً شديداً ، فمنه ما يقرب ماخذها وييسل الوصول اليه وييسل المقادة طوعاً حتى انه يكاد يداخل القرب الأول الذي ليس من التأويل في شيء ، ومنه ما يحتاج فيه الى قدر من

(٢٧) اسرار البلاغة ص ٨٢-٨٣ .

التأمل ، ومنه ما يدق ويضف حتى يحتاج في استخراجة الى فضل روية ولطف فكرة ، وفي ذلك مجال واسع للتفنن في القول ووصول الى أرفع فنون التشبيه وهو التشثيل الذي يكون وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله الى تأويل كقول ابن المتمر :

احشبر\* على مضطفر الحشو د\* ، فان صبرك قاتله  
فالتسار تاكل\* بعضهما إن\* لم تجيد\* ما تأكله  
وقول صالح بن عبدالقدوس :

وإن\* من أدبته في العبث كالغود يستقى الماء في غرميه  
حتى تراه متورقاً فاضراً بعد الذي أبصرت\* من يشبه  
وهذه الآيات تحتاج الى تأويل ولا تتم الصلة بين الأطراف إلا بضرب  
من التأمل وإطالة النظر .

والتشيل الذي هو أولى أن يسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة  
من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما أو غل\* في كونه  
عقلياً محضاً كانت الحاجة الى الجملة أكثر كقوله تعالى : « إننا مثل الحياة  
الدنيا كما أنزلناه من السماء فاخبط به نبات الأرض ما ياكل الناس  
والأنعام حتى إذا اتخذت الأرض زخرفتها وأزغيت\* وطم أهلها  
أنهم قادرون عليها أتاهم امرأة ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كآن لم  
تغن\* بالأمس » (٢٨) . فقد كثرت الجمل حتى إننا لرى في هذه الآية  
الكريمة عشر جمل إذا فصلت ، والشبه متشزع من مجموعها من  
غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ولا حذف شيء منها ، فلو حذفنا  
جملة واحدة من أي موضع كان أخل\* ذلك بالمعنى من التشبيه وفسرنا  
الصورة المركبة . ولا ينبغي أن تعد الجمل في هذا النحو بعد التشبيهات

(٢٨) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

التي ينسج بعضها إلى بعض والأعراض الكثيرة التي كل واحد منها مترد  
بنفسه بل بعدد جملة شمس ثمانية منها على أوالة وثلاثة على ثمانية وهكذا.  
« ما كان من هذا الجنس لم ترتب فيه الجبل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب  
أن تكون هذه سابعة وثلاث تالية لها والثالثة بعدها » قتي قولنا : « زيد  
كالأسد بأماً ، والبحر جوداً ، والسيب مضاءً ، والبشر بهاءً » لا ينبغي أن  
رتبه هذا الترتيب دائماً بل نستطيع أن نقدم ونؤخر فيه من غير أن تختل  
الصورة ، وكذلك قول الشاعر :

الشمس\* ميسك\* والوجوه\* دنأ\* نير\* والأطراف\* الأكف\* غنم\*

لستطيع أن رتبه ترتيباً آخر لولا الوزن ولاستطيع ذلك في الآية ،  
لأن كل جزء فيها يتوحد إلى الجزء الذي يليه .

ومن أروع صور التحليل عند عبدالقاهر كلامه على التمثيل ، وهو  
على وجهين (٣٦) :

الأول : أن يجيء في أعقاب المعاني .

الآخر : أن يبرز المعنى باختصار في معرضه ويقتل عن صورته الأصلية

إلى صورته . قال : « وأعلم أن ما اتفق المعتزلة عليه أن التمثيل إذا جاء  
في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورتها  
الأصلية إلى صورته كسماها آية وكسبها مثابة ورفع من اقتدارها وشب من  
قارها وشاعف قراءها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها  
من أناسي الالفدة صبابة وكثفا وشر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفا .  
فإن كان مضطراً كان أبهى وأخف ، وإن كان ذماً كان مسه أوجع ، وإن كان  
حجاباً كان يرماه أنور ، وإن كان اختصاراً كان شأوه أمد » ، وإن كان اختصاراً  
كان إلى التبول أقسرب ، وإن كان عظماً كان أشقى للصدر ، وهكذا الحكم

(٣٦) اسرار البلاغة ص ١٠١ وما بعدها .

إذا استقرت فنون القول وضروب وتبعات أبوابه وشعوبه وإن أردت أن تعرف ذلك وإن كان ثقل الحاجة فيه إلى التعرف ويسني في الوشوف عليه عن التوقيف فالظرر إلى نحو قول البحرى :

دانم على أيدي العتاة وشاسع " عن كل ندم في البدى وضسريب  
كاليدر أقرط " في العلو وضوءه للعصبة السارسن جسد قريبر  
وفكر في حاله وحال المعنى منك وانت في البيت الأول لم تنه إلى  
الثاني ولم تدبر نصرت إياه وتشيله له فيما يلي الانسان عيناه وبؤدي  
إليه فاضراه ثم قسمها على الحال وقد وقت عليه وءملت طريقه فسألك  
تعلم بعد ما بين حالتك وشدة غلاوتها في سكن المعنى لديك ونجبه اليك  
وبله في قصك وتوفيره لاسك وتحكم لي بالمدن فيما قلت والحق  
فيما ادعيت \* . فالتمثيل ينبل ويوجد بمقدار تأثيره في النفوس وليسأدا  
التأثير أسباب وعقل ، فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن  
تخرجها من خفي إلى جلي وتأثيرها يصريح بعد مكنتي ولن تردعا في الشرح  
تعلقها إياه إلى شيء آخر هي بشأته أعلم وتعلقها به في المعرفة أحكم ، نحو  
أن تنقلها عن العقل إلى الاحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار  
والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع  
وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام ،  
وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : « ليس بالخبر كالمعينة » و « لا التلن  
كاليتين » فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأئس ، أي الأئس من جهة  
الاستحكام والقوة .

وضرب آخر من الأئس وهو ما يوجه تقدم الالف كما قيل : « ما الحب  
إلا للحبيب الأول » ، ومعلوم أن العلم الأول أئس النفس أولا  
عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النشر والروية فهو  
إذن أسهل بها رحبا وأقوى لديها دفعا وأقدم لها صحة وأكد  
عندما حرمة . فانت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في قلبك

غير مثل ثم مثله كسكن يظهر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف الحجاب  
ويقول : هاهو ذا فأبصره تجده على ما وصفت .

والمعاني التي يجيء التمثيل في عقبها على ضربين :  
الأول : غريب بدیع يمكن أن يخالف فيه وينص امتاعه واستحالة  
وجوده وذلك نحو قول المتنبي :

فإن تتشقق الألام وأنت منهم فإن المسكك يمشق دهر العزالر  
الآخر : أن لا يكون المعنى الممثل غريباً يحتاج في دعوى كونه على  
الجملة إلى بينة وحجة وأليات كقول الشاعر :

فأصبحت من ليلي الغداة كفاضهم على الماء خاتمه فزوج الأصابع  
فائدة التمثيل وسبب الالس في الضرب الأول يبين لائح لانه يبيد  
فيه الصحة ويشفي الرب والشك ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف وتهجم  
المنكر وتهكم المعارض . وأما الضرب الثاني فإن التمثيل وإن كان لا يفسد  
فيه هذا الضرب من الفائدة فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه وذلك أن  
الوصف كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة  
الثبت والتقرير في ذاته وأصله فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه ووضع  
قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه في القوة والضعف والزيادة  
والنقصان .

وسبب ثالث موجب لهذا الحسن وذلك التأثير هو أن تصوير الشيء من  
الشيء في غير جنسه وشكله والنشاط ذلك له من غير محله واجتلابه إليه  
من النيف البعيد باباً آخر من الطريف واللفظ ومذهباً من مذاهب الاحسان  
لا يخفى موضعه من المقل . وأحضر شاهد على هذا أن تنظر إلى تشبيه  
المشاهدات بعضها ببعض فإن التشبيهات سواء كانت مشتركة أم خاصة  
مقصورة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من  
السامعين ولا تهر ولا تحرك حتى يكون الشيء مقروراً بين شيئين مختلفين في

الجنس . تشبيه العين بالترجس عامي مشترك معسوف في أجيال الناس جاور في جميع العادات ، وأنت ترى بعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس ، وتشبيه الثريا بما شبت به من عتود الكرم المنسور ، والتلجج المنفص والوشاح الشميل وأشباه ذلك خاصي ، والتباين بين التشبه والتشبه به في الجنس على ما لا يخفى . وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجسدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أحب وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب . وذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستطراف والمثير للدين من الارتياح والمناظر للنظر من المسرة والمؤلف لأطراف البهجة أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين ومؤثرين مختلفين وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الإنسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تشبهاك إذا فصلت هذه الجيلة وتبعمت هذه اللوحة ، ولذلك تجد تشبيه البنسج في قوله :

ولا زورديّة تزهو بزرقتهما بين الرياض على حتمتر اليواقيت  
كأثنا فوق قامات شعثت بها أوائل النار في أطراف كبريت  
أنزب وأعجب وأحق بالولوع وأجدر من تشبيه الترجس بداهن در  
حشوه عتيق ، لأنه أراك شبا لنبات غرض يرف وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف من لب نار في جسم مستوالم عليه اليبس وباهر فيه الكلف .  
ومنى الطباع وموضوع الجيلة على أن الشئ، إنا نرى من مكان لم يشهد طوره  
وخرج من موضع ليس بعد له كانت صباة النفوس به أكثر وكان  
بالشف منه أجدر .

وإذا ثبت هذا الأصل وهو أن تصوير التشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرك قوى الاستحسان ويثير الكامن من الاستطراف فإن التشبيل أخص شيء بهذا الشأن وأسبق جاور في هذا الرهان . وهل تشك في أنه يصل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق

والغرب ويصعب ما بين المشتم والمُرق ، وهو يريك للسانني المشتم بالأوهام  
شبهها في الأشخاص المماثلة والإشباع القائمة ويطلق لك الأخرس ويطلق  
البياض من الأحمى ويريك الحياة في الجباد ويريك التمام عين الأضداد  
فيأتيك بالحياة والموت محبوبين والماء والنار مجتمعين .

وسبب رابع لهذا الحسن والتأثير هو أن المعنى إذا أمّاك مثلاً فهو  
في الأكثر ينبغي لك بعد أن يعوجك الى طلبه بالتسكرة وتحريك الخاطر له  
والهمة في طلبه ، وما كان منه اللف كان امتناعه عليك أكثر وإبائه  
أظهر واحتجابه أشد . ومن المركوز في الطباع أن الشيء إذا نيل  
بعد القلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة العنين نحوه كان ليله أعلى وبالسرية  
أولى فكان موقعه من التمس أجل واللف وكانت به أضن وأضعف ، ولذلك  
ضرب المثل لكل مالطف موقعه ببرد الله على القضا كما قال القطامي :  
وهو "يُسَيِّدُ" من قوله "يُصَيِّسُ" به "مواقع" لله من ذي المثلثة الصادي  
وأشياء ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة اليه وتقدم المطالبة من  
النفس به .

ومضى عبدالقاهر في تحليل التشليل وكشف عن جماله وتأثيره في  
النفوس ، وعرض لنصاحته وبلاغته وقال إن فصاحته علفية أو معوية  
لا نظمية ، وذلك « أنه ليس من عاقل يشك إذا غفر في كتاب يزيد بن الوليد  
الى مروان بن محمد حين بلغه أنه يتكلم في بيعته : « أما بعد فإني أراك  
تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أمّاك كتابي هذا فاعتد على أيّما شئت  
والسلام » . يعلم أن المعنى أنه يقول له : « بلغني أنك في أمر البيعة بين  
رأين مختلفين ، ترى ثارة أن تباع وأخرى أن تتنع من البيعة ، فساداً  
أمّاك كتابي هذا فاعمل على أي الرأي شئت » . وإن لم يعرف ذلك من  
لفظ التقديم والتأخير أو من لفظ الرجل ولكن بأن علم أنه لا معنى لتقديم  
الرجل وتأخيرها من رجل يدعى الى البيعة ، وإن المدعى على أنه أراد أن



يقول : «إن مثلك في ترددك في أن تباع وبين أن تستع مثل رجل قائم ليذهب في أمر جعلت نفسه تراه تارة» أن الصواب في أن يذهب وأخرى أنه في أن لا يذهب فجعل يقدم رجلاً تارة ويؤخر أخرى ، . وهكذا كل كلام كان ضرب مثل لا يظفي على من له أدى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من اللفاظ ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجسوع الكلام أدله على الأغراض والمقاصد (٢٠) .

ومثال آخر هو الاستعارة التي تعد أهم صور التخيل ، وقد بحثنا البلاغيون بصور مختلفة ، ولكن منهج السكاكي في بحثها ساد الدراسات البلاغية وأحاطها قواعد لا تنفي كثيراً وأقساماً يصل الدارس فيها . وكان معاصره ابن الأثير أبعد منه عن القواعد والتقسيمات فقد نظر إليها نظرة تنمذ على الذوق ولم يحكم فيها الأصول المنطقية والتعليلات العقلية ، وعلق على قوله تعالى : « الر كتاب » أثرتاء إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (٢١) بقوله :

« فالظلمات والنور استعارة للكفر والايان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوي الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الايمان الذي هو كالنور » (٢٢) . وقال بعد أن ذكر آيات ذلك الجن :

لما قرئت اليه عن حدق الميا وبسست عن مفتاح الشوار  
وعتقدت بين قضيب بلذر أهيمر وكتيببر ومثل عقدة الزقار  
عصرت خدي في الثرى لك طائعا وعزمت فيك على دخول النار

وهذه الآيات لا تجد لها في الحسن شريكاً ولأن يسى قائماً شحوراً  
أو لي من أن يسى ديكاً (٢٣) . وقال بعد آيات ذلك الجن الأخرى :

(٢٠) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨ .

(٢١) سورة ابراهيم ، الآية ١ .

(٢٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٧ . (٢٣) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٧ .

لا ومكان الصليب في البحر حيث لك ومجرى الزوار في الخضير  
والخال في الخد إذ أشبهه ورمدة منك على ثرى يثر  
وحاجب منذ خفت قاتم الب حشش بحر البهاء لا الجسر  
واقصوان فيك منتظهم على شبيه من رائق الخضير  
« فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو  
الثغر والريق » (٢٤) .

وليس في هذا التحليل عبق ولكنه يشتد على الذوق ويوضح عن  
الهدف بأقرب عبارة . وكان تحليل عبدالقاهر للاستعارة أعسق وأقرب  
إلى المنهج اللغوي المعتمد على العلاقات بين الكلم ، قال عن : « وسالت  
باعتاق المني الأباطح » : « وليست القرابة في قوله : « وسالت باعتاق  
المني الأباطح » على هذه الجيلة وذلك أنه لم يقرب لأن جعل المني في سرعة  
سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن  
الدقة واللفظ في خصوصية أباها بأن جعل « سال » فعلاً للأباطح ثم  
عداه بالياء ثم بأن أدخل الاعتاق في البيت فقال : « باعتاق المني » ولم  
يقبل بالمني ، ولو قال : « سالت المني في الأباطح » لم يكن شيئاً . وكذلك  
القرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سال » ولكن في تعديته بـ « على »  
والياء ، وبأن جعل فعلاً لقوله « شارب المني » . ولولا هذه الأمور كلها  
لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع يفتق فيه الكلام » (٢٥) . وهذا تحليل  
للغوي أظهر روعة الاستعارة . وقد حلل عبدالقاهر هذه الاستعارة تحليلًا  
آخر وصور المعنى مجسداً في الآيات :

ولما قضينا من مني كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح  
وشغقت على دمعهم الجاري رحلتنا ولم ينظر العادي الذي هو رالح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت باعتاق المني الأباطح

(٢٤) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ . (٢٥) دلائل الإعجاز ص ٦٠ .

قال : « اظهر هل تجد لاستحسانهم وحسنهم وثائهم ومنهم منصرفا  
إلا الى استعارة وقع بموقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل  
مع البيان حتى وصل المعنى الى القلب وصول اللفظ الى السمع واستقر في  
الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلا الى سلامة الكلام من العشو  
غير المتبد ، والفضل الذي هو كالأزادة في التحديد وشيء داخل المعاني  
المقصودة مدخلة العليلاني الذي يستقل مكانه والاجنبي الذي بكره  
حضوره ، وسلامته من التقصير الذي يضطر معه السامع الى طلب زياده  
بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها واعتد دليل حال  
غير منصح أو نياة مذكور ليس لتلك النياة يستصلح . وذلك ان أول  
ما يتلذذ من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجه »  
فعبّر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من قروضها وسنتها من طريق  
أمكنه أن يقصر مع اللفظ وهو طريقة العموم ثم تبعه بقوله : « ومسح  
بالأركان من هو مسح » على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ودليل  
المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث  
بيننا » فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زم الأركان وركوب الركبان .  
ثم دلّه بلفظة « الأطراف » على الصفة التي يختص بها الرضا في السفر  
من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطوفين من  
الإشارة والتلويع والرمز والاياء ، وأنها بذلك عن طيب النفوس وغوة  
النشاط وقضل الاعتباط كما توجه إليه الاصحاب وأئمة الاجياب ،  
وكما يليق بحال من وفق لقضاء العادة الشرفية ورجا حسن الاياب وتسم  
روائح الأحياء والاولطان واستماع الثنائسي والتحاب من الفضلان  
والاخوان ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه واقاد  
كثيراً من القوائد بلفظ الوحي والتشبيه ، فصرح أولاً بما أوما إليه في  
الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الروايل وفي  
حال التوجه الى المنازل ، وأخير بعد بسرعة السير ووماء القلير ، إذ جعل

سلامة سيرها بهم كثافة تسيل به الاطمح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله  
لأن الظهور إذا كانت ومليئة وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في  
نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً . ثم قال : « بأعناق  
المطي » ولم يقل « بالمطي » لأن السرعة والبطء يغيران غالباً في اعضائها  
وبين أمرها من هوائها وصدورها ، ومائر أجزائها تمتد إليها في الحركة  
وتتبعها في الثقل والخفة ويعبر عن المرح والتفاسك إذا كانا في نفسها  
بالإميل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في  
المقادير » (٣٦) .

هذه صورة لتحليل عبدالقاهر وإن كان متأثراً فيه بإبن جني (٣٧) ،  
وقد أظهر فيه روعة الاستعارة والعلاقة بين الجبل التي أحسدت مشاهد  
لأبحس بها إلا من شهد موسم الحج ودان حلاوة التسوق إلى الأهل  
والأوطان . وكان ابن قتيبة قد عثر على الأبيات نظرة تختلف عن فطرية  
ابن جني وعبدالقاهر ورأى أنها ما حسن لفظه وطاب وليس وراء ذلك كبير  
معنى . قال : « هذه الالتفات - كما ترى - أحسن شيء مخارج ومطالع  
ومقالمع ، وإذا عثرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قلنا أيام منى واستمت  
الأركان وعالينا الجنا الانضاء ومضى الناس لايتظر القادي الرائح ، ابتدأنا  
في الحديث وسارت المطي في الاطمح » (٣٨)

وفرق كبير بين هذا التحليل وتحليل ابن جني وعبدالقاهر المدين  
جسكنا المعنى تجسيدا ، وجعلا السامع يحترق للآيات ويستريح الشجون إلى  
موقف الحج وطواف الوداع والذهاب للمودة إلى الأهل والوطن . وفي ذلك  
تأثير للاستعارة التي تجلت في الآيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط  
الكلم وأخذ بعضه بأطراف بعضه الآخر .

(٣٦) أسرار البلاغة ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣٧) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

(٣٨) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ - ٦٧ .

ولست فنون البديع بأقل أهمية من فنون البيان ، فقد حفل الشعر الجاهلي وكتاب الله العزيز وحديث الرسول الكريم والشعر الاسلامي بصور كثيرة منه ، فالمطابقة والمذهب الكلامي والمبالغة وغيرها من المحسنات المعروفة يغلبها المعنى ويقضيها التعبير ، والجناس والسجع والموازنة وغيرها من المحسنات اللفظية تثير في النفس مالا يثيره الكلام حينما يجيء خلواً من عذب اللفاظ . ولعل الذي جعل الإبداء والتفاد يظفرون من صور البديع هو ما أسرف فيه المتأخرون من الاكثار منها والتسابق في إيجاد ألوان جديدة لا يضلها الذوق الرفيع . وكان الأوائل قد اكتشفوا بما لا أثر في الكلام ، ويتضح ذلك في كتاب « بديع القرآن » لآل أبي الاصبغ المصري الذي جسج كثيراً من فنون البديع التي جاءت في كتاب الله وكان لها موقع حسن وبيان يليق . وأهل الخطيب القزويني كثيراً ما كان شاعراً في عصره لأنه لم يجد فيها روعة وجبالاً ، قال بعد أن انتهى من بحث البديع : « وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين منها ما يشين أهالي لأحد سبب لعدم دخوله في من البلاغة نحو ما يرجع في التحسين إلى التلمذ دون التنظير مع أنه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط وكون الحروف متقوطة أو غير متقوطة ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى التردد » أو لعدم حضواء نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين ما هو داخل فيها ذكرناه كما سبناه الايضاح فإنه في الحقيقة راجع إلى الإطناب ، أو خالف فيه ، كما سبناه حسن البيان» (٣١) .

ومثال فنون البديع الجناس أو التمجيس وهو فن اهتم به البلاغيون والنقاد ، ووضع ابن المعتز ثاني فنون بديع الخمسة وقال : « وأن يجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام» (٣٢) . واهتم به عبدالقادر وأشار إلى بعض أنواعه وذكر أنه لا يحسن إلا إذا اقتضاه المعنى وتطلبه ، فقال : « فانك لا تجد تجميساً مقبولا ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي

(٣١) الايضاح ص ٤٠١ . (٣٢) البديع ص ٢٥ .

طلبه واستدعاءه وساق نحره ، وحتى تجده لا تبني به بدلاً ولا تجده عنه  
 حولاً \* ومن هنا كان أعلى تجنيس تسميه وأعلى وأحبه بالحسن وأولاه  
 ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجلاله وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن  
 ملامته — وإن كان مطلوباً — بهذه المزايا في هذه الصورة وذلك كما يتلون  
 به أبداً من قول الشافعي — رحمه الله تعالى — وقد سئل عن النبي فقال :  
 « أجمع أهل الحرمين على تحرره » \* وما تجده كذلك قول البحري :

يخشى من المجد النبي\* وليس ترى    في مؤدد أرباً لغير أروى  
 وقال : « فإن ساعدك الجد كما ساعدني قوله : « أو دعاني أمّت بنا  
 أو دعاني » وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله :

وأجبتهم\* من بعد إتهام داركم    قيادتم\* أتجدني على ساكني نجدر  
 لذلك ، وإلا\* أطلقت السنة العيب وأقضى بك طلب الاحسان من حيث  
 لم يحسن الطلب إلى أفضى الاساءة وأكبر الدب » \* وعمل جبال الجناس  
 بقوله : « أما التجنيس فافك لاستحسن جناس اللطنين إلا إذا كان موقع  
 معنيهما من العقل موقعاً حيداً ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً \*  
 أترك استصغرت تجنيس أبي تمام في قوله :

« مَهَبَتْ » بذهب الساحة\* فالتوت\* به القنون\* « مَذْهَبٌ » أم مَذْهَبٌ  
 واستحسن تجنيس القائل : « حتى نجا من غرقه وما نجا » وفول  
 الحديث :

قالوا فيما جنسى فالغسراء أو\* دعاني أمّت بنا أو دعاني  
 لأمر يرجع إلى اللفظ \* أم لافك رأيت الفائدة شغفت عن الاول وقسور  
 في الثاني ؟ ورأيتك لم يرد بـ « مَذْهَبٌ » و « مَذْهَبٌ » على ان أسمك  
 حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تبعها إلا مجهولة متكررة ؟ ورأيت الآخر  
 قد أعاد عليك التفتة كأنه يندعك من الفائدة وقد أعطاها ، ويوهيك كأنه لم

يردك وقد أحسن الزيادة ووفاعا ؟ فهذه السيرة صار التجسس وخصوصا المستوفي به المثق في الصورة من جلس الشعر ومذكورا في أقسام الديق » . وقال « واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجسس وجعلتها العلة في استجابة الفضيلة وهي حسد والافساده مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفي المثق الصورة كنوله :

ما مات من كثرهم الزمان فانه بجا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرمو الجاري هذا المجري كنوله :

فانصرف فيسا جنسى فاضرام أو دعائى أمت بما أودعائى  
فقد تتصوكر في غير ذلك من أقسامه أيضا ، فسا يظهر ذلك في ما كان نحول  
أبى تمام :

يبدون من أيلر عواصم عواصم تصول بأسياف فواض قواصير  
وقول الجسري :

لئن صدقت عا قريت<sup>(١١)</sup> تشم صواد الى تلك الوجوه الصواد  
وذلك لك تنوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من « عواصم »  
والباء من « قواصير » أها هي التي مضت وقد أرادت أن تبتك<sup>(١٢)</sup> نالية وعود  
اليها مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها ووعى سبك آخرها انصرفت  
عن ذلك الأول وزلت عن الذي سبق من التخييل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من  
طوع الفائدة بعد أن يخالفك اليأس منها وحصول الريح بعد أن تغافل فيه  
حتى ترى أنه رأس المال<sup>(١٣)</sup> . وهذا أصدق تطيل لجبال الجنسائى  
وذلك حينما يطلبه المني ويستدعيه ، وقد سار التزويج على خطى عبد القاهر  
في الحديث عن تأثير هذا الفن وجاله<sup>(١٤)</sup> . ونقل البكسي عن صاحب

(١١) أسرار البلاغة ص ٦ - ١٩ ، دلائل الامجاد ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(١٢) الايضاح ص ٣٨١ .

« كنز البلاغة » أن أهمية التجنيس هي الميل إلى الاصغاء إليه ، فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً واصغاءً إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حصل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخر كان للنفس التسوق إليه<sup>(٤٢)</sup> . ولو نظر البلاغيون إلى هذا الفن كما نظر عبدالقاهر إليه ما أصبح قسماً قبيحاً ، ولأخذ موقعه الصحيح الذي يقتضيه المعنى وتطلبه الجرس البديع .

وحاول المحدثون أن يملأوا جبال هذا الفن فقَالَ الدكتور ابراهيم سلامة إنه لا يخرج عن نظرية تداعي المعاني وتداعسي الالفاظ في علم النفس ، فهناك ألفاظ متصلة كل الالفاظ أو بعضها في الجرس واختلاف في المعنى كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً . وهذه النتيجة النفسية هي التي تفرح لنا كيف يقع التجنيس للشاعر دون معناه إذا كان ملماً بلغته محسناً بلوفياً ، علماً بتصاريفها واشتقاقها<sup>(٤٣)</sup> . وأرجع علي الجندي جباله إلى ثلاثة أسباب :

الأول : تناسب الالفاظ في الصورة كنها أو بعضها ، وهو ما يطعن إليه الفوق ويحتاج له .

الثاني : التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً فيطرب الأذن وورق النفس ويهز أوتار القلوب .

الثالث : التلاعب الإكاذ الذي يلجأ إليه المجنّس لاختلاف الالفاظ واختلاف الأفكار<sup>(٤٤)</sup> .

ولا يكاد كلام هذين الباحثين يخرج عما ذهب إليه عبدالقاهر وإن استخدمنا المصطلحات الحديثة كتداعي الالفاظ وتداعي المعاني والتجاوب

(٤٢) مروس الأفراح ج) ص ٤١٢ .

(٤٤) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١١٧ .

(٤٥) فنّ الجناس ص ٢٦ .



## الموسيقى .

ومثال آخر من فنون البديع هو « حسن التعليل » وذلك « أن يندى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي »<sup>(٤٦)</sup> . وهذا الفن من التخييل عند عبدالقاهر ، قال : « ونوع آخر وهو أن يندى في الصفة الثابتة للشيء أنه إذا كان لعله يضعها الشاعر ويقتلها إما لأمر يرجع إلى تعظيم المدح أو تحظيم أمر من الأمور »<sup>(٤٧)</sup> . ومن الغريب في ذلك قول الشاعر :

لو لم تكن لية الجوزاء خيداً منك لما رأيت عليها عيئاً مستطير  
فقد عكلك اجشاع النجوم حول الجوزاء بأنها استغداد لخدمة المدح  
والإلا لما انتظم ذلك الانتظام . ومنه قول المتنبي :

لم تحبك فالتكّ السحاب وأنا حشكت به فصببها الرشضاء  
فالسحاب لم تنزل المطر لأنها حشكت من نائل المدح وكرمه فكانت كالترق  
الذي يتصبب من جسم المصوم . وقد تكون للشيء علة مشهورة عن طريق العادات والطباع ، ثم يعيها الشاعر فينتج أن يكون لتلك العلة المعروفة وضع له علة أخرى كنول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن يتي إغلاف ما ترجسو الذئاب  
والمعروف أن قتل الرجل لعنوه يكون للدفاع عن النفس أو حماية الوطن  
ولكن المتنبي لم يذكر هذه العلة وإنما قال إن « سيف الدولة يقتل أعاديه لأجل  
إشعام الذئاب التي وعدّها بأن يقدم لها لحم الأعداء ، وهو يفعل ذلك  
لكي لا يشتف وعده » .

(٤٦) الإيضاح ص ٣٦٧ .

(٤٧) أسرار البلاغة ص ٢٥٦ .

ودراسة عبدالقاهر لهذا الفن من أبداع الدراسات القديمة وأحسنها ، ولم يصف إليها أحد ما يكتسبها جدة أو يطورها ، وكل ما فعله المتأخرون أنهم لخصوا كلامه وأمثلته ، فالقزويني - مثلاً - فسم حسن التعليل إلى أربعة أقسام ؛ لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علة أو غير ثابت أريد إثباته ، والاول إما أن لا يظهر له في العادة علة أو يظهر له علة غير المذكورة ، والثاني إما مسكن أو غير مسكن . وكلام عبدالقاهر أقرب من هذا الكلام إلى دلالة حسن التعليل لأنه لم يقسم هذا الفن تقسيماً عقلياً ولم يدخل المسكن وغير المسكن ؛ لأن الأمر يتعلق بالتخييل ، والتخييل ربما لا يكون مسكناً . ولذلك جاءت دراسة عبدالقاهر طريقة لهذا الفن الذي يرتبط بالتخيال والسي ذلك أشار المحدثون فقال حامد عبدالقاهر : « أما التعليل الأدبي وهو المسمى بحسن التعليل فأساسه التخيال والعاطفة ، والفرض من التأثير في الوجدان وإدخال السرور على السامع بصدق أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته أو شدة ألم ألم به ... أما التعليل العلمي فمردّه إلى التعقل والتدبر العقلي والبحث في طبائع الأشياء » . وفرق بينهما من جانب آخر فقال : « إن التعليل العلمي تعليل واقعي موضوعي يرجع فيه العالم إلى الواقع والحقيقة ، وإن التعليل الأدبي تعليل ذاتي فسي يرجع فيه الأدب إلى ذوق الفني وخياله الأدبي وعاطفته الجمالية » (١٤) . وهذه نغمة فنية تظهر ما فسي فتون البديع من معانٍ وصور وتكتشف صا وراءها من دلالات غابت عن كثيرين .

(١٤) دراسات في علم النفس الأدبي ص ٤٩-٥١ .

## المصادر :

- ١ - ابرار الثلاثة - عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق ريتز ، استانبول ١٩٥٤م .
- ٢ - الأيضاح - الخطيب القزويني ، القاهرة .
- ٣ - البديع - ابن العز ، طبعة كراشكوفسكي ، لندن ١٩٢٥م .
- ٤ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ ، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبدالجيد ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م .
- ٥ - بديع القرآن - ابن أبي الأصم المدري ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ٦ - بلاغة الرسل بين العرب واليونان - الدكتور ابراهيم سلامة ، القاهرة ١٩٥٢م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب القزويني ، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي ، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - حاشية الدسوقي على شرح التنفازي - محمد بن محمد الدسوقي ، ( مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٣٧م ) .
- ٩ - الخصائص - ابن جني ، تحقيق محمد علي التجار ، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٠ - دراسات في علم النفس الأدبي - حامد عبدالقادر ، القاهرة ١٩٤٩م .
- ١١ - دلائل الإنبساط - عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٦م .
- ١٣ - هروس الأفراح - بهاء الدين السيكي ( مطبوع في شروح التلخيص ) .
- ١٤ - فن الجناس - علي الجندي ، القاهرة ١٩٥٤م .
- ١٥ - فن القول - أمين الخولي ، القاهرة ١٩٤٧م .
- ١٦ - الكشف - جلال الزمخشري ، القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م .
- ١٧ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - غياث الدين بن الأثير ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٨ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ١٩ - المصباح - بدر الدين بن مالك ، القاهرة ١٣٤١هـ .
- ٢٠ - مفتاح العلوم - السكاكي ، القاهرة ١٩٣٦م .
- ٢١ - المنزع البديع - أبو محمد القاسم السجلماي ، تحقيق غلال الغازي ، الرياض - القرب ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
- ٢٢ - مواهب الفتاح ابن يعقوب المغربي ، ( مطبوع في شروح التلخيص ) .



## البلاغة بين المنطق والتذوق

ليس ما أقوله اليوم جديداً فقد قلته امس وسأقوله غداً ما دامت اللغة العربية خالدة كخلود العروبة والقرآن . وقد يكون القول أكثر شغاً في هذه الأيام بعد أن أخذت البلاغة تحسر في الدراسات الحديثة وغسل لبعضهم أن عهداً قد انتهى وأنه قد جاءت مقاييس جديدة هي أحسن مما كان العرب يجاوزون إليه ، حتى إذا ظهرت النبوية ودخلت الدراسات القوية والنقدية عاد الباحثون إلى البلاغة العربية واتخذوا عبدالقاهر الجرجاني إماماً .

ولست البلاغة مما يتلقى حيناً ويرجع إليه أحياناً ؛ لأنها « فن القول » الذي يتشبع بالكلام المذهب منه ويرجع إليه . وكان هذا الفن عبدة القصر وزاد الأديب وارتبط منذ نشأته بالاعجاز وأصبح متعلماً من معالم الثقافة ، ولا يكاد دارس ينأى عنه وإن آمن بما قلل إلى العربية في عهود الازدهار . وما الصدود عنه إلا تنكر للإصالة وابتناء عن السبيل التويم ، وليس تجديداً ما يبيع اليوم من قطعة بينه وبين الدارسين ولا تحرراً ما يرسف في أغلاله قوم أضاعوا الماضي والحاضر فأذا هم في درب لا يقضي إلى مسارب النور .

✽ أقيمت هذه المحاضرة في مقر الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين مساء يوم الأربعاء ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٤ الموافق ٢٧ صفر ١٤٠٥ هـ وعرفت في تلفزيون بغداد مساء الثلاثاء ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٤ وأثارت نقاشاً في بعض المجلات والجرائد العراقية مثل مجلة ألف باء وجريدة الجمهورية وجريدة بستان الصداقة بالانكليزية ، ونشرت في مجلة آفاق عربية ( آذار ١٩٨٥ ) - العدد الثالث .

لقد ظنوا أن البلاغة هي ما عرّفوه في كتب المتأخرين وأنها قواعد صارسية صيغت بأسلوب عقيم ، وأن لا سبيل إلى التطوير والتجديد وما علوا بهجهما سررت براسل كثيرة تطورت خلالها وتولدت بالوان مختلفة. وطبعنا مؤثرات ابقى بعضها من البيئة العربية كالقرآن الكريم واللغة والنحو والأدب ، وازدهر بعضها في ظل العلوم المستحدثة كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام . وكان هذان المؤثران : الأصل والمستحدث سببا في ظهور اتجاهين مابين في البلاغة العربية هما « المدرسة الكلامية » و « المدرسة الأدبية » . وأهم هذين الاتجاهين أو المدرستين قديم وقد نبّه أبو حنن الحارثي (٣٩٥هـ) اليهما وقال : « وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه قصد مستأع الكلام من الشعراء والكتاب فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل »<sup>(١)</sup> . وقال جلال الدين السيوطي ( - ٩١١هـ ) وهو يترجم لشيخه « ووزعت البحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمطالع والبيان والبدع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة المجمع وأهمل الفلسفة »<sup>(٢)</sup> . ولو لم تكن معالم هذين الاتجاهين واضحة ما سرح إيسو خلال بذلك منذ عهد مبكر ولا اقتصر السيوطي بأنه درس البلاغة على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة المجمع وأهل الفلسفة وعلم الكلام . وذلك يؤكد وقوع البلاغة بين المنطق والتذوق ووضوح بعض السمات لكل اتجاه ، ولعل أهم ما تنصف به طريقة البلاسة العناية بالتحديد والتعريف والتقسيم المنطقي والاهتمام بجعل التعريف جامعا مانعا ، واستعمال أساليب الفلسفية والمنطقية في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها واستعمال الالفاظ البلاسية والمنطقية والاعتلال من الأمثلة الأدبية وتفوقها وإطلاق الأحكام العقلية . وأهم ما تسم به طريقة العرب والبلغاء الانحداد عن التحديد والتقسيم وإن جئحت الى ذلك فعلى غير تقى وقفاذ والتزام لتصحيح التام للأصول المنطقية

(١) كتاب الصنائع ص ٩ .

(٢) حسن الحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٥٧ .

وتجنب اقتباس المنطقيات ومساائل الفلسفة ، وإطلاق الأحكام الأدبية ، ولذلك كانت تعمل مرة ولاستطيع التعليل مرقأخرى ، لأنها ترجع الروعة والجمال الى الذوق والاحساس الذاتي (٣٢) .

إن هذين الاتجاهين يمثلان واقع البلاغة العربية في عهد ازدهارها ولكن هل كانت بينهما قلبية ؟ وهل كان كل اتجاه يسمى بعيداً عن الاتجاه الآخر ؟ لقد كان البلاغي يمزج بين المذهبين في كثير من الأحيان ، لأن الاعتماد على القاعدة وحدها أو على الذوق وحده أمر لا يتحقق فسي الدراسات المبينة على نظرة علمية ومنهج دقيق ، والبلاغة والنقد من هذه الدراسات وليسا أحكاماً عقلية من غير وعي أو برهان . فالجاحظ ( - ٢٥٥هـ ) - وهو رأس فرقة اعتزالية سبقت الجاحظية - يميل الى الناحية الأدبية ويحكم الذوق ، وأبو هلال الذي حاول الابتعاد عن طريقة المتكلمين اتجه نحوهم في العرض والتقسيم . وكان عبدالقاهر الجرجاني ( - ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ ) يميل الى المدرسة الكلامية في كتابه « دلائل الإعجاز » وينتج الى المدرسة الأدبية في كتابه « أسرار البلاغة » ويمزج بينهما في كثير من الأحيان . وكان يحيى بن حمزة الطوسي ( - ٧٤٩هـ ) قد جمع بين الاتجاهين في كتابه « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز » . ولكن على الرغم من هذا الامتزاج كانت سمات كل اتجاه واضحة ، ولعل الموازنة بين متعاصرين هما السكاكي ( - ٦٣٦هـ ) وابن الأثير ( - ٦٣٧هـ ) توضح أوجه الاختلاف بين المدرستين .

قسم الاول البلاغة الى علميين متبذين هما : علم المعاني وعلم البيان ، وحصر موضوعات كل علم حصراً منطقياً والحق بهذا البديع الذي عبده وجوها يؤتى بها لتزيين الكلام ، وأدخل الأساليب الكلامية والفلسفية في

(٣٢) للتفصيل انظر : البلاغة عند السكاكي ص ١٠١ ، القزويني وشيخه  
اللفظي ص ٣٥ ، دراسات بلاغية ونقدية ص ١٤ ، البلاغة العربية  
ص ٢٥ ، البلاغة والتطبيقات ص ٣٠ .

معالجة القضايا الأدبية . وقسم الثاني البلاغة الى الصناعة اللغوية وهي  
 الالتقاط وبعض فنون الديق كالسجع والتجنيس والترصيع ولزوم ما لا يلزم  
 والموازنة واختلاف صيغ الالتقاط وانماها والمعاينة اللغوية والمنافرة بين  
 الالتقاط في السبك . والصناعة المعنوية وهي الاستعارة والتشبيه والتجريد  
 والالفاظ والايجاز والالطاف والتكرار والكتابة والسرقات وغيرها . ولم  
 يصغر الموضوعات حصراً منطقياً ولم يدخل الأساليب الكلامية فني بحث  
 القصص الأدبية لأنه كان قائماً على تلك الأساليب وكان يعد ابن سينا  
 والفارابي وأمثالهما رجالاً أضلهم أرسطو وأفلاطون .

أما معالجة الموضوعات فننتضح في عرض الاستعارة عندهما إذ بدأ  
 السكاكي هذا الفن الذي أدخله في علم البيان بتعريفه قائلاً : « هي أن  
 تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدمياً دخول المشبه في  
 جنس المشبه به » دالاً على ذلك بإتيانك للمثبه ما يخص المشبه به «<sup>(١)</sup> .  
 ويدخل في هذا التعريف القسان الأساسيان للاستعارة هما : الاستعارة  
 التصريحية والاستعارة المكتبة . وقد أوضح ذلك بالتشليل الذي ذكره بعد  
 التعريف فقال : « كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدمياً  
 أنه من جنس الأسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنس مع  
 مد طرق التشبيه بأفراده في الذكر » . وهذا مثال التصريحية ، أما المكتبة  
 فمثالها كما قال : « أو كما تقول إن النية أثبتت افتقارها وأنت تريد بالنية  
 السبع بدعاء السبعة لها والكار أن تكون شيئاً غير سبع فتثبت لها ما يخص  
 المشبه به وهو الألفاظ » . ثم تحدث عن أقسامها المختلفة وذكر لكل لون  
 أمثلة قليلة اقتطع معظمها من أمثلة عبدالقاهر .

وبدا ابن الأثير بحث الاستعارة بالكلام على رجوعها الى المعنى  
 لا اللفظ وقسم المجاز الى قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

ضربان : تشبيه عام وتشبيه محذوف ، فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمثبه به ، والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المثبه به . وفسرنا بسجن الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، وعرف الاستعارة بقوله : « والذي عندي من ذلك أن يقال : حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي » ذكر المتقول إليه ؛ لأنه إذا احتز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه . وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهراً ومضمرًا وتجيء إلى المشبه فتعبره اسم المشبه به وتجريه عليه <sup>(٥)</sup> . ولم يقسم الاستعارة إلى أقسامها المعروفة وإنما تحدث عن أقسام المجاز التي ذكرها الامام الترمذي وقال إنها ترجع إلى ثلاثة أنواع : التوسيع والتشبيه والاستعارة . ثم بدأ بالأمثلة التي يستفيد منها المتعلم ما لا يستفيد من ذكر الحد والحقبة ، وهي أمثلة كثيرة بدأها بقوله تعالى : « الر كتاب أولناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور <sup>(٦)</sup> » ثم قال : « فالظلمات والنور استعارة للكفر والإيمان أو للضلال والهدى ، والمستعار له مطوي الذكر كانه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الإيمان الذي هو كالنور <sup>(٧)</sup> » . وهذا تحليل واضح لقوله تعالى يبين الاستعارة فيه بلا استخدام للأغاليب المطلوبة أو الكلامية في العرض والتأويل . وقال معلقاً على آيات ذلك الجن :

لما ظهرت لي عن حدك المها      وبسنت من متشح النوء  
وعقدت بين قسيب بانم أهيف      وكثير دملر عقد الزنار  
عشرت خدي في الثرى لك طامعاً      وعزمت فيك على دخول النار

(٥) المل السار ج ١ ص ٣٦٥ .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية ١ .

(٧) المل السار ج ١ ص ٣٧٤ .



« وهذه الأبيات لاتجد لها في الحسن شريكا ، ولأن يسمى فاعلها شحورا  
 كقولهم من أن يسمى ديكاً »<sup>(٨)</sup> . وقال عن أبيات ذلك الجن أيضا :

لا مكان الصليب في الثعثر من كثرة وعجى الزغار في الخضم  
 والخل في الخسد إذ أشبهه وردة مسك على ثرى تيسر  
 والحوانم ببيك منتظم على شبيه من راقب الخصر  
 « فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة ، والمستعار له هو الثعثر  
 والريش »<sup>(٩)</sup> .

وقال عن بيت البحري :

وصاعقة في كفه تنكسي بها على أرؤس الأعداء خمس سحاب  
 « وهذا من النمط العالمي الذي شملت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر  
 إلى استعارته . والمراد بالسحاب الخمس الأصابع »<sup>(١٠)</sup> . وقال السكاكي :  
 « أظهر حين أراد استعارة السحاب لأفامل بين المدحوق قريبا على ما جسرت  
 به المادة من تشبيه الجواد بالبحر الفيض نارة وبالسحاب البطال أخرى ماذا  
 صنع ؟ ذكر أن هناك صاعقة ثم قال : من « نصله »<sup>(١١)</sup> فيشأن أن تلك الصاعقة  
 من نصل سيفه . ثم قال : « على أرؤس الأقران » ثم قال : « خمس » فذكر  
 العدد الذي هو عدد جميع أفامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لمسا أراد من  
 استعارة السحاب لأفامل »<sup>(١٢)</sup> . وهذا الشرح أكثر توضيحا من كلام ابن  
 الأثير وأقرب إلى مفارك المتاملين وإن كان الأول يسمى الجانب الفني مسكا

(٨) الثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(٩) الثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٠) الثل السائر ج ١ ص ٢٨٠ .

(١١) رواية السكاكي للبيت :

وصاعقة من نصله تنكسي بها على أرؤس الأقران خمس سحاب

(١٢) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .

رفيقا وترك السامع يسبح في دليا الخيال . وتظهر الموازنة أن السكاكي يميل إلى العهد الجامع المانع وهو مهم في الدراسات العلمية ، وأن ابن الأثير يرمي إلى معنى الاستعارة من غير ضبط لأركانها وتحديد لأقسامها . وتبدو استفادة الأول من المصطلحات العلمية في تقسيم الاستعارة ، فهو يذكر التحقيق والتخييل والأصلي والتبني والتصریح والكنایة والقطع والحمل والحسي والعقلي ، وليس في كلام الثاني شيء من ذلك لأنه يثر من هذه التقسيمات والمصطلحات . ويدنو الجور على الناحية الأدبية في أمثلة السكاكي فهو لا يذكر إلا أبياتا قليلة تمثل الاستعارة بأنواعها الثمانية التي حصرها ، وذكر ابن الأثير عشرات الأبيات والقطع الشعرية وعلّق عليها تعلیقا ذوقيا واكتفى بالمعبرة الموحية واللمحة الغالة ولم يسرف في التأوويل كما فعل السكاكي الذي أحال مباحث البلاغية ميداناً للجدل وعثرٌ خسر أساليب علم الكلام .

إن هذه الموازنة الجبلى توضح اختلاف المدرسة الكلامية عن المدرسة الأدبية في التعرف والتقسيم والتحليل ، وهو اختلاف ينبع من طبيعة المنهج الذي اتبعته كل مدرسة ومن ثقافة المؤلف وذوقه ، وهو اختلاف تقتضيه الدراسات الأدبية لولا أنه يسرف في التحل ويسم في التحكم العقلي عند أصحاب المدرسة الكلامية ويوغل في الإيجاز أو اللحظة عند أصحاب المدرسة الأدبية . وهذا الاختلاف لا يؤدي إلى القطيعة بين المبرسطين أو يلغي دور البلاغة في تقويم الأدب ، فمسي « فن القول » أو طرائق التعبير التي يعرض بها الأدب أفكاره ويصوغها في أسلوب متميز يسم صاحبه ويدل عليه دون غيره ، وهذا من أهم صفات الأدب ، أي أنه صاحب أسلوب ، وليس غريبا أن يقال بعد ذلك : « إن الأسلوب من الرجل نفسه » أي هو طابع الكتاب وإمضاءه على الفكرة . فالبلاغة مهمة للأدب ولن يغني عنها النقد لأنه يفقد جزءاً من وسائله إذا ما أهملها أو أشاح عنها ، وكان العرب قد جمعوا بين البلاغة والنقد وعدّوها فناً واحداً

ولا يكاد كتاب قديم يتبرد بالبلاغة أو النقد إلا ما كان من الكتب المتأخرة  
التي اتخذت السكاكي إماما .

وفرق المصنفون بين البلاغة والنقد وقالوا : « إن البلاغة ترشده  
بنواضعها إلى الطرق والوسائل التي تجعل كلماتها ذاتا ومؤثرا ، والنقد يضع  
لها المقاييس العامة التي تقدر بها ما في الكلام من فائدة أو قوة أو  
جمال » (١٣) . أي أن البلاغة أقرب إلى الناحية الفنية ما دامت قواعدها  
تقود إلى الإبداع ، وأما أكثر ما تشتمل بالأسلوب . أما النقد فيأتي دوره  
بعد أن تتم عملية الإبداع وتشرّض " الأدب " على مقاييسه ليحكم عليه .  
وأما تناول المعاني والأساليب ، ولذلك كانت دائرته أوسع ميدانا . وليس  
هذا التصريح دقيقا ، لأن البلاغة وإن كانت ترشد الأديب غير أنها تتسلل  
المعاني والأساليب أي أنها وسيلة مهمة من وسائل النقد . وقد جعلت قديما  
هذا المعنى وتحملة اليوم الدراسات المبنية على تحليل الكلام كما فعل  
عبدالقاهر قبل سبعة قرون وأولى التحليل اللغوي أهمية عظيمة وبني عليه  
أروع نظرية تمثلت في « النظم » . قال وهو يتحدث عن الأسلوب الرفيع  
والتركيب البديع : « وإذا عرفت ذلك فاعبد إلى ما توأمت به بالحسن  
وتشاهدوا له بالفضل . ثم جملوه كذلك من أجل النظم خصوصا دون غيره  
مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو  
استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم وأمله . فإذا رأيتك  
قد ارتفعت واهتزت واستحسنست ، فانظر إلى حركات الأريحية مم كانت  
وعندما ذهبت ؟ فانك ترى عياذ أن الذي قلت لك كما قلت . اعصد  
إلى قول البحتري :

بؤفا ضرائب من قد نرى      فما إن رأينا لفتح ضريبا  
هو المرء أبدت له الحادئا      ت عزّما وشيكاً ورأيا صليا

(١٣) الأسلوب ص ٧ .

تقتل في خلقه سؤدد      ساحاً مرجسى وبأساً مهيباً  
فكالسيف إن جثته صارخاً      وكالبهر إن جثته مستيب

فلذا رأيتك قد رأتك وكثرت عندك وجدت لها اعتزازاً في نفسك فعد  
فاظر في السبب واستقص في النظر فأنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أن  
قدم وأخر ، وعرف وتكرر ، وحذف وأضر . وأعاد وكسر ، ونوحى  
على الجملته وجها من الوجوه التي يقتضينا علم النحو فاصاب في ذلك كله  
ثم لطف موضع سوابه وأتى ما يوجب التفصيلة . أفلا ترى أن أول شيء  
يردك منها قوله « هو المرء أبعدن » له العاديات ثم قوله : « تتشكل » في خلقه  
سؤدد » بتكرير السؤدد وإضافة المطلقين اليه ، ثم قوله « فكالسيف »  
وعطاه بالفاء مع حذفه المبتدأ لأن المعنى لا محالة « فهو كالسيف » . ثم  
تكريره الكلف في قوله : « وكالبهر » ثم أن قرن اسى  
كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج  
من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر  
وذلك قوله « صارخاً » هناك و « مستيباً » هنا . لا ترى حسناً تنسبه الى  
العلم ليس سببه ما عدت أو ما هو في حكم ما عدت فاعرف ذلك . وإن  
أردت أظهر أمراً في هذا المعنى فاظر الى قول ابراهيم بن العباس :

فلو إذ بنا دهرٌ وألكر صاحبٌ      وسلطان أعداءٌ وغاب نصيرٌ  
تكون عن الأحواز داري بنجوة      ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ  
وإنسى لأرجو بعد هذا محمداً      لأفضل ما يرجسى أخٌ ووزيرٌ  
فأنك ترى ما ترى من الروق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم  
تفتقد السبب في ذلك فتجده إننا من أجل تقديمه الطرف الذي هو « إذ بنا »  
على عامله الذي هو « تكون » وأن لم يقل « فلو تكون عن الأحواز داري  
بنجوة إذ بنا دهر » ثم قال : « تكون » ولم يقل « كان » ثم أن لتكرر

«الدمر» ولم يقل «إن نأى الدمر» ثم أن ساق هذا التشكير في جميع ما أتى به من بعد، ثم أن قال «وأكثر صاحب» ولم يقل «وأكثر صاحباً» .  
 لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تحفته حسناً في النظم وكله من معاني النحو كما ترى . وهكذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية رأيتها قد نسباً إلى النظم وفضل وشرف حيل فيها عليه «(١٤)» .

وهذا تحليل يقوم على العلاقات بين الكلام ، وهو تحليل يعطي النظم قيمة لأنه يظهر ميزته ويوضح ما بين ألفاظه من صفة وما تسويحه من صور تيمسه المعنى وتبرزه . وقد عهد القاهر فيه إلى إيضاح أثر الذوق وسمي إلى تبيان قيمة القاعدة ، فهو في النصف الأول من تحليله يدعو إلى تأمل النص وتذوقه ويشير إلى حكم المطلق ، ولكنه لا يرضى بالذوق وحده ولا يقتنع بالحكم إن لم يتبعه تحليل وتعليل ، وهذا ما فعله فسي النصف الثاني من كلامه فكان بذلك ناقداً يجمع بين القاعدة والذوق لا شارحاً ولم يلق فسي تحليله عند مباحث علم المعاني وإنما أمعن فسي تحليل فنون البيان بالأسلوب نفسه وملتقى نظرية «النظم» على المجاز فقال عن أبيات الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان منى هو ماسح  
 وشدة على هم المهارى رحلتنا ولم ينظر الفادي الذي هو رائح  
 أخذنا بأطراف الأحداث بيننا وسالت بأعناق المني الأباطح

«وليس الغاية في قوله : «وسالت بأعناق المني الأباطح» على هذه الجلسة ، وذلك أنه لم يشرب لأن جعل المني في سرعة سيرها وسهولة كالماء يجري في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أقدامه بأن جعل «سالت» فعلاً للأباطح ثم عداه بالهاء بأن

(١٤) دلائل الإعجاز ص ٦٧-٦٦ .

أدخل « الاعناق » في البيت فقال « بأعناق المطي » ولم يقل « بالمطي » ولو قال : « سالت المطي في الأياض » لم يكن شيئا . وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليس في مطلق معنى « سأل » ولكن بتمديده بـ « على » والباء ، وبأن جبل قملأ لقوله « شعاب الحي » ، ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن ، وهذا موضع ينق الكلام فيه <sup>(١٢٠)</sup> .

وهذا تحليل لنوري أظهر روعة الاستمارة ، وقد حلل عبدالقاهر الأبيات نفسها تحليلاً آخر لا يمد كثيراً عن السابق وصور المعنى مجسداً فيها ، قال : « انظر هل تجد لاستحسانهم وحسنهم وثنائهم ومنحهم منصرفاً إلا إلى استمارة وقفت موقعها وأصاب غرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع واستقر في الفهم مع ونوع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المشيد والفضل الذي هو كازيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مداخلة الغطيلي الذي يستقل مكانه والاجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامة من التفسير الذي ينتشر معه السامع إلى طلب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليه بلفظها الخاص واعتمد دليل حال غير منصف أو نياية مذكور ليس لتلك النياية يستصلح <sup>(١٢١)</sup> . ومضى يحلل الأبيات متأثراً بآين جني ( — ٣٩٢ هـ ) <sup>(١٢٢)</sup> ومستفيداً من نظريته في النظر التي أمال الكلام عليها في كتابه « دلائل الإعجاز » . وقد فاق آين جني في اظهار روعة الاستمارة وتبيان العلاقة بين الجبل التي أحدثت مشاهد لا يحصى بها إلا من شهد موسم الحج وذاك حلوة الشوق إلى الأهل والوطن . وكان آين قتيبة ( — ٣٧٦ هـ ) قد قرأ إلى الأبيات نظرة أخرى ورأى أنها مما حسن لفظه وطاب وليس وراء ذلك كبير معنى . قال : « هذه الانفاذ — كما نرى —

(١٢٠) دلائل الإعجاز ص ٦٠ . يريد به قول الشاعر :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا      انصاره بوجوه كالدلتاسير

(١٢١) اسرار البلاغة ص ٢٢ .

(١٢٢) الخصائص ج ١ ص ٢١٨ .

أحسن شيء مخرج ومطالع ومقاطع ، وإذا ظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إيلنا الانشاء ومضى الناس لا ينظر الخادي الرابع ، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأطلح (١٨) . وقرئ " كبير بين هذا القول وتطيل عبدالقاهر الذي جعل المعنى تجسيدا ، وجعل السامع يميز ثلاثيات ويمتدحه الشوق الى موقف الحج وطواف الوداع ، والتأهب للمودعة الى الأوطان ، وفي ذلك تأثير للاستعارة التي جعلت في الآيات ، وهي استعارة جاءت من ارتباط الكلام واختار بعضه يرقاب بعض لا من الكلام وحده أو جرس الألفاظ . وكلام ابن قتيبة ليس مقصدا ، لانه حكيم يستند على الذوق وحده . وكلام عبدالقاهر ينزع مسرعا عطيا قوامه الشرح والتعليل ، والوقوف على مواطن الصحة والروعة ، والعبادة والاستحسان ، ولا ينسى الذوق وإثارة المشاعر بما يقدم من عبارات ويوحى من جو يظهر المعنى واضحا . وليس كذلك ابن قتيبة أو غيره ممن اعتسفوا على الذوق وحده والتخوض مقياسا في لغتهم فلم يوفقوا لانهم لم يفتحوا المدارس ، وغلت عباراتهم حلوة تتردد من غير تأثير أو انفعال .

وليست فنون البديع بأقل أهمية من علمي الشاعري والبيان . وقد جعل بها الشعر القديم والقرآن الكريم وجاءت معبرة عن المعنى خير تعبير ، ولكن الآخرين من القدماء أفسدوها بما أضافوا من زخارف أثقلت الكلام وأفسدته فتابا عنه الذوق . قال عبدالقاهر : « فإني لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعيا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستلذذ وساق نحوه . وحتى تجد لا ينبغي به بدلا ولا تجد عنه حولا . ومن هنا كان أحق تجنيس تسعده وأخلاه وأحبه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتنابه وتأهب لطيفه ، أو ما هو أحسن ملاءمته . وإن كان مطلوبا . بهذه الميزة وفي هذه الصورة ، وذلك كما يشئون به أبدا من قول الشافعي . رحمه الله

(١٨) الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦-٦٧ . يجد الفارسي بعض النصوص قد تكررت في هذا الكتاب ، لانه مجموعة بحوث .

تعالى - وقد سئل عن النبي فقال : « أجمع أهل الحرمين على تحريره »<sup>(١٩)</sup> . وهذا هو الصواب لأن البدع ليس حلية تقتصر ولا زينة ينسج عنها الذوق ، وإنما هو وسيلة من وسائل التعبير كما يتلاحظ في القرآن الكريم وكلام العرب البليغ .

لقد جمع عبدالقاهر في بلاغته وقده بين القاعدة والذوق فكان أفذاً ذا منهج وبلاغياً صاحب رأي سديد . ولم يستند البلاغيون من هذا المنهج الواضح ومضى السكاكي ( - ٦٢٦ هـ ) والقزويني ( - ٧٣٩ هـ ) وشراح التلخيص بلخصوص كلام عبدالقاهر ولمنطلقون بعض أمثلته مضيئين اليها الكثير من مسائل الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، تاركين تحليله ومسامحه منهجه النقدي . وقد حاول ابن الأثير أن يقترب من عبدالقاهر ولكن إزراه النحو وتشبيعه على النحاة<sup>(٢٠)</sup> أبعدته عن منهج عبدالقاهر التحليلي . وسولا هذا الموقف وأعماله النحو ليجري المتقدم لأنه كان مهتماً بالتظم ولكن كما فيه أو أراد أن يفهمه فهو عنده « سيك الألفاظ بعضها مع بعض »<sup>(٢١)</sup> وكان عند عبدالقاهر توخي معاني النحو ، وهذا مدلول أوسع مدى وأرحب أفقا ، وقد ظهر في « دلائل الإعجاز » ظهوراً جلياً يدل على أصالة وإبداع .

لقد حدد ابن الأثير أوصاف التظم بأربعة هي : أن تكون الألفاظ واضحة بيّنة ليست بفرية الاستعمال ، وأن تكون طبوة في القسم سهلة في التعلق غير مستثناة ولا مستكرهة ، وأن تكون كل لفظة من الألفاظ ملائمة لاختها التي تليها غير فائرة عنها ولا مباينة لها ، وأن لا يكون في الألفاظ تقديم وتأخير يستغلق به المعنى فجبي ، فلم الكلام مضطرباً . وهذه الأوصاف تتعلق بالألفاظ حينما تألف ، وقد حددها ابن الأثير بهذه الصورة

(١٩) أسرار البلاغة ص ١٠ .

(٢٠) ينظر التل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ، الاستدراك ص ١٢ .

(٢١) الاستدراك ص ٥٨ .



لأنه كان يعطي اللفظة المفردة قيسة ويضرب بين واحدة وأخرى ، أما حينما التاخر فقد أصابها المزية من خلال النظم ، وهذا فرق واضح بين الرجلين جاء من اختلافهما في المنهج وإن حاول الثاني أن يسير على خطى الأول في دراسة التقديم والتأخير وأن ينتفع من منهجه في دراسة الالتفات ، فقد ذهب البلاغيون إلى أن الكلام إذا قل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن طريقة لنشاط السامع وإيقاظه للاصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد<sup>(٢٢)</sup> ، ونظر إليه ابن الأثير نظرة أعمق وقال : « إن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضت ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تعد بعد ولا تضبط بضابط ، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها ، فإذ قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتنظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، قطعنا أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وثيرة واحدة وإنما مقصور على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يستعجب شعباً كثيرة لا تنحصر وإنما يؤثر بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه »<sup>(٢٣)</sup> ، وطريقته في اظهار روعة الالتفات هي ضرب الأمثلة والتطبيق عليها والاشارة إلى ما فيها من روعة وجمال ، ولكنه لا يترك التحليل والتوضيح ، فهو عند كلامه على سورة الفاتحة وما فيها من التفات يقول : « وما يختص به هذا الكلام من الصوائد قوله : « إياك نعبد وإياك نستعين » بعد قوله : « الحمد لله رب العالمين » فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة ، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبد ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخير فتال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » . ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات

(٢٢) ينظر الكشف ج ١ ص ١١ ، مفتاح العلوم ص ٩٦ .

(٢٣) القل السائر ج ٢ ص ٥ .

قال « إنك تريد » فخطب بالمعجزة إصراراً بها وتقرباً منه - عز - اسمه - بالالتقاء إلى محدود منها . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم » علماً على الأول ؛ لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر النعمة إلى الله تعالى ، ولعلنا قد ذكرنا ذلك في أولها من الغيبة إلى الخطاب بتعظيم شأن الخطاب ثم انتقل في آخرها إلى الغيبة لتلك الغيبة بعينها ، وهي تعظيم شأن الخطاب أيضاً ؛ لأن مخاطبة الرب - تبارك وتعالى - بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه . فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من فصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهاها (٢٤) .

أما مذهب السكاكي والقزويني وشرح التلخيص فيقوم على القاعدة وحدها وكثيراً ما تخفق القاعدة في إثارة المعنى وإظهار روعة الكلام ، ومن هنا كان الأخذ بتهجج عبدالقاهر وابن الأثير - على الرغم مما بينهما من تفاوت - ضرورة تطلبها النزعة الفنية في البلاغة والنقد . ولن يذهب فهم البلاغة وتوسعاً بين المنطق والتدوين ؛ لأن القواعد والتجريب والتعليل مهمة للوصول إلى الحكم السليم وتقديم التفسير المتعقلاً مثلما كان الغزو مهمّاً في النقد لأنّ التأقّد إن لم يكن ذا موعبة فنية وإحساس مرهف ، كان عالماً بعينه ، الغفلة والصواب أكثر من التأثير وكشف مواطن الجمال .

وليس النقد علماً بالمعنى الدقيق وإن ذهب إلى ذلك بعض الناصرين ودربطوه بنتائج البحث العلمي فأحالوه قواعد صارمة كما فعل البلاغيون

في عهد الجيود ، وليس تذوقاً فحسب ، وإنما هو الاثنان معا . وقد دلّ تاريخ البلاغة والنقد على أن "أروع الكتب في هذا الحقل ما امتزج المتطوق والذوق فيها كما ظهر في «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» و «المثل السائر» . وهذه الكتب الثلاثة تمدّ زينة التراث البلاغي والنقدي عند العرب لأنها جمعت بين القاعدة والذوق ، والعرض والتحليل ، والحكم والتفسير . ولن يكون النقد قدماً إن ابتعد عن هذه الأصول مهما تعففت المناهج واختلقت الأزمنة وتفاوتت البيئات ، وبذلك يبقى تراث العرب ثراً يفتح آفاقاً الأصالة والتجديد .

إن الأدب ثقافة عتيقة ومعاناة عظيمة وجهد كبير ، وأهـ بلاغته وروعة أسلوبه وسوء معانيه ، وإن النقد بأصوله وأحكامه ، وعلوم البلاغة أمسل لا يصل ما دام الأدب مرتبطاً باللغة العربية وأساليبها ، وقد اسفّ الأدب كثيراً حينما انفصل عن البلاغة ومقاييسها وانحرف النقد حينما ابتعد عن الزعرة العلمية والتذوق وأصبح شرحاً أو تاريخاً أو شيئاً لا يصل من سمات النقد إلا اسمه ، ولاتفتي الاسماء ولو كانت من نور .

#### المصادر :

- ١ - الاستدراك - شباه الدين بن الأثير . تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق ريش . استنبول ١٩٥٤ م .
- ٣ - الأسلوب - أحمد الشاذلي . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤ - البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب ، الموصل ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٥ - اللغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٦ - البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البعير - الموصل ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٧ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي ، القاهرة ١٩٢٩ م .

- ٨ - الخصائص - ابن جني - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٩ - دراسات بلاغية ونقدية - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ١٠ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١١ - الشعر والشعراء - ابن فتيبة - تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- ١٢ - القروشي وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- ١٣ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري - القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٤ - الكشف - الزمخشري - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
- ١٥ - أثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - شباه الدين بن الأثير - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٦ - مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي - القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

(٦)

## أثر القرآن في البلاغة

كلمة :

كان للقرآن الكريم معجزة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكنتاب  
العربية الخالد أعظم الأثر في علوم اللغة العربية ، فقد صدرت عنه وآثارت  
من معيته ووقفت تكشف أسرارها وتمني بأصاليه وتفسر أعجازه وتشرح  
ألفائه ، وتظهر معانيه . وكانت البلاغة من تلك العلوم التي ضاعت فني كنت  
كتاب الله وتضيات بطلاله منذ أن بدأت تفرج في ميدان الحياة . وكان القرآن  
معجزة تحدثت العالمين ، ووقف العرب عند زوالة مبهورين وهم أصحاب  
لسن وبلاغة ولم يجدوا ما يدفعون به عن أنفسهم إلا أن يقولوا كسأ روي  
الكتاب عنهم « ما هذا إلا سحر » ففترى ، وما سمعنا بهذا فسي آباءنا  
الأولين<sup>(١)</sup> . وأخذوا يفرون من سماعه خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم  
ويهديهم إلى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وصاروا يقولون  
دون الاستماع إليه ثلاثين القلوب . وفي سيرة ابن هشام أن الطفيل بن  
عمرو الدوسي قدم مكة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بها فمشى  
إليه رجال فريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً وشاعراً لبيبا فقالوا له : « يا طفيل  
إنك قدئت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد قهرني »

\* نشر في كتاب ( رحلة في الفكر والتراث ) الذي أصدرته جامعة بغداد سنة  
١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ بمناسبة الاحتفال بملع القرن الخامس عشر الهجري وكنت  
أحد المشرلين على الاحتفالات التي أقامتها الجامعة وعلى أخراج الكتلة .

(١) سورة القصص ، الآية ٣٦ .

جاءتنا وشئت أمرنا ، وأما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين زوجه وأما  
 فغشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمته ولا تسمع منه شيئا » .  
 قال : « فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكله حتى  
 حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كثر مستأ<sup>(٢)</sup> قترًا من أن يلغني شيء  
 من قوله ، وأما لا أريد أن أسمعه . فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله  
 - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي عند الكعبة فقصت منه قريبا فأبى الله إلا  
 أن يسمعي بعض قوله فسعت كلما حسنا فقلت في نفسي : وأكمل أمي ،  
 والله إني لرجل ليب شاعر ما يغني عليّ الحسن من الفصح فما يستعني  
 أن أسمع من هذا الرجل ما يقول . فإن كان الذي يأتي حسنا قبلته ، وإن كان  
 قبيحا تركته » . ومكث الثقيل حتى انصرف الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
 إلى بيته فأتبعه حتى إذا دخل بيته دخل عليه وقال : « يا محمد إن قومك  
 قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما يرحوا يتخفونني أمرك حتى  
 سددت أذني بكسر لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك  
 فسمعت قولًا حسنا ، فأعرض عليّ أمرك » . وعرض الرسول الكريم الإسلام  
 عليه وتلا القرآن فأسلم ، قال : « فلا والله ، ما سمعت قولًا قط أحسن منه  
 ولا أمرًا أعذل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق »<sup>(٣)</sup> .

وقال الوليد بن المغيرة وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 ينزل آيات الكتاب : « والله ، إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه  
 لعنائة »<sup>(٤)</sup> . وشاء الله أن يعتدي العرب برسالة الساء الكبرى ويرفعوا  
 القرآن دستورًا في الآفاق ويتخذوه غراساً يضيء لهم الطريق في دلياسهم  
 وآخرهم ، وأن يكون القرآن الكريم مرجع المسلمين ومدار دراساتهم الفوقية  
 والنحوية والفقهية والعلمية والأدبية وغير ذلك من شؤون الحياة . وكان تأثيره  
 واضحا في البلاغة العربية ويتجلى ذلك في أمور كثيرة غير أن من أهمها أمرين

(٢) الكرسف : القطع . (٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

يدخل فيها كثير من المسائل والقضايا ، وذلك الامران هما :  
الدافع والشاهد .

### الدافع :

كان القرآن الكريم دافعا الى التأليف في البلاغة والكلام على فنونها المختلفة ، وكانت احدي آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة ( ٢٠٨ هـ ) كتابه « مجاز القرآن » ، قال : « أرسل اليّ الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت الي بغداد واستأذنت عليه فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ونسي صدره فرش عالية لا يرتقى اليها إلا على كرسي وهو جالس عليها فجلست عليه بالسوزارة ، فردّ وضحك اليّ واستدعاني حتى جئت اليه على فرسه ثم سألني والطمني وبأسطني وقال : اتشدني ، فالتدته فطرب وضحك وزاد تشامته . ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة ، فأجلسه الي جانبي وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمتكم لتستفيد من علمه . فدعا له الرجل وقرظه ليعلم هذا وقال لي : إني كنت اليك مشتاقا وقد سألت عن مسألة أناأذن لي أن أعرفك إياها ؟ فقلت : بآت . قال : قال الله عز وجل : « طَلَحْنَاهَا كَالنَّارِ وَرُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » (١) واليد يقع الوعد والایجاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أبتلني والشرفسي مضاجعسي ومستكّ زرق<sup>٢</sup> كانياب أغواله  
وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به  
فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا  
في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الي

(١) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

البصرة علت كتابي الذي سببه « المجاز »<sup>(٦)</sup> . ومهما يكن من أمر هذه الرواية فإن أبا عبيدة وغيره اتجهوا الى خدمة القرآن الكريم وظهرت دراسات كثيرة من أهمها الدراسات البلاغية التي اتجهت الى اعجاز القرآن وتفسير آياته وإيضاح أساليبه وكشف فنونه البلاغية . وقد كان الهدف الأول من التأليف في البلاغة غرضاً دينياً أوضحه أبو هلال العسكري بقوله : « اعلم - عتقك الله الخير وذلك عليه وقبضه لك وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة القصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشاد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعت أعلام الحق وأقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجب الشك بيقينها . وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم العربية وأخل بمعرفة القصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التراكيب وما شغنه من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضنه من الحلاوة وجلته من رونق الطلاوة مع سهولة كلفه وجزالتها وعفويتها وسلاستها الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحررت عقولهم فيها . » وإنما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غايته في حسن وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وصفاء ألفاظه . وقبيح لعربي بالحق المؤتم به والقارئ المتشدد يهديه والمتكلم المثار اليه في حسن سطرته وتسام آله في مجادلاته وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح أن لا يعرف اعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي أو أن يستدل عليه بما استدل به الجليل النبي - فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر

(٦) مجمع الادبيات ج ٧ ص ١٦٦ ، وينظر نزهة الالباء ص ٧٠ .



المعلوم بعد توحيد الله - تعالى - ومعرفة عدله والتصديق برعده ووعيده  
 إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تنلو المعرفة بالله جلّ اسمه» (١٧) .

أن مسألة اعجاز كتاب الله كانت من القضايا الأولى التي شغلت بال  
 المسلمين ، وقد دفعهم ذلك إلى الحوض في دراسة البلاغة ليستطيعوا الوصول  
 إلى فهم أسرار الاعجاز ، وظهرت آراء كثيرة (١٨) ، غير أن ما يتصل بأسلوبه  
 وروحه كان الدافع الأول إلى التأليف في الاعجاز . ومن أهم ما ألف في  
 هذه المسألة كتاب « اعجاز القرآن في غلظه وغاليته » لأبي عبدالله محمد  
 ابن يزيد الواسطي ( - ٣٠٦ هـ ) ورسالة « التكت في اعجاز القرآن »  
 لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ( - ٣٨٦ هـ ) ورسالة « بيان إعجاز  
 القرآن » لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ( - ٣٨٨ هـ )  
 وكتاب « اعجاز القرآن » لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ( - ٤٠٣ هـ )  
 والجزء السادس عشر من كتاب « المفتي في أبواب التوحيد والعدل »  
 لأبي الحسن عبدالجبار الأسد آبادي ( ٤١٥ هـ ) و « معترك الاقران في  
 اعجاز القرآن » لجلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) (١٩) . وكانت هذه الكتب  
 والرسائل كتباً بلاغية إلى جانب ما فيها من دراسات تتصل بالمقيدة والتوحيد،  
 وقد انتهى ابن خلدون إلى أن ترة علم البلاغة « إنما هي فهم الاعجاز من  
 القرآن ؛ لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه جميع مقتضيات الأحوال متلوقة  
 ومنهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص باللفاظ في انتفاها  
 وجودة وصفها ، وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن إدراكه» (٢٠) .

ولم يقتف الأمر عند الاعجاز وإنما خاض المتسرون غمار البحث في  
 البلاغة ليصلوا إلى فهم كتاب الله وإدراك معانيه ، وقد مث محمد بن جرير

(١٧) كتاب الصناعتين ص ٢-١ .

(١٨) التفصيل في : البلاغة عند السكاكي ص ٢٦٦ ، مناهج بلاغية ص ٣٩ .

(١٩) معرفة هذه الدراسات في كتاب مناهج بلاغية ص ٤٤ .

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

الطبري (٣١٠ هـ) كثيراً من مباحثها في تفسيره لتكون عوناً على فهم كلام الله الذي نزل بلسان عربي مبين وجاء فيه ما في كلام العرب من أساليب وفنون في التعبير . قال بعد أن أشار إلى تلك الأساليب والفنون : « ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه إن شاء الله ذلك وأمدّ منه بعه » (١١٢) . وأوضح جازاه الزمخشري (٥٢٨ هـ) أهمية البلاغة وصلتها بالقرآن وفهمه بقوله : « إن أملاً العلوم بما يغبر القرائح وأهضها بما يهر الآليات التوارح من غرائب نكت يلفظ مسلكتها ومستودعات أسرار يدق سلكتها علم التفسير الذي لا ينجم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » . قال فيه وإن يرّ على الأثران في علم الفتاوى والأحكام ، والتكلم وإن يرّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والاختيار وإن كان من ابن القريّة أحفظ ، والواظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والتحوي وإن كان أنص من سيويه ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحيه لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يتوس على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن هما : علم المعاني وعلم البيان ، وتسل في ارتيلدهما آوّة وتع في التتقيع عنهما أزمّة ، وبسته على تتبع مظاهمه في معرفة لطائف حجة الله وحرس على استيفاس معجزة رسول الله » (١١٣) . وقال عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) : « ومن عادة قوم من يتعلّو التفسير بغير علم أن يتوهّموا أبدأ في الالتئاف الموضوعات على المجاز والتشليل أنها على فوائدها فيفسدوا المعنى بذلك ويطلبوا الترس وينعوا أنفسهم والسماع منهم العلم بوضوح البلاغة وبمكأن الشرف . وأهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرّون في غير طائل ، هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتنوه وزند ضلالة قد قدّحو به » (١١٣) .

(١١) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٦ .

(١٢) الكشف ج ١ ص (٥) . (١٣) دلائل الإعجاز ص ٢٣٦ .

ورأى السكاكي ( - ١٦٢٩ هـ ) أن دراسة البلاغة واجبة على المفسر ونسأل :  
 « الواقع على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه مقتصر الى  
 هذين الطين - المعاني والبيان - كل الافتقار - فالويل كل الويل لمن يتعاصى  
 التفسير وهو فيها راجل »<sup>(١٢)</sup> . ومنى آتقن المفسر البلاغة وتقصها استطاع  
 التسابق للمشهور على السبب في ازال الله - سبحانه وتعالى - فراكه المجيد  
 على هذه المناهج إذ « لا علم في باب التفسير بعد علم الاصول اقرأ منها  
 - المعاني والبيان - على المرء ثم اذهب - تعالى - من كلامه ، ولا أعون على  
 تعاطي تأويل مشبهاته ولا أضع في درك لطائف نكته وأسراره . ولا أكتشف  
 للقتاع عن وجه اعجازه . هو الذي يثوي كلام رب العزة في البلاغة حق ،  
 ويصون له في مظان التأويل مائه وروفته . ولكم آية من آيات القرآن  
 تراها قد ضيبت حقها واستلقت مائه وروفتها ان وقعت الى من ليسوا من  
 أهل هذا العلم فأتخذوا بها في مأخذ مردودة وحملوها على محامل غير مقصودة  
 وهم لا يدركون أنهم لا يدرون . فذلك الآتي من مأخذهم في عويل ، ومن  
 معاملهم في ويل طويل ، وهم يحسبون أنهم يحسون صنعا »<sup>(١٣)</sup> .

وأصبحت كتب البلاغة سيلا\* تذهب الى رحاب القرآن ومعالم معاني  
 بها الدارسون ويستعين بها فيها من ومضات مشرفة ولمحات بديعة المفسرون .  
 ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وأدراك قصائده  
 وبلاغته ، وصار الشيوخ لا يقدمون على تدريس كتب التفسير إلا\* بعد أن  
 يلم\* طلابهم بطرف من البلاغة وقنوتها كمل فعل يحيى بن حزمة العلوي  
 ( - ٥٧٩ هـ ) حينما ألف كتابه « الفراز المنقش لأسرار البلاغة وعلوم حقائق  
 الاعجاز » ليكون عونا لمن شرع في قراءة تفسير « الكشف » عليه . قال :  
 « ثم ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الاخوان شرعوا علي\*  
 في قراءة كتاب الكشف تفسير الشيخ العالم المحقق استاذ القسرين محمود  
 ابن عمر الزمخشري فانه أسسه على قواعد هذا العلم فأتضح عند ذلك وجه

(١٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ . (١٣) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

الاعجاز من التنزيل . وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج<sup>١٦٦</sup> من التأويل ، وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاضلاع على حقائق اعجاز القرآن إلا<sup>١٦٧</sup> بإدراكه والوقوف على أسرار وأغواره ومن أجل هذا الوجه كان متشيزاً عن سائر التفسير لاني لم أعلم شياً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواء ، فسألني بعضهم أن أملي فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق<sup>١٦٨</sup> .

وصارت كتب التفسير كلها تستخدم هذه الفكرة ، ولعل أهم تفسير عني بهذا الجواب « الكشف » للزمخشري الذي أثر في تفسيره مسائل البلاغة واستعمل بها في تفسير القرآن الكريم ، وهو حينما يفسر الآيات يطلع أصول البلاغة عليها وينبه إلى ما فيها من أسرار الفصاحة والبلاغة ، وقد قال ابن خلدون عنه : « وهو كنه مبني على هذا الفن وهو أصله »<sup>١٦٩</sup> . ومن هنا كان دارس « الكشف » محتاجاً إلى ثقافة بلاغية واسعة ، وقد شعر القدماء بذلك فكانوا إذا أقدموا على دراسته تزودوا بتلك الثقافة ووضعوا الكتب عليها لتعلمها واختارها كما فعل العلوي في كتابه « المرآة » .

وفي كتب أصول الفقه بحوث مستفيضة عن البلاغة ، وهي بحوث تدل على استئثار علم أصول الفقه بها ، قال السكاكي : « بل تصفح معظم أيراب أصول لفقه من أي علم هي ؟ ومن يتولاها »<sup>١٧٠</sup> . وأشار بهاء الدين السبكي ( ٨٣٧هـ ) إلى الصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه وقال : « وأعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فإن الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي والتحريم ومسائل الأخبار والمومن والخصوص والاطلاق والتقييد والاجمال والتفصيل والترجيح كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني . وليس في أصول الفقه

(١٦٦) المرآة ج ١ ص ٥ .

(١٦٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ . (١٦٨) مفتاح العلوم ص ١٩٩ .

ما يفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء  
يسيرة» (١٨) .

ويرى ابن خلدون أن معرفة أركان علوم اللسان وهي : اللغة والنحو والبيان  
والأدب « ضرورة على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من  
الكتاب والسنة وهي لغة العرب وفنلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح  
مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد  
علم الشريعة» (١٩) . وكان الامام محمد بن إدريس الشافعي ( ٢٠٤هـ - ٢٤٠هـ )  
من أوائل الذين أشاروا إلى ما في القرآن من أساليب العرب وقال : « فإنا  
خطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ما تعرف  
من معانيها اتساع لسانها وإن فطرت أن يخاطب بالشيء من عاماً ظاهراً يراد به  
العام الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاماً ظاهراً يراد به العام  
ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهراً يراد  
به الخاص وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود  
عنه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدى الشيء من كلامها بين  
أول لفظها فيه عن آخره ، وتبتدى الشيء بين آخر لفظها منه عن أوله .  
وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون  
هذا عندنا من أعلى كلامها لأفراد أهل عليها به دون أهل جهالتها .  
وتسمي الشيء الواحد بالانساء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد  
المعاني الكثيرة» (٢٠) . وهذه بعض الموضوعات التي تحدث  
عنها البلاغيون فيما بعد وبحوثها مستقلة عن الموضوعات الأخرى ، أما  
الامام الشافعي فقد اتخذها مقدمة لدراسة أصول الفقه وعقد لها أبواباً تجلت  
فيها معرفته بأساليب العرب وإطلاعه على اللغة وقدرته على فهم حقيقتها  
ومجازها وعامها وخاصها واستنباط الأحكام والأصول . وكانت هذه الدراسة

(١٩) هروس الأفراح ج ١ ص ٥٢ .

(٢٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥ . (٢١) الرسالة ص ٥١ .

مدعاة لخوض الأصوليين والفقهاء في البلاغة وإدخالها في كتبهم ، وبنوا على ذلك طريقة الاجتهاد البياني ، وسار العلماء عندما يقتضون أمامهم ليس ليتموه يستعينون بهذا الأسلوب .

ومن الذين عتوا بالبلاغة في كتبهم الأصولية أبو الحسين محمد بن علي ابن الطيب البصري المعزني ( - ٤٣٩ هـ ) صاحب كتاب « المتد في أصول الفقه » والامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ( - ٥٠٥ هـ ) مؤلف كتاب « المنصفي من علوم الأصول » وأبو الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الأمدي ( - ٦٣٩ هـ ) صاحب كتاب « الأحكام في أصول الأحكام »<sup>٢٢١</sup> وغيرهم من الأصوليين والفقهاء الذين خدموا القرآن الكريم خدمة كبرى ، وقدموا للدراسات البلاغية خير ما يقدمه مؤمن بالقرآن ولغة الخالدة . وكان لاهتمام علماء أصول الفقه بالمباحث البلاغية التي وشعوا بها كتبهم وعدوها من طرق الفقه أن وضعوا القواعد الواضحة ، والتقسيمات الدقيقة لحاجتهم اليها في استنباط الأصول والأحكام .

وكان لكتب علوم القرآن أثر في العناية بالبلاغة ودراساتها ، وقد اتخذها المؤلفون وسيلة لهم للقرآن ومعرفته أساسية وأهدافه ، وكانت البلاغة أحد تلك العلوم التي يحتاج اليها الدارس . ومن أشهر الذين عتوا بهذا الجانب بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( - ٧٩٤ هـ ) في كتابه « البرهان في علوم القرآن » وجلال الدين السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » . ويشكل هذان الكتابان جانباً كبيراً من جوانب تلك العناية التي أنعمت مؤلفات كثيرة عالجت البلاغة من أجل الوصول إلى إعجاز القرآن وإدراك أسرارها .

وأدّت العناية بأسلوب القرآن الكريم إلى ظهور دراسات كثيرة ولعل من أقدمها « مجاز القرآن » لأبي عبيدة و « تأويل مشكل القرآن » لأمن قتيبة ( - ٢٧٦ هـ ) و « تلخيص البيهقي في مجازات القرآن » للشرف ارضي

(٢٢) التفصيل في كتاب سماه بلاغية ص ٦٤ .

( - ٤٠٦ هـ ) و « دلائل الإعجاز » لمبدع القاهر العرجاني ( - ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ ) و « نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز » لفتح الدين الرازي ( - ٦٠٦ هـ ) و « التبيان المطلق على إعجاز القرآن » و « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » لجمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم المعروف بابن الزمكالي ( - ٦٥٩ هـ ) و « الإشارة إلى الإعجاز في أنواع المجاز » لمز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ( - ٦٦٠ هـ ) و « الطراز المفضّل لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » لحيى بن حمزة العلوي ( - ٧٤٩ هـ ) و « النوائد المشوقة إلى علوم القرآن » لابن قيم الجوزية ( - ٧٥١ هـ ) .

وظهرت كتب خاصة ببعض موضوعات البلاغة في كتاب الله ، وقد ألفت ابن قايما البغدادي ( - ٤٨٥ هـ ) كتاب « الجبان في تشبيهات القرآن » رفاق في مقدمته : « التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد منه في كتاب الله تعالى ما نعين ذاكروه في هذا الكتاب وذاهبون إلى إيضاح معانيه والتبني على مكانة الفضيلة فيه »<sup>(٢٣)</sup> . ودرس ابن أبي الأصمب المصري ( - ٦٥٤ هـ ) فنون البلاغة التي وردت في كتاب الله ، وألف كتابا في ذلك هو « بديع القرآن » وقد جمع فيه مائة وستة من فنون البلاغة ، وبحثها بأسلوب أدبي منيع وذكر الشواهد الرقيقة وفي مقدمتها كلام الله لأن الكتاب أُلّف لهذا الهدف ولإظهار روعة أسلوب القرآن الكريم وإعجازه . وهذا الكتاب مفرد من كتابه « تحرير التحبير » الذي ضمّ مائة وخمسة وعشرين فنا ، لأن المؤلف وجد في كلام العرب ما لم يجد في كتاب الله من فنون ، بنزه القرآن عنها مثل : « المزل الذي سراد به الجد » و « الأفراس » و « العند » و « الأثان » و « الجاء في معرض المدح » و « الألفاظ والتعسية » وغيرها<sup>(٢٤)</sup> .

(٢٣) الجمعان في تشبيهات القرآن ص ٤٣ .

(٢٤) التفصيل في كتاب مناهج بلاغية ص ١٤٩ .

وعلى القرآن الكريم يرغد البلاغة العربية وينفع الى التأليف فيها ، وكانت مئات الكتب التي ظهرت استجابة لخدمة كتاب الله ولا يكاد كتاب منها يخلو من الإشارة الى هذا الدافع ، وهو دافع ديني الى جوانب النواضع الأخرى التي ذكرها المتفهمون (٣٥) .

#### الشاهد :

كان الشاهد القرآني المثل الأعلى في كتب اللغة العربية ، وهو رأس شواهد البلاغة التي كانت استجابة للحياة الفكرية التي استلقت بها العرب والمسلمون بعد قول كتاب الله بلسان عربي مبين . ولا يخلو كتاب بلاغي من الشاهد القرآني ؛ لأن ذلك من أول ما يسي الى المؤلف بل هو ما يريد تأكيده حينما خاض البحث وفلم فتون البلاغة في فصول .

إن تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله دفعهم الى التفكير في أسلوبه والموقوف على ألفاظه ومعانيه . وكان شره ذلك السوقوف والتأمل هذه العراصات المستثينة التي أغارت قلوب المؤمنين وعمرت حياتهم بالأمل وأطلقتهم بكل عنب جميل . وقد كانت البلاغة أول ما نشأت في كتب القرآن ، وكانت فنونها تتردد في الكتب المتقدمة ككتاب «معاني القرآن» ليجي بن زيد الفراء ( - ٢٠٧هـ ) وكتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ( - ٢٠٨هـ ) ولم يكن طبيعة الحال أن يخرج هذان المؤلفان على الشاهد القرآني لأن موضوعيهما يتصلان بكتاب الله اتصالاً وثيقاً بل هما موضوع واحد أريد به الكشف عن معاني القرآن وطرق التعبير فيه . ولعل عيناها بن المعتز ( - ٢٩٦هـ ) كان من أوائل الذين سنوا البدء بالشاهد القرآني في دراسة البلاغة وتوضيح ذلك في أول عبارة بدأ بها كتابه « البديع » قال وهو يتحدث عن فنونه : « قد تدعنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله

(٢٥) معرفة ذلك في كتاب الصناعتين ص ١ ، مناهج بلاغية ص ٢٢ .



— صلى الله عليه — وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون « البديع » (٢٦) . ثم قال : « من الكلام البديع قول الله تعالى : « وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » (٢٧) . وقال عندما بدأ بنون البديع : « الباب الأول من البديع وهو الاستمارة ، قال الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات حسن » أم الكتاب » (٢٨) . وقال « واختص لها جناح الفل من الرحمة » (٢٩) . وقال : « واشتمل الرأس شيئا » (٣٠) وقال : « أو ياتهم عذاب يوم عقيم » (٣١) . وقال : « وآية لهم القليل تسليخ منه النهار » (٣٢) . وذكر بعد ذلك من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم — ما فيه استمارة ، ثم أتبعه بكلام الصحابة — رضوان الله عليهم — وبأمثلة من الشعر القديم والمحدث . وسار على هذا النهج في ضرب الأمثلة وذكر النواهد ، ولم يلتزم البلاغون الآخرون بشئ هذا الالتزام وإن كان الشاهد البلاغي يتق على قة الشواهد غير أن يحيى بن حزة الطوي عاد الى هذا النهج في ترتيب الشواهد والتزم به كل الالتزام ورتب شواهد على هذه الصورة :

النوع الاول : من القرآن الكريم .

النوع الثاني : من الاخبار النبوية .

النوع الثالث : من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — .

النوع الرابع : ما ورد من الفن البلاغي في كلام البلغاء .

النوع الخامس : ما ورد من الفن البلاغي في المنظوم .

(٢٦) البديع من ١ .

(٢٧) سورة الزخرف ، الآية ٤ .

(٢٨) سورة آل عمران ، الآية ٧ .

(٢٩) سورة الاسراء ، الآية ٢٤ .

(٣٠) سورة مريم ، الآية ٤ .

(٣١) سورة الحج ، الآية ٥٥ .

(٣٢) سورة يس ، الآية ٣٧ .

ولم يخرج العلوي على هذا النهج في ضرب الأمثلة وذكر الشواهد  
 ونصح أن ترتيبه يقوم على المنزلة والأهمية ، فكتاب الله في قصة البلاء وفي  
 أرفع مقام ، يأتي بعده كلام النبي العظيم فكلام الامام علي - كرم الله وجهه -  
 فكلام العرب الفصحاء البلقاء فاشعار الشعراء القدماء والمحدثين . وكان  
 العلوي نظر الى ما فعله ابن المعتز - وإن ادعى أنه لم يطلع على كتب البلاغة  
 كلها وإنما رأى أربعة منها وطالعا ، وقال : « ولم أطالع من الدواوين المؤلفات  
 فيه مع قلتها ونزورها إلا » أربعة :

أولها : كتاب « مثل السائر » للشيخ أبي الفتح نصر بن عبدالكريم  
 المعروف بابن الاثير .

وثانيها : كتاب « التبيان » للشيخ عبدالكريم (٣٣) .

وثالثها : كتاب « النهاية » لابن الخليل الرازي (٣٤) .

ورابعها كتاب « المصباح » لابن السراج المالكي (٣٥) .

وأول من أسس من هذا العلم قواعد وأوضح براهينه وأظهر فوائده  
 ودرج أفايته الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبدالقاهر الجرجاني (٣٦) .  
 وادعى أنه لم يطلع على كتابي « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة »  
 ولم يقف على شيء منهما إلا ما نقله العلماء في تاليفهم منها . ولكن ذلك  
 لا يفسر الالتقاء الواضح في ضرب الأمثلة وتصنيف الشواهد بينه وبين  
 ابن المعتز الذي كان من أوائل المهتمين بهذه المسألة حينما أراد أن يقول إن  
 القرآن الكريم سبق الى كثير من فنون البديع التي ادعاها المجددون والبعث  
 فيها المولودون ، ولذلك ابتداء بالشاهد القرآني لينسج أقوالهم ويقسده

(٣٣) يريد به ابن الزمكاني المتوفى سنة ٦٥٩ هـ .

(٣٤) يريد به فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٣٥) يريد به بدر الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

(٣٦) الطراز ج ١ ص ٢ - ٤ .

آراءهم ويوفهم حيث ينبغي أن يتقوا غير مباهين ولا مخورين . وهذان المثالان — ابن المعتز والعلوي — يدلان على ما كان عليه القدماء من ارتباط بالشاهد القرآني فيما يقولون وفيما يؤلفون ، وليس معنى ذلك أن<sup>١</sup> البلاغيين الآخرين ابتدؤوا عن ذلك بل أخذوا بهذا النهج ووسموا الشاهد القرآني فسوق كل شاهد ، ووقفوا أمامه مبهورين .

وكان من أثر اهتمامهم بالشاهد البلاغي تحليلهم لكلام الله والوقوف على ما فيه من روعة وجمال واستنباط الفنون البلاغية منه . ومن ذلك نبرسه تعالى : « وقيل يا أرض ابلغي ماءك ، يا ساء ابلغي ، وغيبس الماء » ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي » ، وقيل بتمثلا للقوم الظالمين<sup>(٢٧)</sup> . وقال ابن أبي الأصبح المصري وقد ذكر هذه الآية في باب « الابداع » : « ما رأيت في جميع ما استقرت من الكلام النثور والشر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من المحاسن »<sup>(٢٨)</sup> . وبدأ بذكر تلك الضروب من المحاسن وقال : « وهي المناسبة التامسة بين « اقمي » و « ابلغي » . والمطابقة بذكر الأرض والساء ، والمجاز في قوله : « ياساء » فإن المراد — والله أعلم — يا مطر الساء . والاستعارة في قوله « اقمي » . والاشارة في قوله تعالى « وغيبس الماء » فانه عبر بهاتين التقتين عن معاني كثيرة . والتشثيل في قوله تعالى : « وقضي الأمر » فانه عبر عن هلاك العالمين وقبأ القالين بلفظ فيه بتمتد<sup>٢</sup> عن لفظ المعنى الموضوع له . والإرداف في قوله تعالى :

« واستوت على الجودي » فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان وجلوها جلوسا متمكناً لا زيف فيه ولا ميل بلفظ قريب من لفظ المعنى ، والتعليل لأن غيبس الماء علة الاستواء . وصحة التقسيم إذ استوعب — سبحانه أقسام

(٢٧) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٢٨) تحرير التحرير ص ٦١١ . وينظر بدیع القرآن ص ٣٤٠ .

أحوال الماء حالة نقصه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض ونقيض الماء العاصل على ظهرها . والاحتباس في فعله تعالى : « وقيل بُعداً للقوم الظالمين » إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتباساً من ضعف يتوهم أن الهلاك لعنونه ربما شمل من يستحق ومن لا يستحق لتأكيد الدعاء على المالكين لكونهم مستحقين ذلك والإيضاح في قوله « القوم » ليبين لهم أن القوم هم الذين سبق ذكرهم في الآية التقدمة عليها حيث قال تعالى : « وكلنا مرء عليه ملا » من قومه سخيرا منه<sup>(٣٩)</sup> ، وفي قوله قبل ذلك : « ولا تطعني في الذين ظلموا إثمهم مفرقون »<sup>(٤٠)</sup> . فأتى سبحانه — في آخر هذه الآية بلفظة « القوم » التي ألّف واللام فيها للعود ليبين أنهم القوم الذين سبق ذكرهم ووصفهم بالظلم كما وصفهم في أول الكلام بالظلم ، وذلك مما يوضح المعنى ويبيّن ، فلم أن لفظة القوم هنا ليست لفظة في الكلام وإنما يحصل بسقوطها لبس في المعنى ، وعدم بيان الكلام محتاج له . والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها . وحسن النسق لانه — سبحانه — عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب حسبما وقعت . والتمثيل للفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها . والابحار لانه — سبحانه — اقتصر القصّة بلفظها متنوعة بحيث لم يغفل منها بتيه في أخصر عبارة . والتنسيب لأن أول الآية إلى قوله تعالى : « انصلي » يقتضي آخرها . والتهذيب لأن مفسرات اللسان موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سحّة سهلة مخارج الحروف عليها روي القصّة مع الغلو عن البساطة والتركيب سليمة من التعقيد وأسبابه . والتقديم والتأخير ، والحذف المخل ، والزيادة المسببة ، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكك عليه شيء من هذا النظام . والتسكين لأن الفاصلة مستقرة في قسارها

(٣٩) سورة هود ، الآية ٢٨ .

(٤٠) سورة هود ، الآية ٣٧ .

ملبسة في مكانها غير قلقة ولا مستعجاء • والانجم وهو تحذر الكلام بسهولة كنا ينجم الماء وينساب انسياب العليل من الهواء • وما في مجموع الآية من الابتاع وهو الذي سمي به هذا الباب من أن كل لفظة لا تخرج عن أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع • فهذه آية عدة القافها سبع عشرة لفظة تتضمن أحداً وعشرين ضرباً من البديع غير ما يتعدد من ضروبها فإن الاستعارة وقعت منها في موضعين : وهما استعارة الابتاع للأرض والاقلاع للنساء • والمجاز في مكانين في قوله سبحانه « وأسما » وفي الإشارة والتشثيل والاراداف لأن المجاز مجازان : مجاز بالحذف ومجاز بالتخيير وقد وقفا معاً • فاطر - رحيمك الله - إلى عظمة هذا الكلام لحام ما انطوى عليه قلبه وما عظمته لقلبه •

وكان عبدالقاهر الجرجاني قد وقف عند هذه الآية الكريمة ونظر إليها من خلال النظم حينما يصدق واللفظ حين يتحد فقال وهو يتحدث عن نظم القافز الآية : « وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وأسما افلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل : بعدد النجوم الظالمين » فتجلى لك منها الاعجاز وبرك الذي ترى وتسمع منك لم تجد ما وجدت من المزية الطاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلام بعضها ببعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستريح إلى آخرها وإن الفضل نتائج ما بينها وحصل من مجوعها • إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخفت من بين أخوانها وأردت أدت من القصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قل « ابلعي » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها • وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن يوديت الأرض ثم أمرت ، ثم في أن كان النداء بـ « يا » دون « أي » نحو « يا أيها

الأرض « ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال « ابلسي الماء » ثم أن اتبع لفاء الأرض وأمرها بما هو شأنها بناء الساء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم قيل « ونغيض الماء » فجعل الفعل على صيغة « قَعِلَ » الدالة على أنه لم يغيض إلا بأمر أمر وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى « ونفي الأمر » ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو « استوت على الجودي » ثم المسار السفينة قبل الذكر كما هو شرط التخماة والدلالة على عظم الشأن مقابلة « قيل » في الخاصة بـ « قيل » في العامة . ألتري لشيء من هذه الخصائص التي تتألف بالاعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيئة تحيط بالثمن من أظفارها تملأ باللتظ من حيث هو صون مسموع وحروف تتوالى في الثمن أم كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الانساق الجيب (١١) .

ووقف السكاكي عند هذه الآية وقفة طويلة ونظر إليها من خلال تقسيمه البلاغة إلى فئتين متبذين هما : علم المعاني وعلم البيان ، ومن خلال التفصاح والبلاغة اللتين حددتهما وأرسى قواعدهما ، وحلها تحليلًا متصلاً معتمداً على تحليل عبدالقاهر ، ولكنه لم يستلح أن يكشف السحر الحلال الذي تميز به كلام الله كما استطاع الشيخ وابن أبي الاصبح المصري (١٢) . وما يصعد للسكاكي أنه حاول أن يتذوق القرآن الكريم وأن يشير إلى ما فيه من روعة وجمال ، ويؤنبه إلى مواطن ذلك ، ولكنه لم يخلق كما خلق غيره لأنه عاش في بيئة بعيدة عن مهد العرب وفي زمان اتجه الأدب فيه نحو الجمود وأخذت علوم اللغة تنحصر في التقسيم والتحديد ، وإن كان السكاكي نفسه يرى « أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تمركز ولا يمكن وصفها كالملاحة » وإن مدرك الاعجاز عنده « هو الذوق

(١١) دلائل الامعجاز ص ٣٦-٣٧ .

(١٢) ينظر تحليل الآية في مفتاح العلوم ص ١٩٧ .

ليس إلا "وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العبدن - المعاصي والبيان" (١٢). ولكن أثنى له التحليق، وهو صاحب «مفتاح العلوم» الذي صنف قواعد الصرف والنحو والبلاغة فيه صبا أفقدها رواءها وأحالتها قواعد حفظ وأمثلة مبسرة تتردد بين المتأدين .

ومهما يكن من أمر فقد كان القرآن سببا في تحليل البلاغيين لآياته لكي يكشفوا عن روعته وجناله ويشارفوه بكلام العرب اليلغ . وكان من ذلك أن وقف بعضهم يقارن بين قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » (١١) وقول بعضهم : « القتل أغنى للقتل » . قال الخطيب الخزويني ( ١٠٧٣هـ ) : « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أغنى للقتل » من وجوه :

أحدها : أن عدة حروف ما يتألف منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في التلظ ، وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أجز عن القتل بنحو حق لكونه أدى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما فيه تنكير « حياة » من التعظيم أو النوعية .

ورابعا : المراد بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي يضي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

وخامسا : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

وسادسا : استثناءه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره : القتل أغنى للقتل من تركه .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

(١٢) مفتاح العلوم ص ١٦٦ - (١١) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

ولأنها : جعل التخصيص كالتمنيح والمعدن للحياة بإدخال « في »  
عليه (١٥) .

إن مثل هذه المقارنة بين كلام الله وكلام البشر لا تثبت أن كلامه  
— تعالى — أسى من كلام غيره لأن ذلك مستقر في النفوس المؤمنة ،  
ولكنها تكشف عن الفرق بين اللولين من التمييز وأداء التفكير وتطويع  
صورة واضحة لروعة القرآن وهو ما يحتاج إليه المسلم أولاً والمتأدب ثانياً  
والمتفكر ثالثاً ، وفي ذلك خدمة عظيمة لكلام الله وللملة العربية وبلاغتها .

وساعد الشاهد القرآني علماء البلاغة على الكشف عن مسائل كثيرة  
تصل بالأسلوب العربي والرد على من يذهب بعيداً في تفسير الكلام أو  
يشك في نظم القرآن . ومن أمثلة ذلك وقوفهم على « براعة التخصيص » التي  
لم يحسن القدماء تطويعها وطوعها الشعراء المحدثون في العصر العباسي .

قال ابن أبي الأصميصي المصري وهو يتحدث عن هذا الفن : « وقد ذهب  
أصحاب الإعجاز إلى أنه وجه الإعجاز ، وهو دقيق في عين النبي خفي »  
يعني على غير العنان من ذوي التفرد . وهو مبثوث في الكتاب العزيز  
من أوله إلى آخره فأنك تتفقد من الكتاب العزيز على مواضع تجدتها في  
الظاهر فصولاً متنافرة لا تعرف كيف تجمع بينها فإذا أنصت النظر وكنت  
ممن له ذرية بهذه الصناعة ظهر لك الجمع بينها كتوله سبحانه وتعالى :  
« سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً » من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى  
الذي باركنا حوله لربك من آيات الله هو السبع البصير . وآتيناه موسى  
الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً .  
ذريقة من حسبنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً » (١٦) . فأنك إذا  
فكرت إلى قوله تعالى : « وآتيناه موسى الكتاب » وجدت هذا الفصل

(١٥) الإيضاح ص ١٨٢ .

(١٦) سورة الاسراء ، الآيات ١ - ٣ .



مباينا لما قبله حتى نذكر فسد الوصل بين الفصلين في قوله : « سبحانه الذي أسرى بعبده » فانه - سبحانه - أخبر بأنه أسرى بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ليبره من آياته ويرسله الى عباده كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خاطفاً فزق قاتل مدّ يمينه وتزوج بابنة شعيب ، وأسرى بها فرأى الناس قطايبه ربه وأرسله الى فرعون وآتاه الكتاب . فهذا الوصل بين هذين الفصلين ، وأما الوصل بين ما ذكرت وبين قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً » فقد كان على بنسب اسرائيل نعمة عليهم فبدلاً مما حلت نجاهم في السنن إذ لو لم ينج إلههم من أبناء نوح لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً كان شكوراً وهم ذريته والولد سرّ أبيه فيجب أن يكونوا شاكرين كآبائهم » (١٧) .

وكان الشاهد القرآني مثالا يحتذى في الكتابة ، وقد ظهر ذلك فيما طرقة البلاغيون في « المحل » و « المقعد » (١٨) ولا يكاد الباحث يستلجح حصر ذلك خلال القرون الطويلة لأن كتاب الله ملائمة للنفس إيماناً ، والعقول ازدهاراً والألسنة بياناً ، وسيظل ذلك الى ما شاء الله فبرأساً يليق طريق المؤمنين .

تلك بعض ملامح أثر القرآن الكريم في البلاغة العربية وقد اتضح انه أكثر في مسالتين :

الأولى : الدافع وهو البحث في أساليب العرب ليقتف الناس على روعة كتاب الله وجماله وفهم مقاصده ومعانيه وإدراك إعجازه . وقد تمثل في الكتب التي تحدثت عن معاني القرآن ومعجازه ، وفي الدراسات التي تحدثت عن وجوه الإعجاز ، وفي دراسات بلاغية لأنها عشت بتقوى البلاغة وحدودها

(١٧) تحرير التحرير ص ١٢٢ ، وينظر بدیع القرآن ص ١٦٧ .

(١٨) ينظر في موضوع المحل والمقعد : البدیع في نقد الشعر ص ٢٥٩ ، المثل السائر ج ١ ص ١٧٧ ، حسن التوسل ص ٢٢٥ ، جوهر الكثر ص ١٩٥ .

وفسّلتها وشرحت وسائل التعبير بها . واتضح في كتب التفسير والاصول وهي كتب كانت تدعو في مقدماتها وفي تايها فصولها الى تعلم البلاغة ودراستها لانها السبيل الموصل الى فهم القرآن واستنباط الأحكام منه . وقد اتضح أن ذلك ظل مرتبطا بالدراسات البلاغية وقرن البلاغيون وغيرهم علم المعاني بالاصول .

الثانية : الشاهد ، وذلك ان كلام الله كان المثال الأعلى عند البلاغيين وغيرهم وقد اتضح ذلك في وضع الشاهد القرآني على قمة التواضع ، وفي تحليل الآيات القرآنية واستخراج الفنون البلاغية منها ، وفي حلها في الكلام أو عقدها في الشعر .

ولا يخفى أثر القرآن عند هذه الجواب بل هناك جوانب كثيرة كان له دور في ظهورها وكشفها ، وقد ظل - وسيبقى - متصل الادباء وقوده البلاغيين وعلمين المسلمين في حياتهم وزادهم في آخرتهم الى ما شاء الله ؛ لانه الكتاب الأعظم والدستور الأوسع لكل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر .

#### المصادر :

- ١ - الإيضاح - الخطيب القرويني . القاهرة ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٢ - البديع - ابن المعتز . طبعة كراتشكوفسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٣ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ . تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبد المجيد . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٤ - بديع القرآن - ابن أبي الاسبيع المصري . تحقيق حفني محمد شرف - القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- ٥ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٦ - تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان أعجاز القرآن . ابن أبي الاسبيع المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

- ٧ - جامع البيان في تفسير القرآن . محمد بن جرير الطبري . القاهرة .
- ٨ - الجمان في تشبيهات القرآن . ابن نافع البغدادي . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة حديجة الحديشي . بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- ٩ - جوهر الكثر - نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي . تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام . الإسكندرية - مصر .
- ١٠ - حسن التوسل - شهاب الدين الحلبي . تحقيق الدكتور الكرم عثمان يوسف . بغداد ١٩٨٠م .
- ١١ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٧٢هـ .
- ١٢ - الرسالة - محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م .
- ١٣ - سيرة ابن هشام - ابن هشام . تحقيق مصطفى السقا وجماعته . القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
- ١٤ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- ١٥ - مروس الأفراح في شرح تلخيص الفتح . بهاء الدين السبكي . ( شرح التلخيص ) . القاهرة ١٩٢٧م .
- ١٦ - كتاب الصناعات - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٧ - الكشف جرائد الزمخشري . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
- ١٨ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير الجزري . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
- ١٩ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي . تحقيق مرغليوث ، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٢٢م .
- ٢٠ - معجم العلوم - يوسف بن أبي بكر السكاكي . القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- ٢١ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون . دار الكشف - بيروت .
- ٢٢ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٢٣ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - ابن الأنباري . تحقيق الدكتور إبراهيم السمرالي . بغداد ١٩٥٩م .



(٧)

## بديع القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو أبهى كلام وأقصاه ، وقد وقف العرب أمامه مبهورين ولم يستطيعوا أن يقولوا إلا أنه «أساطير الأولين» وأن الرسول الكريم « اكتسبته أبي ثعلبي عليه بكرة» وأصيلا<sup>(١)</sup> . وعجزوا عن أن يأتوا بمثله أو يعثر سور أو يسورة ولما بان عجزهم قال الله تعالى : « هل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »<sup>(٢)</sup> . وكان هذا التحدي للقوم عرفوا بالبلاغة والفصاحة وكان كساب الله من جنس كلامهم فهو « لسان عربي مبين »<sup>(٣)</sup> . وشغلت بلاغة القرآن وفصاحته الناس ، وعدّ العلماء ذلك وجها من وجوه الإعجاز وشرعوا يبحثون في هذا الوجه ومؤلفون الرسائل والكتب ، وكان وصف الله — سبحانه وتعالى — لكتابه العزيز أنه « عربي مبين » متعلق البحث في فنون البلاغة والوقوف على أثرها في المعنى وفعلها في النفوس . والبديع — بمعناه المتأخر — أحد الموضوعات التي سعوا إلى إظهارها وتبين قيمتها وأثرها في الكلام وهو — كما عرفته القدماء — « علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال

(١) نشر بعنوان « القرآن الكريم والبديع » في مجلة الرسالة الإسلامية ( العددان ١٥٥ — ١٥٦ / رجب ١٤٠٣ هـ — نيسان ١٩٨٣ م . السنة السادسة عشرة ) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ٥ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١٠٣ .

ووضوح الدلالة»<sup>(٤٤)</sup> . ولكنهم لم يصيبوا في ذلك لأنهم أخذوا تعريفهم مما وصلت اليه البلاغة العربية في عيودها المتأخرة ومن التصرف المتشدين الى الزخرف الذي أبعدهم عن الهدف الذي يسعى اليه البليغ الفصيح .

لقد كان العرب قبل الاسلام وبعدة بلونون كلامهم بصور البديع ولم يصدوا الى الزينة أو الحلية قصداً وإنما وجدوا البديع جزءاً مهماً من الصياغة وأنه يعبر عن المعنى تعبيراً دقيقاً ويضفي على الكلمات إحياءاً يثير في النفوس أجمل الصور وأروعها . ولو كان هدف البديع عبر ذلك ما احتل به القرآن الكريم ولتجرد منه لأنه كتاب هداية « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »<sup>(٤٥)</sup> وقد فضله الله تعالى « على علم ، هدى ، ورحمة » نفوم يؤمنون »<sup>(٤٦)</sup> . وكان كتاب الله من جنس كلامهم وإلى ذلك أشار التقديسون فقال الإمام محمد بن ادريس الشافعي : « إلى القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إضاح جبل علم الكتاب أحد جيل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجناب معانيه وتفرقها . وما علمه انتم عنه التثنية التي دخلت على من جيل لسانها »<sup>(٤٧)</sup> . ثم تحدث عن أساليب العرب وقال : « قالنا خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان ما تعرف من معانيها اتساع لسانها وإن فطرته أن يخاض بالتي من عاماً ظاهراً يراد به العالم الظاهر ويستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاماً ظاهراً يراد به العام ويضطره الخاص فيستدل على هذا بعض ما خوطب به فيه ، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص ، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود عليه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدىء الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدىء الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله ، وتكلم

(٤٤) الإيضاح ص ٤٣٣ ، التلخيص ص ٣٤٧ .

(٤٥) سورة البقرة الآية ٢ .

(٤٦) سورة الأعراف ، الآية ٥٢ .

(٤٧) الرسالة ص ٥٠ .

بالشيء، تمرّكه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرف الإشارة ثم يكون هذا عندما من أعلى كلامها لأفراد أهل عليها به دون أهل جياتها + ونسبي، لنسبي الواحد بالاسماء الكثيرة، ونسبي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة»<sup>(٨)</sup> . وقال أبو عبيدة معمر بن الأثني: «قلبي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كلف» عن خبره ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجبيع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجبيع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجبيع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجبيع في موضع الواحد إذا اشرك بينه وبين آخر متردد، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخبر الواحد أو للجبيع وكف» عن خبر الآخر، ومجاز ما خبر عن اثنين أو أكثر من ذلك فجعل الخبر للأول منهما، ومجاز ما خبر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك فجعل الخبر للآخر منهما . ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس، والحيوان كسل ما أكل من غير الناس وهي الدواب كلها، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغالب ومعناه مخاطبة الشاهد، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحركت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغالب، ومجاز ما يزداد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على القائلين، ومجاز المضمر استغناء عن الظاهرة، ومجاز المكرر للتوكيد، ومجاز المجمل استغناء عن كثرة الشكرو، ومجاز المتقدم والمؤخر . ومجاز ما يحول من خبره إلى خير غيره بعد أن يكون من سببه فيجعل غيره للذي من سببه ويترك هو . وكل هذا جائز قد تكلموا به»<sup>(٩)</sup> .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره: «وإذا كان لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - عربياً فبين أن القرآن عربي وبذلك أيضاً نطق بحكم تنزيله قلنا فقال جل ذكره: «إنا أنزلناه قرآناً عربياً

(٨) الرسالة ص ٥١ - ٥٢ .

(٩) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

لحكم تَشْفِيعُونَ»<sup>(١٠)</sup> وقال : « وَاِنَّهُ لَنُزِّلَ » رَبِّ الْعَالَمِينَ . نُزِّلَ به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »<sup>(١١)</sup> .  
 وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا - بما عليه استشهدنا من الشواهد ودلتنا عليه من الدلائل - فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لمعاني كلام العرب موافقة وظاهره لظاهره كلاماً ملائماً ، وإن بايئه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصحناه . فلا كان ذلك كذلك فيس . إذ كان موجوداً في كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء بالاخفاء من الانهيار . وبالقلّة من الأكثار في بعض الاحوال ، واستعمال الامالة والاكثار والترداد والتكرار واطوار المعاني بالاسماء دون الكتابة عنها ، والامسار في بعض الاوقات الخاص في المراد بالعام الظاهر ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصريح وعن الصلّة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكفاء ببعض من بعض وما يظهر عما يحذف والظهار ما حمله الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - من ذلك في كل ذلك له ظهيراً وله مثلاً وشيهاً<sup>(١٢)</sup> .

ولا يكاد كتاب بلاغي يخلو من اثبات هذه الحقيقة الخالدة التي لا ينكرها إلا حاحد للقرآن واسلوبه العربي المبين . وهذه الحقيقة الناصعة التي لا ريب فيها كانت دافعاً الى البحث في بلاغة كتابه الله ، وقد بذل الأقدمون جهوداً عظيمة في هذه السبيل مما يعني المعاصرين عن العودة الى بحثها والوقوف عليها لولا ما يثار بين حين وآخر من شبهات تجسد صدى في بعض البيئات . ومن ذلك ان البلاغة العربية تنسأت في ظل الأثر الاجنبي وهي دعسوة اخذت تردد

(١٠) سورة يوسف ، الآية ٢ .

(١١) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٢ - ١٩٥ .

(١٢) جامع البيان ج ١ ص ٧ .

منذ أكثر من نصف قرن في الدراسات ويدرسها بعض المستشرقين وأنصارهم من العرب ، فقد أُلهم أن تكون اللغة العربية متبصرة على غيرها من اللغات وأن نقل خالدة على أصالتها التي نبعت من الأمة وروحها واستقت روعتها وروعتها وبهاؤها من كتاب الله العزيز . وكان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاهلية تبيين فيه ثلاثة عناصر هي : العصر العربي ، والعصر الفارسي الذي يميل إلى البراعة والفطرية في القول والهيئة. والعصر البيروني الذي يتصل بالعراقي من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الألفاظ . واتضح إلى أن البيان العربي « كلٌّ في جميع أطواره وثيق الصلة باللسنة اليونانية أولاً وبالبيان البيروني أخيراً » وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للفلسفة في الفلسفة وحدها ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان « (١٣) . وليس ذلك بصحيح لأن أرسطو لم يذكر سوى فنون بلاغية قليلة كالتشبيه والمجاز وهما مما اختلفت فيه الأمم وعرفا في جميع اللغات ، وإلا بعض الروايات البديع التي زخرت بكثير منها بلغة العرب . وذهب المسيو مرسيه إلى أن « الزخرف الفني وصل إلى العرب من الفرس » وحججه « أن المؤلفين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم من الفرس المستعربين » (١٤) . والغريب أن المؤلفين بالآثار الفارسية لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وانما اكتفوا بما ردده المستشرقون والمفرضون ، وقد ثبت أن البلاغة الفارسية — فنا وتاليفاً — نشأت في عهد متأخر ، وكان كتابها متأثرين بالفن العربي ، وكان أهم كتبها « ترجمان البلاغة » لمحمد بن عسر الرادوياني و « حقائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط متأثرين بكتب البلاغة العربية وهما متأخران في الظهور ويرجعان إلى القرن الخامس للهجرة وما بعده ، وكانت البلاغة العربية وكتبها قد أخذت طريقها إلى التأليف منذ أواخر القرن الثاني (١٥) ،

(١٣) مقدمة نقد النثر ص ٣١ .

(١٤) النثر الفني ج ١ ص ٤٤ .

(١٥) ينظر منهاج بلاغية لمعرفة ذلك بالتفصيل .



وكانت لشأها عربية وغنوها أصيلة عرفها العرب قبل الاسلام وبسده ولأجل ذلك ألف ابن المعتز العباسي كتابه « البديع » وقال : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي ساء المحدثون البديع ، ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبانواس ومن تفيئهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سبي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه » (١٦٧) .

والأدلة على أن البلاغة العربية فن أصيل كثيرة (١٦٨) ، ولكن كتاب العربية الأكبر أعظم تلك الأدلة وأصدقها ، وكانت العناية ببلاغته ولصاحته عناية قوضع أبو عبيدة كتابه « مجاز القرآن » من أجل مسألة بلاغة تفصل بالتنسيب في قوله تعالى : « مثلثتها كأنه رؤوس الشياطين » (١٦٩) ، وألف ابن المعتز كتابه لالهار أصالة البديع في كتاب الله العزيز وكلام العرب البليغ ، وكتب يحيى بن حبرة العلوي كتابه « الطراز المنضج لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز » ليكون مقدمة يستعين بها كل من يقرأ تفسير « الكشف » الذي بناء مؤلفه الزمخشري على البلاغة وفن القول . وألف غيرهم كتبهم من أجل ذلك لأن « الانسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بعرفة التصاحف لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شجته به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمت من العلاوة ، وجعلته من روق الطلاوة ، مع سهولة كله وجزالتها وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتعبيرت عقولهم فيها . وإنما يعرف أعجازه من

(١٦٧) البديع ص ١ .

(١٦٨) ينظر « أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية » المنشور في مجلة « دراسات للآحيال » - السنة الخامسة - العدد الثالث ( كانون الأول ١٩٨٢ ) ص ١١٩ - ١٥١ ، وسيأتي في هذا الكتاب .

(١٦٩) سورة الصافات : الآية ٦٥ .

جهة عجز العرب عنه وقصورهم عن بلوغ غاية في حسنه وبراعته وسلاسته ونصاعته وكمال معانيه وصفاء آثاقه . وفيح لمعري بالقيه المؤتم به والقارىء المتهدي يهديه والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتسام آتته في مجادلته وشدة شكيته في حجاجه ، وبالعرابي الصليب والقرشي الصريح الا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والتبلي أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل القبي . فينبني من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده (١٩) .

وألفت كتب خاصة في البديع ومن أشهرها « بديع القرآن » لابن أبي الأصمب المصري الذي أحصى فيه تسعة وعائة فن من بينها المساواة والاعجاز والزيادة وهي من علم المعاني ، والتشبيه والتشيل والمجاز والاستعارة والكتابة وهي من علم البيان . وتبنى القنن الأخرى خالصة لعلم البديع وهي كثيرة تدل دلالة واضحة على أن لغة العرب واسعة وانها لم تأخذ قنونها البلاغية من الفرس أو اليونان وانما ولدت في البيئة العربية يوم كان امسروا القيس وأوس ابن حجر وزهير بن أبي سلسى وطرفة بن العبد والأعشى صناجة العرب وحسان ابن ثابت وغيرهم يطفون البلاد ويرجون على القمامة في الشام والمناصرة في العراق ويقطعون البوادي بين الحجاز واليمامة ويصلون الى البحرين . وتألفت يوم نزل القرآن الكريم على خاتم الرسل وسيد الأنبياء ، ويوم أصبح اللل الاعلى لكل شائق بالضاد .

إن القنن البديعية التي فسها كتاب الله تدل على أمرين :

الاول : ان هذه القنن عربية غير منقولة عن الفرس واليونان ، وانها تمثل روح العرب وأصالتهم في التعبير .

(١٩) كتاب الصنائع ص ١ - ٢ .

الأخر : ان هذه التناول ليست حلية تقتصر ، وانما هي ركن مهم في العبارة لا يستغنى عنها ، ولولا ذلك لم يحتل بها القرآن الكريم والحديث الشريف ولم يزدهر بها كلام العرب البليغ .  
وتلك الفنون قسماً :

الأول : ضرب يرجع الى اللفظ كالجناس ورد العجز على الصدر والسجع والموازنة والتشريع ولزوم ما لا يلزم .

والآخر : ضرب يرجع الى المعنى كالمطابقة - الطباق - ومراعاة النظر والارضاد والمساكلة والاستطراد والمزاوجة والتورية والاستخدام والتب والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والمبالغة والمذهب الكلامي وحسن التأكيد وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح .  
وقد عد المتأخرون هذه الألوان محسنات يتولى بها لتحسين الكلام ، وذلك التحسين ذاتي أو عرضي ، قال الدسوقي : « واعلم أن المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضياً إذا اعتبرت من حيث أنها محسنة ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم البديع . وأما إذا اعتبرت من حيث أنها مطابقة لمقتضى الحال لكون الحال اقتضاها كانت موجبة لحسن الذاتي ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم المعاني » (٣٠) . وهذا خلاف لا يفتى الى ثمة بل يؤدي الى انكسار مالفنون البديع من قبة في التعبير ، ولو اكتم المتأخرون بما جاء في القرآن الكريم من ألوان البديع الكثيرة لأعرضوا عن البحث في التحسين الذاتي والعرضي ، لأن ذلك لا يلقى وبلاغة القرآن وروعة أسلوبه المبين . إن التأمل في كلام الله والوقوف على معانيه السامية وتذوق ألفاظه الموحية ومعانيه المؤثرة يؤكد أنه البديع لم يكن حلية أو محسناً عرضياً وانما هو أسلوب يهدف الى أمور منها :

(٢٠) حاشية الدسوقي ج ١ ص ١٣١ .

- الأول إبراز المعنى بأجلى صورة وأوضحها .  
 الثاني : جمال التعبير واتسافه البديع .  
 الثالث : روعة التأثير وفعله في النفوس .

ولايضاح الفكرة لايتبد من عرض بعض صور البديع من القرآن الكريم، فمن ذلك ما جاء من جناس تام في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ أَفْعَى يَخْرُجُ مِنَ السَّاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرْكَرٍ فَيَصِيبُ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ وَيَصْرِفُهُ عَنِ يَسَاءٍ ، يَكَادُ سَنَا يَرْفَهُ يَهْجُبُ بِالْأَبْصَارِ » . يَنْقَلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ » (٢١) . فقد تحدث سبحانه وتعالى عن قدرته حين يسوق سبحانه في الساء ثم يركب بينه ويخرج المطر من خلاله ثم ينزله من الساء فيصيب من يساء فتخضب أرضهم وينمو زرعهم ، ويصرفه عن يساء فتجذب أرضهم وتموء حالهم . والصورة هنا مرئية بالعين فالسنا يهجب بالابصار ، ومحسوسة بالقلب وما يمثل فيه حين يفرح الانسان بخير يسه أو يحزن لشئ يصيبه . وقد جاءت « الابصار » الأولى وهي جمع « بصر » معبرة بدقة عن المعنى في قوله تعالى : « يَكَادُ سَنَا يَرْفَهُ يَهْجُبُ بِالْأَبْصَارِ » وجاءت الثانية بمعنى البصرة والادراك في قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ » . وليست هناك لفظة تغني عن إحداها كالعيون والقلوب ، وما أروع لفظة « البصر » التي تردت في القرآن الكريم كقوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبُصِرتَ اليوم حديد » (٢٢) وقوله : وما أمثَرُ الساعة إلا كلعج البصر أو هو أقرب » (٢٣) . وقوله : « يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » (٢٤) . وما أجمل « الابصار » في

- (٢١) سورة النور ، الإثنان ٤٢ - ٤٤ .  
 (٢٢) سورة ق ، الآية ٢٢ .  
 (٢٣) سورة النحل ، الآية ٧٧ .  
 (٢٤) سورة الملك ، الآية ٤ .

قوله : « فاعلموا لانفس الابصار » ولكن تسمى القلوب التي في الصدور ،<sup>(٢٥)</sup>  
وقوله : « وإذا زانت الابصار » وبلغت القلوب الحناجر »<sup>(٢٦)</sup> .

ومن الجناس التام أيضا قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة » ينقسم  
المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك يؤفكون »<sup>(٢٧)</sup> ، « الساعة الاولى يوم  
القيامة ، والثانية الوقت ، وقد جاءت للتعبير عن شعور المجرمين بالوقت القصير .  
ووردت لفظة « الساعة » كثيرا في كتاب الله وكانت تدل على يوم القيامة  
مرة وعلى الوقت مرة أخرى ، ولكن الآية الكريمة جمعت الدلائل  
في المعنيين ، وعبرتنا عن المعنى أدق تعبير .

ومن الجناس الناقص قوله تعالى : « والتبت الساق بالساق » الس  
ربك يومئذ المساق »<sup>(٢٨)</sup> . و « المساق » هنا غير الرجوع أو الذهاب أو  
السير وغير ذلك من الالفاظ التي تدل على الاختيار ولكنه الجسر إلى الله  
تعالى للحساب ، فكانت اللفظة شديدة الدلالة على المعنى ومعبره عن الصورة  
التي يلقى فيها الانسان الجاحد ربه . وتتجلى الصورة بوضوح حين تربط  
بالمعنى الصام كنه ، يقول تعالى : « كلا إذا بلغت التراقي » وقيل من  
راقى . وطن . أنه التراقي . وانتفتح المساق بالساق . إلى ربك يومئذ  
المساق . فلا صدق ولا صلتى . ولكن كذب وتولى . ثم ذهب إلى  
أهله يشطى . وأولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى . يحسب الانسان  
أن يشترك سدى . ألم يك ثلثة من مئى . ثم كأن علقه  
فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . اليس ذلك بقادر  
على أن يحيى الموتى »<sup>(٢٩)</sup> .

(٢٥) سورة الحج ، الآية ٦ .

(٢٦) سورة الاحزاب ، الآية ١٠ .

(٢٧) سورة الروم ، الآية ٥٥ .

(٢٨) سورة القيامة ، الايتان ٢٩ - ٣٠ .

(٢٩) سورة القيامة ، الايات ٢٦ - ٤٠ .

ومن صور اليديع السجع كتوبه تعالى في سورة الضحى : « والضحى • والتيلير إذا سجي • ما ودعك ربك وما قلى • وللآخرة خير لك من الأولى • وسوف يجعلك ربك عفتري • ألم يجعلك يتيما فآوى • ووجدك ضالاً • فهدى • ووجدك عائلاً فأغنى • فأما اليتيم • فلا تقهر • وأما السائل • فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث • » لقد أقسم الله تعالى بالضحى ثم بالليل ولكنه ليس بالماسف لأن ذلك لا يتفق واشراقه الضحى وعذوبته ، ثم وجه الكلام الى يبه العظيم فقال : « ما ودعك ربك » وأوفق كلمة تأتسي بعد ذلك فعل « قلى » الذي لا تؤدي معناه لفظة أخرى كالهجر أو التترك لأن التالي فيه بغض وكراهية ، وقد يترك الإنسان صاحبه أو يهجره من غير أن يكرهه أو يحمل في قلبه عليه حقاً ولا يتقابل « الآخرة » إلا « الأولى » ولا يكون بعد العطاء إلا الرضى في مثل هذا الموقف ، وحينما انتهى الكلام الى ما كان عليه محمد - صلى الله عليه وسلم - من يشتم وحيرة ، جاءت لفظة « الهدى » أو الفعل « هدى » بعد الضلالة و « الغنى » بعد « الفقر » وكانت لفظة « تنهر » بعد « تقهر » لأن كلا من الفعلين يدل على المعنى المقصود ، فالقهر لليتيم والنهر للسائل مما يشتر الأثم في النفس ، وليس في اللغة ما يعبر عن هذا المعنى تعبيراً دقيقاً مثل هذين الفعلين • وإن « ما جاء فيها ما مشئى » لزوم ما لا يلزم » ليس حلية أو صناعة ، وإنما هو ما اقتضاء المعنى ولو كان المتصود غير ذلك لجاءت أفعال أخرى ليس فيها هذا اللون من اليديع • ولما أراد - سبحانه - تعالى - من يبه المرسل راحة للعالمين أن يحدث بنعمته قال : « وأما بنعمة ربك فحدث » أي بلغ ما أرسلت به وحديث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم ، وانفرد كبير بين « حدث » و « خبر » ولذلك لم يقل « خبر » • فللسجع فسي سورة « الضحى » لم يأت رتبة وإنما تطلبه المعنى واقتضاء ، ولو غيَّرت الالفاظ لتغير المعنى وذهب القصد ، وهذا هو السجع الذي حرص عليه البلاغة والأدباء • أما ما شاع في كلام المتأخرين فهو قيود أقتضت الكلام رواه

ومعناه وحلية جعلت الناس يشعرون منه وينهون كما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سجع الكهان ولذلك ابتعد الباحثون عن هذه النسبة المأخوذة من سجع الحمام وهو تردد صوتها وألقوا بمصطلح « التواصل » على هذا اللون من التعبير في كتاب الله . وأصبحت الفاصلة أهم من السجع ودخلت فيها الموازنة وهي « أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقية »<sup>(٢٠)</sup> كقوله تعالى : « ونسارق مصفوفة » و « زرابسي مبشوة »<sup>(٢١)</sup> ، فللغة « مبشوة » لانتهي بها انتهت به « مصفوفة » ولكننا على وزنها . ومثل ذلك قوله تعالى : « وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهم الصراط المستقيم »<sup>(٢٢)</sup> ، فللغة « المستقيم » لانتهي بالنون وانما بالميم القريبة منها ، وهي تعطي إيقاعاً بديعاً إلى جانب التوازن بين الآيتين في عدد الكلمات والارتباط بينهما في المعنى .

والجناس والسجع من المحسنات اللفظية عند المتأخرين ، وفي ذلك إعطاء لأحدهما يختصان باللفظ وحده ، وليس الأمر كذلك بل هما مادة المعنى وأداة التعبير في الآيات السابقة وفي بليغ كلام العرب وفصيحه . أما الضرب الآخر من البديع فهو المحسنات المعنوية ، وقد جعل المتأخرون منه المطابقة - الغباق - وهي « الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجمل »<sup>(٢٣)</sup> . والمطابقة من الأساليب المهمة في التعبير ؛ لأن في مقابلة الأضداد إيراداً للمعنى وقد قيل : « والصد بغير حسنة الصد » . ومن بديع هذا الفن قوله تعالى : « وآتاه هو أضحك وأبكى وآتاه هو أمات وأحيا » وآتاه خلق الزوجين الذكر والأنثى<sup>(٢٤)</sup> ، فقد جاءت

- 
- (٢٠) الأيضاح ص ٣٩٨ ، التلخيص ص ٤٠٤ .  
 (٢١) سورة الفاشية ، الآيتان ١٥ - ١٦ .  
 (٢٢) سورة الصافات ، الآيتان ١١٧ - ١١٨ .  
 (٢٣) الأيضاح ص ٣٢٤ ، التلخيص ص ٣٤٨ .  
 (٢٤) سورة النجم ، الآيات ٤٣ - ٤٥ .

المطابقة بين « أشحك » و « أبكى » وبين « أمات » و « أحيا » وبين « الذكر » و « الأشي » وكانت القواصل دالة على المعنى أحسن دلالة ومعبرة عن الغرض أبدع تعبير . ومثله قوله تعالى : « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخلوه سبيلا . وإن يروا سبيل النقي يتخلوه سبيلا »<sup>(٣٥)</sup> . فقد جاء « الرشد » و « النقي » وهما متضادان وجاء « لا يتخلوه » و « يتخلوه » وهما متضادان . ولم يقصد إلى هذه المطابقة قصداً وإنما طلبها المعنى واستدعاها ، ومثل ذلك قوله تعالى « وكفوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »<sup>(٣٦)</sup> فقد جاءت لفظة « الأسود » مطابقة للفظ « الأبيض » والمعنى هو الذي طلبها ، ولا تصح كلمة أخرى مكانها لأن « الأبيض » يقابل « الأسود » مقابلة تامة ولو ذكر لون آخر لذهبت الصورة وخفي المقصود من التعميم بل ظهرت العبارة شاحبة بتفتتها الاثرائ والحياء .

ومما سبي محسنات معنوية التثنية والتثنية وهو « ذكر متعدد على جهة التفصيل والاجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثمة بأن السامع يردّه إليه »<sup>(٣٧)</sup> كقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله »<sup>(٣٨)</sup> . فإن « لتسكنوا » يرجع إلى الأول وهو الليل ، و « لتبتغوا » يعود إلى الثاني وهو النهار . وكقوله : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى »<sup>(٣٩)</sup> فإن الضمير لسي « قالوا » لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى : وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى . فلفظه بين القولين ثمة بأن السامع يردّه إلى كل فريق قوله ،

(٣٥) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .

(٣٦) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٣٧) الإيضاح ص ٣٥٥ ، التلخيص ص ٣٦١ .

(٣٨) سورة القصص : الآية ٧٣ . (٣٩) سورة البقرة : الآية ١١١ .



وهذا أسلوب مهم في اللغة العربية كثير الاستعمال في حصر القضايا ثم تفسيرها .

ومنا المذهب الكلامي وهو « أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام »<sup>(١٠)</sup> كقوله تعالى : « لو كان فيما آتاه الله فساداً »<sup>(١١)</sup> ، وقوله : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »<sup>(١٢)</sup> أي أن إعادة أهون عليه من البدء ، وما دام الله قد خلق الناس فهو قادر على أن يعيدهم ويعيشهم من جديد . وكان المذهب الكلامي من الفنون التي افكر ابن المعتز وجودها في القرآن الكريم فقال : « وهذا باب ما أعلم أنه وجبت في القرآن منه شيئاً ، وهو يسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »<sup>(١٣)</sup> . ولكن هذا الفن من الأساليب التي يستند عليها الكلام ولذلك لم يأخذ البلاغيون برأي ابن المعتز وتحدثوا عنه في بدیع القرآن وقال ابن أبي الأصمعي : « الكتاب الكريم منحوت به »<sup>(١٤)</sup> وذكر كثيراً من الآيات الدالة على أهمية هذا الأسلوب في عرض القضايا والاستنتاج منها .

ومن جميل ألوان البديع فن ساء البلاغيون « الإبداع » وهو « أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على أفرادها متضمنة بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع ، ولا تخلو لفظة منه من بديع فساد زاد عليه »<sup>(١٥)</sup> . وقد استخرج ابن أبي الأصمعي كثيراً من الفنون في آية واحدة وهي قوله تعالى : « وقيل ما أرضى أبلي ماأك ، وإساءة اكلمي ، وعيش الماء » ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل بضعاً

(١٠) الإيضاح ص ٣٦٦ ، النظم ص ٣٧٤ .

(١١) سورة الروم ، الآية ٢٧ . (١٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(١٣) البديع ص ٥٢ .

(١٤) بدیع القرآن ص ٣٧ ، تحرير التحرير ص ١١٩ .

(١٥) بدیع القرآن ص ٣٤٠ ، تحرير التحرير ص ٦١١ .

للقوم الظالمين » (٤٥) . وبلغت الفنون التي استخرجها أحداً وعشرين من المحاسن منها : المناسبة ، والمطابقة ، وحسن التعليل ، وصحة التقسيم . وحسن النسق ، والتسليم ، وحسن البيان . ثم قال بعد أن ذكر الوجوه الكثيرة : « إذ في كل لفظة بديع » وبديعان . كما تقدم . سبع عشرة لفظة تفشت أحداً وعشرين ضرباً من البلاغة سوى ما يتعد من شروطها فان الاستعارة وقعت في موضعين وهما استعارة الابتلاع والاقتراع . فاطر . رحيمك الله . الى غلبة هذا الكلام وما انطوى عليه غلته وما تضمنته لفظة لشعره قدره . وهذا ما ظهر لي منه على ضعف قلري وقلة مادتي من العلوم وكلال ذهني والله أعلم » (٤٦) .

وفي كتاب الله كثير من الفنون البديعية الأخرى كاللغات وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والتعريف والمناطة والاستجم والتعظيم والقرائد والنزاعة وغيرها من الفنون التي ذكرها البلاغيون ، وهي كلها ترتبط بالمعنى ارتباطاً وثيقاً أي أنها ليست حلية أو محسناً يؤتى به لتزيين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة . ولو كان هذا هدف البديع لأعرض عنه القرآن ولأبى وأبعد عن استعماله النبسي العربي وصحات الأبرار وتجنبه البلاء والفصحاء .

إن البديع فن عربي لا رب في ذلك وإن الفرس أو غيرهم من الأمم الإسلامية أخذوه من العرب ، ولم يكن الجاحظ مبالغا حينما قال : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله ظفرت لغتهم كزلفه وأريت على كل لسان » (٤٧) ، وإنما هي الحقيقة الناصعة التي لا ينكرها إلا من كان جاحداً أو من كان شديد الخصام . لقد استعمله الشعراء قبل الإسلام ورفع شأنه القرآن وأكسبه جلالاً وقسوة على أداء المعنى بدقة ووضوح ولأن بعض الممارسين المتأخرين أرجعوا كل فضل الى الفرس أو اليونان ، وسلبوا

(٤٥) سور هود ، الآية ٤٤ . (٤٦) بديع القرآن ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤٧) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

الأمة العربية كثيراً من خصائصها الفكرية وسالتها الفنية . والموازاة الدقيقة بين ما للعرب ولغيرهم من الأرقام والأسماء قلير أن أبناء الفساد مندعبون لا مقلدون ، وأن بلاغتهم وسعت ألوان التعبير ، وكانت ذات فطرة عجيبة على التصور . ومن هنا جاءت الدعوة إلى إعادة النظر فيما كتب فسي القرن العشرين والنظر في الآراء التي ترددت سنوات من غير تمحيص ليوضع الفكر العربي الإسلامي حيث ينبغي أن يوضع ويأخذ مكانه في الحضارة الإنسانية . وفي ظل هذه الدعوة الصادقة كان النظر في البلاغة العربية ، وهي دعوة بدأت في مطلع هذا القرن أو قبله بقليل وأثمرت بعض الثمار على يدي الإمام الكبير الشيخ محمد عبده الذي أولى البلاغة عناية كبيرة وأمر مطبع كتابي « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » لعبدالقاهر الجرجاني ، ولكن دعوة الإمام أصابها الركود بعد وفاته ولم ترتفع إلا أصوات قليلة في سبيل إحياء بلاغة القرآن ، وظلت الاتجاهات المربية تسيطر على الدرس البلاغي متخذة من صور الأدب المتأخرة مطلقاً أخرى كل حافد على العرب بأن يصم فن قولهم بما لا يؤيده الحقيقة ولا يقبله البحث العلمي الدقيق . والعودة إلى النبع الصافي والأخذ بما أبدعه العصر الحديث يعتمد الطرق ويصح الألفاظ الرجة لكل من يرئس هذه السيل . والقرآن الكريم هو المثل الأعلى لكل باحث يؤمن بالمعالي السامية والقيم الرفيعة ، ولعل دراسة البديع من هذا المنطلق تغير ما درج عليه الباحثون وتعيد إلى هذا اللون من صور التعبير سناة وترجع إليه وجهه المشرق الذي تجلئ في كتاب الله وكلام البلغاء والصحاء . وهذا هو المقاييس الصحيح فسي مثل هذه الدراسة الفنية النابعة من روح الأمة العربية وأصالتها ؛ لأن الحكم على فنون البديع من خلال أدب اليهود المتأخرة يسلبه قيمته ويجعله زخرفاً وزينة وقبحاً ولن تمش اللغة العربية وتجلئ أساليبها المشرقة ويعود إليها رواؤها ما لم ينل أبناءها من معنيها الصافي ويتنوقسوا عدوبتها ويمتزوا بها ، لأنها لغة كتابهم الطالدة وعزة وحدتهم ووعاء فكرهم وعنوان حضارتهم .

## المصادر

- ١ - أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية - الدكتور أحمد مطلوب . بحث نشر في مجلة (دراسات لأحيال) كانون الأول ١٩٨٢م .
- ٢ - الإفصاح - الخطيب الغزويني . مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- ٣ - البديع - ابن المعتز . طبعه كزانتكوفسكى . لندن ١٩٢٥م .
- ٤ - بديع القرآن - ابن أبي الأصبغ المصري . تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف . القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ٥ - البيان والتبيين - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٦ - تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان أحوال القرآن - ابن أبي الأصبغ المصري . تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف . القاهرة ١٣٤٨هـ - ١٩٦٢م .
- ٧ - التلخيص - الخطيب الغزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- ٨ - جامع البيان في تأويل أي القرآن - ابن جرير الطبري . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ٩ - حاشية الدسوقي - محمد بن محمد مرقه (مطبوع في شروح التلخيص - القاهرة ١٩٢٧م) .
- ١٠ - الرسالة - الإمام محمد ابن ادريس الشافعي . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٤٠م .
- ١١ - كتاب الصناعتين - أبو حلال العسكري . تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفصل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٢ - مجال القرآن - أبو عبيدة معمر بن المنذر . تحقيق الدكتور محمد مؤاد سزكين . القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- ١٣ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٢٩٢هـ - ١٩٧٣م .
- ١٤ - النثر الفني في القرن الرابع - الدكتور ركني مبارك . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ١٥ - نقد النثر - المنسوب الى قدامة بن جعفر . تحقيق الدكتور طه حسين وعبدالحميد العسدي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٣٨م .



## ( ٨ )

### أثر الحديث في البلاغة

المصاحح :

كان الرسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وسلم - في دروة فصاحة والبلاغة وقد قال عن نفسه : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش » ، قال يحيى بن حمزة العلوي : « قلل كلامه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان فارلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته في العبارة العليا بحيث لا يندابيه كلام ولا يقاربه وإن انظم أي انظم <sup>(١)</sup> » . وكلامه - عليه السلام - المنصر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، غير أن اللعوب والنعا لم يستفيدوا منه كثيراً مع اعتزازهم به وتصديقهم لصاحب الرسالة الإسلامية عليه أفضل الصلاة والسلام . ولو اعتد القدباء كثيراً على كلامه - عليه السلام - لتطورت اللغة العربية واستجدت صيغ وبنيت قواعد تغير كثيراً مما استقر في الأذهان . ولعل البلاغيين - أي علماء البلاغة - كانوا أشد التصاقاً بالأحاديث الشريفة من علماء اللغة والنحو فقد تحسوا البلاغة النبوية ولعلوا منها ما وسعهم قواعدهم وأسعنتهم تقسيماتهم .

ولعل الشريف الرضي ( - ٤٠٦ هـ ) كان من أكثر القدباء رجوعاً إلى كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد ألف كتاباً سماه « المجازات

❦ نشر في مجلة ( دراسات عربية وإسلامية ) ج ٢ سنة ١٩٨٢ م . وهي التي أصدرتها اللجنة الوثنية لاحتفالات القرن الخامس عشر للهجرة ، والباحث أحد أعضائها .

(١) الطراز ج ١ ص ١٦٠ .

التبوية» نعرض فيه لما ورد في الأحاديث الشريفة من فن المجاز بمعناه الواسع ونبه إلى ذلك فقال : « واني ملكت من ذلك محجة لم تسلك وطرقت باباً لم يطرق ، وما رغبت اليّ فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان القرينة وأسرار اللغة اللطيفة»<sup>(٢)</sup> . وهذه النقطة عظيمة من الشرف الرضي إلى الحديث الشريف ، وقد مهد بذلك السبيل للبالغين الذين أخذوا يعتمدون على كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويوردون منه أمثلة واسعة للفصاحة والبلاغة .

وينجلي أثر الحدث الشرف في البلاغة في موقفين :

الاول : انقاذ الحديث سبباً لتعلم الكتابة واتقانها والتوصل إلى الأساليب الرفيعة ، أي ان كلام الرسول - عليه السلام - مادة أساسية لضبط اللغة والتفنن فيها . وكان ضياء الدين بن الأثير (١١٦٣هـ) أشهر من دعا إلى ذلك في الفصل الذي عنده لألآل علم البيان وأدواته فقال : « إذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فيلتفت حينئذ إلى ثمانية أنواع من الألآل»<sup>(٣)</sup> وكانت إحدى تلك الألآل « حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والسلوك بها مساكات القرآن الكريم في الاستعمال » . وقال شهاب الدين الحلبي ( ١٢٠٥هـ ) : « وتتلو ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية - صلوات الله على قائلها وسلامه - وخصوصاً في السير والمغازي والأحكام والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها وقفه ما لا بد من معرفته من أحكامها لينتق منها عن سعة ويستشهد بكل شيء في موضعه ويخرج بكتاب الحجة ويسند بموضع

(٢) المجازات النبوية ص ١٩ .

(٣) المنل السائر ج ١ ص ٩ .

الدليل ، وتصرف عن علم بمرسوع التلظ ومعناه ، ويبي كلامه على أصل لا يرفع ويسوق مفاصده الى سبيل لا يصد عنه ولا يدفع . فان الدليل على المقصد إذا استند الى النص سلم له وسلم ، والقصاحة إذا طلبت غايتها فانها بعد كساب الله في كلام من أوتي جوامع الكلام . وقد كان على ذلك في الصغر الأول من الصحابة وتابعهم<sup>(١)</sup> . وقال ابن الأثير الحلبي ( ٧٣٧ هـ ) فيما يحتاج اليه كاتب الالتساء من العلوم والفضائل لبعد كتابا : « ومنها حفظ جملة من الأحاديث النبوية لفائدة الدين :

إحداها : تركها بالحديث لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « من حفظ على أمي أربعين حديثا من أمر دينها بعث الله يوم القيامة في زمره العلماء » وهذه فائدة أخوية .

والفائدة الثانية : السلوك به ملك كتاب الله العزيز باستعماله في مطاوي كلامه مكان الاستنباد به ، وعند الاحتياج اليه بأمر أو نهي بشرط لزوم الأدب الشرعي في استعماله حتى لا يستعمله فيما يكره الاستعمال فيه شرعا<sup>(٢)</sup> .

ودخل الحديث الشرف في كلام الإدياء واقتبوا منه كثيرا فقال منصور الهروي الأزدي :

فلو كانت الاخلاق تحوى ورائه ولو كانت الآراء لا تشعب  
 لأصبح كل الناس قد ضلهم هوى كما أن كل الناس قد ضلهم أب  
 ولكتها الأقدار ، كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرع

(١) حسن التوسل ص ٧٨ .

(٢) جوهر الكفر ص ٣٠ .

ولبيت الأخير مقتبس من قوله عليه السلام - : «اعملوا ، كل من شئتم» لما خلق له <sup>(٦)</sup> . وعقدوا من الحديث الشريف كقول الامام الشافعي - رضي الله عنه - :

صحة الخير عندنا كلمات " اربع " قالهن " خير " البرية  
اتقوا المشبهات وازهد ودع ما ليس بميتلك واعلمن بدينه  
عقد قوله - عليه السلام - : « الحلال بين والحرام بين وبينهما  
امور مشبهات » ، وقوله : « ازهد في الدنيا يحبك الله » وقوله : « من  
حسن اسلام امره تركه » ما لا يثبه « وقوله : « انا الاعمال بالنيات » <sup>(٧)</sup> .  
وادخلوا الحديث في حسن التعليل ، قال ابن رشيقي يحال قوله -  
صلى الله عليه وسلم - : « جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً » :

سألت الارض لم جعلت مسكناً ولهم كانت لنا طهوراً وطيباً  
فقال غير فافضة لآسني حوت لكل انسان حبيباً  
قال العلوي : « ولقد احسن في الاستخراج والطب في التعليل فلاجل  
ما قاله كان ذلك علة في كونها طهوراً ومسجداً » <sup>(٨)</sup> .

وحثوا الاحاديث الشريفة . وكان صياد الدين بين الالهي من اكثر المندماء  
اعتصاما بذلك ، وقد تحدث عن حل آيات القرآن فقال : « وأما حل آيات  
القرآن العزيز فليس كثر المعاني للسرورية لان المناظره ينبغي ان يحافظ عليها  
لكان فصاحتها إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ تلك الآيات بجملته فان ذلك من باب  
التفسير وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل اولاه الكلام أو آخره على حسب  
ما يقتضيه موضعه . وكذلك تتمثل بالاخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى  
الآية والخبر فيكس لفظاً غير لفظه . وليس لذلك من الحسن ما للقس

(٦) الابيضاح ص ٤١٩ .

(٧) الابيضاح ص ٤٢٢ - ٤٢٤ . (٨) الطراز ج ٢ ص ١٢٩ .



الاول<sup>(٩)</sup> ، ثم قال : « وأما الاخبار النبوية فكأن القرآن العزيز في حل معانيها<sup>(١٠)</sup> . وذكر كثيراً من الاخبار النبوية المحولة ليكون الطريق واضحاً لمن يقوى على سلوكه ، وتبعه في ذلك المتأخرون كشهاب الدين الحلبي في كتابه « حسن التوسل الى صناعة التوسل »<sup>(١١)</sup> . وابن الاثير الحلبي في كتابه « جوهر الكنز » وقد قال : « وأما حل الآيات من القرآن العزيز وكذلك الاحاديث النبوية فينبغي للشئىء أن لا يأخذ عند حل الآية والحديث جملة اللفظ فإن ذلك من باب التضيق ، ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكماله إلا إن أراد بذلك الاستشهاد ، بل إذا وقع له معنى وكانت آية من الآيات الكريمة أو حديث من الأحاديث النبوية يفسن ذلك المعنى فليجعل الآية والحديث في سياق كلامه المناسب للمعنى فيطرز كلامه بالآية أو الحديث »<sup>(١٢)</sup> .

لقد كان الحديث الشريف مهلاً عذباً استقى منه الأدباء بلاغتهم وفصاحتهم وأخذوا عنه المعاني الرقيقة والصور البديعة والالفاظ الرشيدة فازدان أبهم وحلا لفظهم وعذبت معانيهم .

الثاني : اتخاذ الحديث الشريف شاهداً بلاغياً وفيما الى جانب كلام الله تعالى . والبلاغيون في هذا المنحى أكثر حرية من اللغويين والنحاة وأعظم قدرة على تعمس ما في كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بلاغة فاقت كلام العرب . وتتضح الاستفادة من الحديث في الشاهد البلاغي في كتاب « الطراز » ليجيى بن حمزة العلوي الذي اختط لنفسه منهجا في ذكر الشواهد والأمثلة ، فهو بعد أن ينتهي من بحث الموضوع يذكر أمثلة تتوزع

(٩) المثل السائر ج ١ ص ١١٤ .

(١٠) المثل السائر ج ١ ص ١٢٧ .

(١١) ينظر حسن التوسل ص ٧٨ ، ص ٣٢٥ وما بعدها .

(١٢) جوهر الكنز ص ٦٠٩ .

على أربعة أنواع :

الأول : من كلام الله سبحانه وتعالى .

الثاني : من الأخبار النبوية الشريفة .

الثالث : من كلام الإمام علي - كرم الله وجهه - .

الرابع : من كلام البلغاء وأهل الفصاحة .

وهذه قاعدة مطردة سار عليها في كتابه وبذلك تجلت العناية بكلام الرسول الكريم وانضحت صورته المختلفة . وكان جلال الدين السيوطي ( ٩١١ هـ ) يكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف في فنون البلاغة ولا سيما البديع : قال : « وقد التزمت أن آتي في كل نوع بشئ فأكثر من الحديث النبوي ثمرين وتثنيًا وتثريقًا وثنيًا به »<sup>(١٣)</sup> . وعند الرجوع الى كتب البلاغة ولاسيما المتأخرة منها نجد العناية بالحديث الشريف واضحة كل الوضوح ، وتجد المؤلفين ينهلون من هذا المنهل العذب ويوشحون به قواعدهم وتقسيماتهم الى جانب كلام الله - تعالى - وكلام العرب البلغاء . ويستطيع الباحث أن يضع يده على هذه الظاهرة في معظم فنون البلاغة ، ولكن عناية المتقدمين بالمجازات النبوية كان أظهر لروعة كلام الرسول - عليه السلام - وجمال صورته الجديدة ، وكان الشرف الرضي من أوائل الذين اهتموا بالمجاز وتحدثوا عنه في كتاب مستقل . ومن كلامه - عليه السلام - الذي يدخل في المجاز المرسل قوله : « المسلبون تنكافأ دماؤهم ويسمى بدمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم » ، و « يد » هنا بمعنى القوة . وهذا التفسير هو الوجه الثاني الذي ذكره الشرف الرضي قال : « والوجه الآخر أن يكون « اليد » هنا بمعنى القوة فكأنه - عليه الصلاة والسلام - قال : « وهم قوة على من سواهم » . والقوة أحد المعاني التي يصبر عنها باسم « اليد »<sup>(١٤)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - « اليد العليا

(١٣) شرح عقود الجمان ص ١٠٥ . (١٤) المجازات النبوية ص ٢٥ .

خير من اليد السفلى » ، وقوله : « إن هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خلقا حسنا فعل » ، وقوله : « مات حنظلة الله » فقد أطلق الجزء وأراد الكل ، وقوله : « الصدقة عن ظهر غنى » والظهير هنا القوة أي : له قوة من غنى .

وفي كلام الرسول الأعظم كثير من المجازات العقليّة ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « حبي الوطيس » وقوله : « إن من البيان لحرارة » وقوله : « حبك الشيء يمدّي ويصم » وقوله : « ثمام عيناى ولا ينسام عليّ » وقوله : « وصل الظاهر بعدما يتنفس الظل وتبرد الرياح » وقوله : « إذا ملا الليلُ بطن كل واد » (١٦٥) .

وفي من مجاز الحذف قوله — عليه السلام — « هذا جبل يحبنا ونحبه » أي : يحبنا أهله ، وقوله : « نهران مؤمنان ونهران كافران » أي أن أهل هذين النهرين مؤمنون وأهل هذين النهرين كفرون ، وقوله : « الأيمان هبوب » أي : صاحب الأيمان هبوب (١٦٦) .

ومن الاستعارات البديعة في كلامه — عليه السلام — قوله : « كلما سمع حشيشة طار لها » فإن المدوّ والعتيران يشتركان في أمر داخل في مفهومها وهو قطع المسافة بسرعة ولكن الطيران أسرع من المدوّ (١٦٧) . ومن ذلك قوله : « أكثروا من ذكر هادم اللذات فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسهه عليكم » فاستعار هادم اللذات للوثة . وقوله : « لا تستضيئوا بنار المشركين » فاستعار ذكر النار للرأي والمشورة ، والمضى لا تهتدوا بنار المشركين . وقوله : « قيّدوا القرآن بالدرس فإن له أوابداً كالأوابد الوحش » فاستعار ذكر « الأوابد » وهي الحيوانات الوحشية لما فيها من الفار وشدة

(١٥) المجازات النبوية ص ٤٤ ، ٩٤ ، ١٣٥ ، ١٧٢ ، ٢١٢ .

(١٦) المجازات النبوية ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١٧٤ .

(١٧) كتاب الصائغين ص ٢٧٧ ، الإيضاح ص ٢٩٠ .

الشروح لهذه المحفوظات عن القلب إذا لم تكن راسخة فيه بشدة الدرس لها<sup>(١٨)</sup> . وفي كتاب « المجازات النبوية » للشرف الرضي كثير من هذه الاستعارات البديعة التي كان كثير منها جديداً لم ينطق بمثله العرب .

ومن التشبيهات البديعة في كلامه - صلى الله عليه وسلم - قوله : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اعتديتم » وقوله : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أعضائه بالسهر والحس » وقوله : « الحياء من الأيسان كالرأس من الجسد » وقوله : « الناس كاستنان المشط في الاستواء » وقوله : « انه لم يبق من الدنيا إلا كالأخة راكب أو صر » حاسب<sup>(١٩)</sup> .

ومن التخييل قوله - عليه السلام - : « أتيتكم بالعينية البيضاء وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذي هو اشراق أو ايضاض وإن البهمة ونحوها على خلاف ذلك<sup>(٢٠)</sup> » . وكثير من هذه التشبيهات أصبح أمثالا كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « أقم الشعار والناس الدثار » وقوله : « الاسلام يعبأ ما قبله » وقوله : « إياكم وخضراء الدمر » وقوله : « المؤمن مرآة أخيه »<sup>(٢١)</sup> .

وفي الأحاديث الشريفة كثير من الكتابات ، وقد قال ابن أبي الاصمعي المصري : « وفي السنة النبوية من الكتابة ما لا يكاد يحصر كتوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يضح القمصا عن كتفه » كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر<sup>(٢٢)</sup> . ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « ذلك رجل لا يتوسد القرآن » قال الشرف الرضي : « وهذه من الاستعارات العجيبة والكتابات

(١٨) الطبراني ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(١٩) الطبراني ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢٠) الإفصاح ص ٢٢١ .

(٢١) المجازات النبوية ص ٤١ ، ٥١ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٨ .

(٢٢) تحرير النخب ص ١٤٤ .

الغريبة وهي تحتل معني : أحدها مدح والآخر ذم ، فأما المسدح فهو  
أن يكون المساد به أنه لا ينسب عن قراءة القرآن بل ينقطع إليه بالتهجد به  
والتصرف مع تلاوته فيكون القائم بدرس كالمشتغل به والدائم كالمتردد له ،  
كأنه جملة وساداً لغيره وفرائداً لجنبه ... وأما المعنى الآخر الذي يحتل اسم  
فهو أن يكون المراد أنه غير حافظ للقرآن فليس بخازن من خزائنه ولا وعاء  
من أوعيته ، فإذا قام لم يكن متوسطاً له كما يوسده من هو ظرف من ظروفه  
الحاوية له والمشتغلة عليه <sup>(٢٣)</sup> . ومن ذلك أيضاً قوله لازواجه - رضي الله  
عنه - : « أسرعن لحاظاً بي أطولكن يداً » أي : أسرعن أكثركن كرمها  
وعطاءه <sup>(٢٤)</sup> . وقوله : « يا أختي رفقا بالقولرسر » وهذا كناية عن  
النساء <sup>(٢٥)</sup> .

ومن التعريض قولاً صلى الله عليه وسلم - وقد خرج يوماً وهو  
محتضن لأحد الحسين فقال لها : « إنكأ لمن ربحنا الله وإن آخر وثأق  
وطأ الله بوسج » وفي ذلك تعريض بقرب وفاته - عليه الصلاة والسلام <sup>(٢٦)</sup> .  
ومن أهم خصائص الأحاديث الفنية أنها موجزة كل الإيجاز ولذلك  
استشهد بها البلاغيون عند كلامهم على الإيجاز ، ومن ذلك قوله - عليه  
السلام - : « ألحزم سوء الظن » وقوله : « الخراج بالضمان » وقوله :  
« لا ضرر في الإسلام » وقوله : « الطمع فقر واليأس غنى » <sup>(٢٧)</sup> . ومن  
الإيجاز بال تقرير وهو الذي تكون ألفاظه مساوية لمعناه فوله - عليه السلام - :  
« الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك مشبهات » وفوله : « أئنا الاعمال  
بالتيات ولكن أمرى مانوى » وقوله : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » <sup>(٢٨)</sup> .

(٢٣) المجازات النبوية ص ٤١ .

(٢٤) المجازات النبوية ص ٥٩-٦٠ .

(٢٥) الطراز ج ١ ص ٤٠٧ .

(٢٦) الطراز ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢٧) الإيضاح ص ٢١١ ، الطراز ج ٢ ص ٨٩ ، ١٢٨ .

(٢٨) الطراز ج ٢ ص ١٢٢ .

وفي كلامه — عليه السلام — الإيجاز بالحذف فقد قال المهاجرون : « يا رسول الله إن الانصار قد فضلوا بأنهم آووا ونصروا وفضلوا بنا وفضلوا » فقال — عليه الصلاة والسلام — : « أتمنون ذلك لهم ؟ » قالوا : « نعم » قال : « فإن ذلك » . قال الجاحظ : « ليس في الحديث غير هذا ، يريد أن ذلكم شكر ومكافأة » (٢٩) ، وقد قال — عليه السلام — عن نفسه « أوتيت جوامع الكلم » أي أنه « ممكن » من الالفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة » (٣٠) . ولكنه — صلى الله عليه وسلم — كان يلحظ إذا اقتضى المقام ومن ذلك قوله : « من لَذَّ أخاه بما يشتهي رفع الله له ألف ألف درجة ، وكتب له ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة وأطعمه من ثلاث جنات : من جنة الفردوس ومن جنة الخلد ومن جنة عدن » ، وقوله : « من سقى مؤمنا شربة سقاء الله من الرحيق المختوم — أو قال من نهر الكوثر — ومن كسا مؤمنا كساء الله من سندس الجنة ، ومن أطعم مؤمنا لقمة أطعمه الله من طيبات الجنة وفراجهما » (٣١) .

ومن الأمثلة بالتوسيع قوله — عليه الصلاة والسلام — : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » (٣٢) . وقد يكرر إذا كان المعنى يتطلب ذلك ومنه قوله في وصف يوسف الصديق : « الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » (٣٣) .

وفي كلامه — صلى الله عليه وسلم — كثير من ألوان البديع التي أسرف فيها المتأخرون ، وهو في ذلك لا يقتل القول بها وإنما يستعملها إذا اقتضاه المعنى وتطلبها الموقف ، أي أن فنون البديع جزء من العبارة وليست

(٢٩) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٣٠) الطراز ج ٢ ص ٨٨ .

(٣١) الطراز ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣٢) الإنشراح ص ١٩٦ ، تحرير التحرير ص ٣١٦ .

(٣٣) الإنشراح ص ٨ ، الطراز ج ٢ ص ١٨١ .

حلية تقتصر أو زينة يؤتى بها لتحسين الكلام فقط . وورود هذه الألوان في كلام أفصح العرب وأبلغهم دليل على أن السجع أو الموازنة أو الجناس أو غيرها ليست عيباً في الكلام بل هي ركن من أركانه . وقد حفل كتاب الله بكثير منها ، ومعنى ذلك أنهما قد " عن بعض المعاصرين فالتهم هذا اللون من التعبير بما لا يصح " متخذاً صور الأدب في العصور المتأخرة مثلاً لذلك ونسي هو أو غيره ما بين القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البلغاء ، وما بين أدب المتأخرين من فروق جوهرية تجعل الباحث لا يعطي حكمه على هذه الألوان من خلال التصوص الرديئة والكلام الركيك الضعيف .

ومن ألوان البديع التي تردت في كلامه - عليه السلام - السجع كقوله : « فهورها حرز ويطونها كنز » وقوله : « اللهم اني أدركك بك تحورهم وأعوذ بك من شرورهم » . وفوله « ألا وإن من علامات العقل التجاني عن دار الغرور والآثابة إلى دار الخلود والنزود لسكنى القيور والتأهب ليوم التشور » وقوله : « وقد رأيت الليل والنهار كيف يلبان كل جديد وقربان كل بعيد وباتيان يكل موعود » (٢٢١) .

ومن الموازنة قوله - عليه السلام - : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » فـ « سبيل » و « غريب » مختلفان في اللفظ متشقان في الازمة وقوله : « فإذا أصبحت فكل فلا تحدثها بالنساء وإنا أمست فلا تحدثها بالصباح » فـ « النساء » و « الصباح » مختلفان لفظاً متشقان وزناً (٢٢٢) .

ومن اللف والنثر قوله : « فإن المرء بين يومين : يسوم قد مضى أحصي فيه فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا يدرى لعله لا يصل إليه » (٢٢٣) .

(٢٢٤) المجازات النبوية ص ٢٦ ، الإيضاح ص ٢٩٤ ، الطراز ج ٢ ص ٢٠ .

(٢٢٥) الطراز ج ٢ ص ٢٩ .

(٢٢٦) الطراز ج ٢ ص ٤٠٥ .

ومن المبادي والافتتاحيات ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :  
 « كان علينا خطبة الحاجة بقوله : « الحمد لله لعبدته ولنعمته ولمؤذ به  
 من شروء أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهتدِ الله فلا مضلّ له ومن يضلل  
 فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده  
 ورسوله » . فهذه الكلمات كان يذكرها إذا أراد حاجة من الخوائج من تكاح  
 أو موعة أو فصل قضية أو غير ذلك من سائر الحاجات » (٢٧) . وكان يقول  
 - عليه السلام - غيرها في أغراض أخرى ، أي أنه - عليه السلام - كان يربط  
 بين الافتتاح وغرضه ، وهذا من أهم خصائص الكلام الذي يدل أوله على  
 آخره وبنيء ، مطلعته عن مقطعه .

ومن التخلص البدع قوله - صلى الله عليه وسلم - : « قد رأيتكم  
 القليل والنهار كيف يلبان كل جديد وتقربان كل بعيد ، وباتين بكل موعود »  
 ثم قال بعد ذلك : « فإذا انتهت عليكم الأمور كتقطع الليل المظلم فليكن  
 بالقرآن فانه شاف منبسط وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة  
 ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، هو أوضح دليل إلى خير سبيل » .  
 قال العلوي : « فاطر إلى ما أودعه هذا الكلام من التخلص الراسخ ، مبينا  
 هو يذكر حال الليل والنهار وحكمهما في المكونات إذ خرج السي حال  
 القرآن ووصفه ، وإن فيه الإيضاح لكل مشكل وبيان لكل ملتبس ، التخلص إلى  
 ذكره بأحسن تخلص » (٢٨) .

وقد يرد الانتداب في كلامه - عليه السلام - ولكن ذلك الانتداب  
 يكاد يقرب من التخلص ، ومن ذلك قوله : « فليأخذ العبد من نصه لنفسه ومن  
 دنياه لآخرته ومن التوبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت » بعد قوله :  
 « ألا وإن المرء بين مضقتين : بين أجل قد مضى لا يبري ماله صانع به ،

(٢٧) الطبراني ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢٨) الطبراني ج ٢ ص ٢٤١ .



وإن أجل قد بقي لأبدري ما الله فاضر فيه ، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه» (٣٩) .

ومن الارصاد قوله — عليه السلام — : « فَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَلَبٍ . وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارُ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » فَإِنَّ السَّامِعَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَوْلِهِ : « مَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ » فَاتَّهَى بِحَقِّقِ لَا مُحَالَةَ أَنْ مَا يَبْدُو « إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » لَمَّا يَنْبَغِي مِنْ شِدَّةِ التَّلَامُوعِ وَعَظِيمِ الْمُنَاسِبَةِ (٤٠) .

ومن الاطراد قوله — عليه السلام — : « الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ أَيْنَ الْكَرِيمِ : يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » (٤١) .

ومن الجناس البدعي قوله — عليه السلام — : « الْغَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاسِيهَا الْخَيْرِ » وَقَوْلُهُ : « التَّهَمُ اسْتَرْعَوَاتُنَا ، وَأَمِنْ رَوَاعَاتُنَا » وَقَوْلُهُ : « التَّوَمَتُونَ هَيِّنُونَ لَيْتُونَ » وَقَوْلُهُ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وَقَوْلُهُ : « خَلَوْا بِسَبِّ جَرِيرٍ وَالْجَرِيرُ » وَقَوْلُهُ : « عَلَيْكُمْ بِالْإِكْبَارِ فَانْهِنِ أَشَدَّ حَيَا وَأَقْسَلُ خِيَا » وَقَوْلُهُ : « جَارُ النَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ » (٤٢) .

ومن الطباق قوله — عليه السلام — : « عَلَيْكَ بِالرَّائِقِ بِإِعَانَتِهِ ، فَاتَّهَى مَا كَانَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا تَزْعُجْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » فَيَجْمَعُ بَيْنَ « الزَّيْنِ » وَ« الشَّيْنِ » وَهَذَا ضِدَانٌ (٤٣) .

ومن لزوم ما لا يلزم قوله عليه السلام — : « فَإِنْ كَانَ كَرِيمًا أَكْرَمَكَ وَإِنْ كَانَ لُثِيًا أَسْلَبَكَ » وَقَوْلُهُ : « وَلِيَحْسِنْ عَمَلَهُ وَلِيَقْصُرَ أَمَلُهُ » وَقَوْلُهُ : « فَلَا يَمْنَحُ عَمَلُكَ إِلَّا عَمَلًا صَالِحًا فَعَمَتُوهُ أَوْ حَسَنَ ثَوَابَ حَزْمَتُوهُ » (٤٤) . وَهَذَا لَيْسَ

(٣٩) الطراز ج ٢ ص ٢٤٦ . (٤٠) الطراز ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٤١) الإيضاح ص ٢٨٢ .

(٤٢) المعجزة النبوية ص ٤٩ ، الإيضاح ص ٢٨٧ ، الطراز ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ .

(٤٣) الطراز ج ٢ ص ٢٨٠ . (٤٤) الطراز ج ٢ ص ٤٠٠ .

من الالتزام الذي شيق الابداء به على انفسهم كما فعل ابو العلاء المعري في القزوسات .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم قوله - عليه السلام - : « أنا أفصح العرب يسد آني من قريش »<sup>(٤٥)</sup> .

ومن الايجام قوله - عليه السلام - : « عش ما شئت فالتك ميت وأحبب من أحببت فالتك مفارقه ، واعمل ما شئت فالتك ملاقيه » وقوله : « أحب حبيك هو » ما عسى أن يكون بيضك يوماً ما ، وبابعض بيضك هو » ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما »<sup>(٤٦)</sup> .

ومن الايجام الذي ظهر تفسيره قوله - عليه السلام - : « ألا أنبئكم بأمرين خفيفا مؤوتهما عظيم أجرهما لن يغني الله بثلثهما ، ثم قال بعد ذلك تفسيرا لهما : « الصمت وحسن الخلق » . ومن ذلك قوله : « ألا أدلكم على ما إذا فطشوه تحاببتم » قالوا : نعم ، قال : « افشوا السلام » وقوله : « ألا أدلكم على أخسر الناس صفقة ؟ » قالوا : نعم ، قال : « من باع آخرته بدنيا غيره »<sup>(٤٧)</sup> .

هذه بعض ملامح اثر الحديث النبوي الشريف في البلاغة العربية وهي ملامح تدفع الى العناية بكلام أفصح العرب وأبلغهم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد اهتم علماء اللغة والنحو بكلام العرب ولم يقتنوا طويلا عند الاحاديث الشريفة ، وكان علماء البلاغة أكثر استفادة منهم ولكنهم - مع ذلك - لم يعمقوا في دراسة اسلوب الأحاديث واستخلاص القيم الجمالية والصور الفنية التي حفلت بها . ولعل كتاب « المجازات النورية » للشريف الرضي كان أهم معلم من تلك المعالم ، ولكنه وقف عند المجازات وترك الفنون الأخرى للبلاغيين الذين لم يعمقوا فيها وإن ذكروا في كثير من أبواب البلاغة

(٤٥) الانصاح ص ٢٧٢ .

(٤٦) الطراز ج ٢ ص ٨١-٨٢ . (٤٧) الطراز ج ٢ ص ٨٧ .

بعض الأحاديث كما فعل العلوي في « الطراز » والسيوطي في « شرح علود الجنان » . ولكن تلك المحاولات ظلت ناقصة وتبقى البلاغة النبوية بعيدة عن الدراسة الجادة ، ولعل هذا البحث الموجز الذي اقتصد على ما ذكره السابقون ولاسيما علماء البلاغة في العهود المتأخرة يدفع إلى التعمق في هذا اللون من الدراسات ، وهو تعمق تتطلبه المناهج الحديثة وتحتاج إليه اللغة العربية وهي تسعى إلى استيعاب ألوان الحضارة الجديدة وتحفز للتقدم في مجالات الثقافة المختلفة ومبادئ العلم في هذا العصر .

### السمات :

كان ذلك موقف علماء البلاغة من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكن الإله كان نبياً طائفة واجبة وكلامه مصدق أم أن هناك سراً عظيماً وراء تلك النظم ؟

كان كلامه - عليه السلام - يلينا بأسر النفوس ويأخذ بجامع القلوب وهو القائل : « إن من البيان لسحراً » فما ذلك البيان ؟ وما سحاه ؟

لقد وقب القدماء عند بلاغته وفصاحته وكان الجاحظ من أوائل الذين لخصوا تلك السمات بقوله : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكسرت معانيه ، وجل من الصنعة ، وزه من التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد « وما أنا من المتكلمين »<sup>(١٨)</sup> . فكيف وقد عاب التشديق ، وجاب أصحاب التعجب<sup>(١٩)</sup> ، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر التريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد خفء بالعصاة وشبه

(١٨) سورة ص ، الآية ٨٦ وهي : « قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلمين » .

(١٩) التعجب : كالتفكير ، وهو أن يتكلم بأقصى قدر فمه .

بالتأييد ورش بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والعلاوة وبين حسن الالتصام وقلة عدد الكلام مع استغناؤه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته فلم يسقط له كلمة ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ولم يتم له خصم ولا أصبح خطيب بل يذ الخطاب الطوال بالكلم القصار ولا يتنس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يمتنع إلا بالصدق ولا يطلب التلج إلا بالحق . ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهز ولا يلز ولا يطيء ولا يعجل ، ولا يسب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم فحما ولا أقصد قلنا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم طلبا ولا أحسن موقفا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه — صلى الله عليه وسلم — . . . . .

قال محمد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » . وقد جمعت لك في هذا الكتاب جلا التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار ، ولعل من ينسج في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أننا قد تكلفنا له من الامتناع والتشريف ومن التزين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قفرو . كلا والذي حرم التزيّد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبصرح الكتابين عند الفقهاء ما يظن هذا إلا من ضل سعيه (١٠) .

لقد اتبته الجاحظ الى هذه المسألة التي قد تثار في كل زمان ، وذكر سنوات كلا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبرزها كثرة معانيه مع الاجتناب ، وابتعاده عن الصنعة والتكلف والاسراف ، ومطابقته لمتنقى العدل ، فاليسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع الفصر ، وهجّر الغريب الوحشي والرغبة عن الهجين السوقي وغير ذلك مما ذكره الجاحظ وفيما يلاحظه الباحث في البلاغة النبوية التي جاءت من غير تعلم سوى ثقافة

النشأة في بيئة نصيحة اللسان بيعة القول ، ودكاء العقل الرقاد واختيار الله تعالى له ليكون رسولا للناس كافة . وليس وراء ذلك أعظم من هذه الصفات التي جعلته - عليه السلام - يتلقى الطلائع السائيا ويعبر عما يحس به الإنسان في كل زمان ومكان مما دفع علماء البلاغة الى التوقف عند عباراته وقفا اكبار وتقدير ، فقد قال - عليه السلام - : « لا تكونوا ممن اختدعته العاجلة وغرته الأمنية واستهوته الخدعة فركن الى دار سرعة الزوال وشبكة الانتقال » . إنه لم يبق من دياركم هذه في جنب ما مضى إلا كافتة راكب أو صرّ حالب لعلهم ترحون ؟ وماذا تنتظرون ؟ فكأنكم بما قد أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن وبنا تصيرون اليه من الآخرة لم يسزل . فخذوا الأهبة لأزوف النقلة وأعدوا الزاد لقرب الرحلة ، واعلموا أن كل امرئ على ما قدم قدام ، وعلى ما خلف تادم » . قال العلوي معلقا على هذا الكلام المئب : « فليعمل الناظر نظره في هذا الكلام فما أسلس التفاهة على الألسنة ، وما أوقع معانيه في الأفتدة وما احتوى عليه من التنبيه البالغ والوعظ الزاجر والنصيحة الناقمة ، فصدّره بالتحذير أولا عما يعرض من مصائب الدنيا من الانخداع والغرور والاستهواء . وعقبه ثانيا بالتحذير عن الركوز الى الدنيا ونبه بالطلب عبارة وأوجزها على زوالها وانقطاعها وأردفه ثالثا بالحث على عمل الآخرة وأخذ الأهبة للزاد ، ونبه على سرعة زوالها وانقطاعها وحثه بتحقيق الحال في الاقدام على ما فعله من خير وشر ، وأنه تادم لا محالة على ما خلفه من الدنيا وأنه غير نافع . ولا مجد » (١٩) . فكلّام الرسول العظيم ذروة في البلاغة والتصور ، أنه رقيق واتس جزل ، ومن الرقيق قوله - عليه السلام - : « كن في الدنيا كالك غريب أو عابر سبيل ، واعد نفسك في الموتى فإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح وإذا أصبحت

فلا تحدثها في الماء . وغذ من سحتك لسحتك ومن شيايك لهرتك ومن  
فراخك لشخلك» (٥٢) .

ومن العزل قوله : « يا ابن آدم تنؤي كل يوم برزقك وأنت تحزرد  
وتنقص كل يوم من عرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك وتطلب ما يُعلميك .  
لا بخليل تنفع ، ولا من كثير تنسج» (٥٣) .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يتعد عن الكلمات التي توحى  
بها يفرج عن الذوق ، ومن ذلك قوله وقد كسا أسامة بن زيد قُبْطِيَّةً (٥٤)  
فكساها امرأته فقال له — عليه الصلاة والسلام — : « أخاف أن تصب حجم  
عظامها » ولم يقل « حجم أعضائها » لما في هذه الكلمة من إيحاء غير جميل .  
قال الشرف الرضي : « وهذه استعارة والمراد أن القُبْطِيَّةَ برقتا تلصق  
بالجسم فتبين حجم الثديين والرادفتين وما يشذ من لحم العضدين والعضدين  
فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأجزاء حتى تكون كالظاهرة للحظة والممكنة  
للمسه ، فجعلها — عليه الصلاة والسلام — لهذه الحالة كالواصفة لما خلفها ،  
والخبرة عما استتر بها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا العنسي ، وهذا  
العرض رمى عمر بن الخطاب في قوله : « إياكم وليس القباضي فانها  
إلا تنصف تنصف » ، فكان رسول الله — صلى الله عليه وآله — أباً عنفر  
هذا المعنى ، ومن تبعه قالوا سلك نبيج وطلع فجئ » (٥٥) . ومن ذلك قوله عليه  
السلام : « لا يقولن أحدكم خبت نفسي ولكن ليقل لقت نفسي » فكأنه  
كره أن يضيف المؤمن الظاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه (٥٦) .

(٥٢) الطراز ج ١ ص ١١٨ .

(٥٣) الطراز ج ١ ص ١١٧ .

(٥٤) القُبْطِيَّة — بضم القاف — ثياب تنسج إلى القطن بمصر .

(٥٥) المجازات التنويية ص ١٢٩ .

(٥٦) ينظر الحيوان ج ١ ص ٣٢٥ .

وسبق — عليه السلام — العرب في كلام جديد لم يألوه أو لم يأتوا به من قبل ، قال الجاحظ : « وستذكر من كلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما لم يدق اليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي ، ولم يندفع لأحد ولا ادعاء أحد مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً »<sup>(٥٧)</sup> . ومن ذلك قوله — عليه السلام — : « يا خيل الله أركبي » وقوله : « مات حشف أفعه » وقوله : « لا تنتطح فيه عزاز » وقوله : « الآن حسي الوطيس » وقوله : « كل الصيد في جوف القرا » وقوله : « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين »<sup>(٥٨)</sup> . ومن ذلك قوله : « يا أنجته رفقاً بالقوارير » وقوله : « أخاف أن تصف حجم عظامي »<sup>(٥٩)</sup> . وأثارت مثل هذه الكلمات الجديدة تعليقات بديعة فقال الشرف الرضسي عن قوله — عليه السلام — : « الآن حسي الوطيس » : « وهذه الكلمة الأغلب عليها أنها من جملة الأمثال من قوله — عليه الصلاة والسلام — وقد شرعنا ألا نذكر هنا ما تلك حاله إلا أن لها بعض الدخول في باب الاستعارة فذلك رأينا الأبياء إليها والتنبيه عليها » فقوله — عليه الصلاة والسلام — : « الآن حسي الوطيس » وهو يعني حسس العرب وعظام الخطب مجاز ؛ لأن الوطيس في كلامهم خيرة تحترق فتوقد فيها الناسار للاشتواء وتجمع على « وطمس » فإذا احتثرت للاحتياز فهي « إرة » وتجمع على « إرين » ولا وطمس هناك على الحقيقة وإنما المراد ما ذكرنا من حسس القراع وشدة المضاع<sup>(٦٠)</sup> والتصايف الأبطال واختلاط الرجال »<sup>(٦١)</sup> . وقال ضياء الدين بن الأثير : « وهذا لم يسمع من أحد قبيل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولو أننا يجاز غير ذلك في معناه قلنا : « استعرت الحرب » لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤدبه « حسي الوطيس » والتركيب بينهما

(٥٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥ .

(٥٨) تنظر في البيان ج ٢ ص ١٥ - الحروان ج ١ ص ٣٣٥ ، المزهج ج ١ ص ٢٠١ .

(٥٩) المجازات النبوية ص ٣٣ ، ١٢٩ .

(٦٠) المضاع : الضرب .

(٦١) المجازات النبوية ص ٤٤-٤٥ .

أن الوليس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حبيها وتوقدها ، وهذا لا يوجد في قولنا : « استمرت الحرب » أو ما جرى مجراه » (٢٢) .

هذا بعض كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما لم ينطق به أحد وهو دليل على أثره في اللغة العربية وأساليبها وغلورها ، وقد صدق - عليه السلام - حينما قال : « أوتيت جوامع الكلم » أي أنه أوتي الكلم الجوامع للمعاني ذوات الدلالة القوية الواضحة والمؤثرة الموحية . ومن ذلك قوله - عليه السلام - : « هذه مكة قد رمكتم بأقلاذ كبدها » يريد أن هؤلاء الممدودين صميم فريش ومحضها ولبابها وسرها أو أنهم أعيان تقوم ورؤساؤهم . وقوله : « بعثت في تسم الساعة إن كادت لتسبقي » يريد أنه بمث في تنفيس الساعة أي في أماليها وأخرها أو أن يكون قد جعل للساعة قسا كفس الإنسان . وقوله : « ذاك رجل لا يتوسد القصران » يريد أنه لا ينام عن قراءة القرآن الكريم أو أنه غير حافظ لكتاب الله . وقوله : « قد أأخت بكم الشر من الجنون » أي القس المتوفاة ، وقوله : « لو يملون ما يكون في هذه من الجوع الأغير ومن الموت الأحمر » وهذه صورة تخيف وترعب ، وقوله : « الحياة قمام الألسان » وقوله : « أوتق العري كلمة التقوى » وقوله : « الناس معادن » أي أنه لا يحكم على ظواهرهم ، وقوله : « هي ليلة أضحياته كأن قبرا مضحيا » وقوله : « لا تمسحوا على أعقابكم التقرى » أي لا ترجعوا عن دينكم ولا تكفروا بعد إيمانكم فتكونوا كالراجم على عقبه ، وقوله : « حاك الشيء يعني ويسم » وقوله : « نام عيتاي ولا نيام قلبي » وقوله : « الكلمة الحكيمة شاة الحكيم حيشا رجدها فهو أحق بها » وقوله : « المجاهد من جاهد نفسه » وقوله : « الشيلاب شبة من الجنون » وقوله : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »

(٢٢) المثل السائر ج ١ ص ٥٠ ، وتظر ص ٦١ أيضا .



وقوله : « اللهم ائتم شئنا » وقوله : « أرى عليه سحرة من الشيطان »  
 وقوله : « متروك المنايا بين السنين والسبعين » وقوله : « إن ذا الوجين  
 لخلق أن لا يكون عند الله وجيها » وقوله : « الصبر عند الصدمة الأولى »  
 وقوله : « والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه » وقوله :  
 « لا تعادوا الأيام غماديكم » .

وهذه الأحاديث الشريفة من جوامع الكلم ، وهي من الأمثال النسي  
 تتردد والمبارات التي يستشهد بها في المواقف ويرجع إليها في الحكمة  
 والبيان . إن هذه الروعة النظيفة والحر المؤثر والمنسى البديع واللفظ  
 الرقيق دفعت الناس إلى حفظ الحديث الشريف والعمل به والتشغل برواياته  
 والاستشهاد ببلوغه وفصاحته ، وبذلك لم يكن الاعتداد عليه لأنه كلام  
 رسول الله فحسب ، وإنما لأنه أرفع كلام عرفه العرب بعد كلام الله تعالى .  
 ومن أجل ذلك كان أحد آلات علم البيان وأدواته وكان الشاهد البلاغي  
 الرفيع ، وكان له تأثير في حياة العرب ولتهم الخالدة .

#### المصادر :

- ١ - الأيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة الحميدة ) .
- ٢ - البيان والتبيين - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ٣ - تحرير التعبير - ابن أبي الأصبغ المصري . تحقيق الدكتور حفني  
 محمد شرف . القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- ٤ - جوهر الكثر - ابن الأثير الحلبي . تحقيق الدكتور محمد زغلول  
 سلام . الإسكندرية - مصر .
- ٥ - حسن التوسل إلى صناعة التوسل . شهاب الدين الحلبي . تحقيق  
 الدكتور أكرم عثمان يوسف . بغداد . ١٩٨٠م .
- ٦ - الحيوان - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة  
 ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

- ٧ - شرح عقود الجمان في علم المعالي والبيان - جلال الدين السيوطي .  
القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٨ - الطراز - يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .
- ٩ - كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد الجاوي  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ١٠ - الملل السائر في ادب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير . تحقيق  
محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ١١ - المجازات النبوية - الشريف الرضي . تحقيق محمود مصطفى .  
القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- ١٢ - الزهر - السيوطي . تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعته -  
الطبعة الثالثة - القاهرة .



(٩)

## اثر المدائح النبوية في البلاغة

الدينيات :

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لا يعرفون لذلك سببا ولا يملكون لتأثيره ردا . ولم يكن إزاء هذه المعجزة إلا أن يرجعوا الى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجا ولكن الحجة أعينهم ووقفت السندهم واحتجبت أصواتهم وهم يستمعون الى النبي العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - يبلغ الناس قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى : « أم يقولون اقترأ قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استلتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ، فبلى انتم مسلمون »<sup>(٢)</sup> . وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »<sup>(٣)</sup> . وعجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن وهم أهل لتسليم

• نشر في مجلة المورث العدد الرابع ( المجلد التاسع ) سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م بمناسبة الاحتفال بطلع القرن الخامس عشر الهجري .

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣-٢٤ .

(٢) سورة هود ، الآيتان ١٣-١٤ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

وبالذلة فقالوا : « ما هذا إلا سحر » ففترى وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى<sup>(١)</sup> . وأخذوا يفرون من سماع كتاب الله خوفاً من أن يؤثر في قلوبهم ويهديهم إلى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وكانوا يقولون إذا سمعوه كما قال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يثلو الآيات : « والله إن لقوله لحلاوة » ، وإن أصله لصق<sup>(٢)</sup> ، وإن قرعه لجناة<sup>(٣)</sup> .

وشغل الناس بالقرآن بعد أن انتشر الإسلام وأخذوا يدراسوه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون وقب العرب أمامها مبهورين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها « أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » لأن « الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بعرفة الفصاحة لم يقع علمه بأعجاز القرآن من جهة ما علمه الله به من حسن التأليف وبسراة التركيب وما شجته به من الإعجاز البديع »<sup>(٤)</sup> ودعّبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة أنها « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما يصرك بسواقع رشذك وعواقب غيك »<sup>(٥)</sup> .

وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذ مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته اليبينات الساطعة البلاغي الرقيق . وكان لمسألة الإعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية وكان المتكلمون أول من بحث في أعجاز القرآن وبلاغته ، واختلقت وجهات النظر في ذلك وتعمقت سبل القول وأصبحت تلك الدراسات أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد أن يتذوق القرآن وشم البيان . وسارت مواكب التأليف في البلاغة خدمة لكتاب الله ولغة

- (١) سورة القصص ، الآية ٢٦ .  
(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .  
(٣) كتاب الصناعات ص ١ .  
(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ .

الضاد ، وظهرت مئات الكتب تتحدث عن إعجاز القرآن وبلاغة العرب وترصد الفنون البلاغية التي لها تأثير في الأدب . وشهد القرن السابع للهجرة لوجبة لؤلؤ جديدة من التأليف في البلاغة هو « البديعيات » التي كانت تتضمن تنوعاً بلاغياً معظمها في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن البحر البسيط وعلى روي الميم . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت منذ عهد مبكر غير أنها أخذت طابعها المعروف حينما ذاع التصوف وانتشر . ولعل يردة البوصيري ( ٦٩٧هـ ) أهم القصائد بين المدائح النبوية ، فهي « أولاه قصيدة جيدة ، وهي ثانياً أسيرٌ قصيدة في هذا الباب ، وهي ثالثاً مصدر الوحي لكثير من القصائد التي اقتت بعد البوصيري في مدح الرسول <sup>(١)</sup> » ومثلها :

أمن تذكر جيران بسذي سكتهم      مَرَجَتْ دمعاً جرى من مقله يدمر  
أمن هبَّت الريح من تلقاء كاطمة      وأومض البرق في الظلماء من أدمر  
والبردة في اثنين وثلاثين ومائة بيت تشتمل على عدة عناصر ، فهي صدرها السبب وبليه التحذير من هوى النفس ثم مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - والكلام على مولده ، والحديث عن القرآن الكريم والأسماء والمعراج والجهاد وتنتهي بالتوسل والمناجاة <sup>(٢)</sup> . وكان للبردة أثر في اللغة العربية يشتمل في التأليف والدرس والشعر ، ولكن أثرها في البلاغة يتجلى في « البديعيات » التي كانت لونا من ألوان البحث في فسن القول وشرح الفنون البلاغية .

والبديعيات كثيرة ، وقد أحصى منها الدكتور أحمد إبراهيم موسى في كتابه « الصبغ البديعي في اللغة العربية » أربعاً وأربعين ، منها ما هو مشروح وما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع وما هو مخطوط . وقد اختلف

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي من ١٧١ .

(٢) حللها الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية » من ١٨٣ .

الباحثون في تشايفها فذهب الدكتور زكي مبارك الى أن أبا عبدالله محمد ابن أحمد المعروف بابن جابر الاندلسي ( - ٧٨٠ هـ ) ابتكرها ورسوم أصولها (١٠) . وذهب ابن معصوم المدني الى أن صفي الدين الحلي (٧٥٠-٧٥٠ هـ) أول من قلّمها ، ولكنه استترك وقال : « كنت أظن أنه أول من قلّم أنواع البديع على هذا الأسلوب البديع ضمن كل بيت نوعا وانقاد له شمس هذا المراد طوعا هو الشيخ صفي الدين الحلي - رحمه الله تعالى - حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الأربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، ظلم فيها جملة من أنواع البديع وضمت كل بيت منها نوعا منه ، أولها الجنس الثام والمخرف وهو :

بعض هذا الدلال والادلال  
حلال بالهجر والتجنّب حالي

ثم قال في الجنس المصحف والمركب :

جرت إذ حُرّت ريع قلبي وإذ لا لي صبر ، أكثر من اذلالني

فعلت أن الشيخ صفي الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ولا أول من ظلم جوامع هذا المقدر في قلم ، فإن الشيخ أمين الدين المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين في سنة سبعين وستائة وولادة الشيخ صفي الدين في سنة سبع وسبعين وستائة . وأما ظلم أنواع البديع على هذا الوزن والروي الذي ظلم عليه الشيخ صفي الدين فلا أتحقق أيضا أن الشيخ صفي الدين هو أول من ظلم عليه ، فانه كان معاصراً للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن علي الهواري المعروف بشمس الدين بن جابر الاندلسي الأعشى صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . ولا أعلم من السابق منهما الى ظلم بديعيته على هذا الأسلوب وإن كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات سبق في مضمار راعة

(١٠) الملائح النبوية ص ٢٠٤ .

هذا المطلوب . فابن جابر لم يستوفِ الأنواع التي ظلمها الشيخ صفى الدين بل أخذ " بنحو سبعين نوعاً من الأنواع وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديهي . وأول من التزم ذلك الشيخ عز الدين الموصلي ، ثم تلاه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الآيات بحسن الظن والانجاء ، إلا أن ذلك فضل المتقدم على المتأخر والمتقدم على المتبع . وقال من التزم بعقدها هذا الالتزام وما ذلك إلا " لصورة هذا المرام " (١١) . ورجح الدكتور جواد علوش أن يكون صفى الدين الحلبي أسبق من ابن جابر الاندلسي لأنه توفي سنة ٧٥٠هـ ، وتوفي الثاني سنة ٧٨٠هـ ، وإن ابن حجة الحموي لعرف بأسبقته في عدة مواضع من خزانته (١٢) . ولكن ذلك ليس دليلاً أكيداً ، فقد يكون ابن جابر أسبق لأنه كان قد تغطي الغرضين حينما مات الحلبي ، ولعله ظلمها في هذه السن أو قبلها بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار . ومهما يكن الأمر من الخلاف الباحثين في نشأة البديهييات فإن من أوائلها بديهة علي بن عثمان الأربلي ( - ٧٦٠هـ ) الذي أشار إليه ابن معصوم المدني وعده أول من ظلم في هذا اللون . وبديهيته ليست في مدح النبي العظيم وإنما في مدح بعض معاصره ولذلك لا تدخل في المدائح النبوية وإن كانت من أوائل البديهييات . وبديهة الأربلي تتضمن النون البلاغية ، وقد ذكر ابن شاذان الكتبي (١٣) سنة ثلاثين بيتاً منها وفي كل بيت فن بديهي ، فسي قوله :

بعض هذا الضلال والأدلال حال بالهجر والتجنب حالي

جناس ، لنظي . وفي قوله :

جرئت إذ حُرِّت ربح قلبي ، وإذ لاسي صبر ، أكثر من إندالسي

(١١) أنوار الربيع في أنواع البديع ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٤ .

(١٢) شعر صفى الدين الحلبي ص ١٢٦ .

(١٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ .

جناس خطي - وفي قوله :

رقن يا قاضي السوداء لأجفا      ثم قصار أسرى ليال طوال  
طباق - وفي قوله :

شارحات بنسبهما متجنح البحت      رين في حب مجمع الأمثال  
استارة - وفي قوله :

فت النوم في هواك قيصاصاً      حيث أدنى منها خداع الخيال  
مقابلة -

ولكن الشراء بعد الأربلي اتجهوا إلى مدح النبي - صلى الله عليه  
وسلم - يديعياتهم معارفين بردة البوصيري ، ومن ذلك بديعية صفي الدين  
الحلي ( - ٧٥٠ هـ ) وهي في مائة وخسة وأربعين بيتاً ومطلعها :

إن جئت سكتاً فسكّ عن جيرة العلم      واقرا السلام على عثر ربّ يذّي سكتهم  
وضمت كل بيت فيها محسناً وضمت قصيدته مائة وخمسين إذ جعل  
فيها للجناس اثني عشر ضرباً ، ففي المطلع راعة الاستهلال والتجنيس  
المركب والمقشبة ، وفي البيت :

فقد ضمنت وجرد الدمع من عدم      لهم ولم استلغ منحّ ذاك منع دمي  
تجنيس ملفق - وفي البيت :

آيت والدمع هامر هامل سترّب      والجسم في أضمّ واللحم في وضمّ  
تجنيس مذيّل ولاحق - وفي البيت :

من شأه حل أعباء الهوى كمداً      إذا همتى شأه بالدمع لم يتكسر  
تجنيس تام ومطرف - وفي البيت :

منّ لي بكل غرر في طلبهم      غرر حسن يداوي الكثر بالكتّم



تجنيس مصحف ومحرّف • وفي قوله :

بكل قدّ نضير لا ظنير له ما ينقضي أملي منه ولا المني

تجنيس لفظي ومقلوب • وفي البيت :

وكل لحظ أني باسم ابن ذي يزن نفسي فكسه بالمعنى أو أبسي هرّم

تجنيس معنوي • وضمّ كل بيت من الأبيات الأخرى فناً بديعاً واحداً •

وسمّى الحلّي بديعته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » وشرحها بكتاب

سماه « النتائج الإلهية في شرح الكافية » وذكر أنها خلاصة سبعين كتاباً<sup>(١٤)</sup> •

وشرحها عبد الله بن التابلي ( - ١١٤٣ هـ ) بكتاب سماه « الجوهر السنسي

في شرح بديعية الصفي » • وأتتس عليها الصوري ( - ٨٣٧ هـ ) في خزانته

وقضلها على البديعيات الأخرى ، ومن أعجابه بالحلي قلّده وجاراه وحفّا

حذوه • قال مفتخراً ببديعته : « فجاءت بديعية همت بها ما تحت الوصلي

في يوم من الجبال ، وجارت الصفي مقيداً بتسيه النوع وهو في ذلك

محلّول العقال »<sup>(١٥)</sup> •

وقلم ابن جابر الألدلي ( - ٧٨٠ هـ ) ببديعته في مائة وسبعة وعشرين

بيتاً استلها بقوله :

بطيبة أنزل ويستم سيّد الأسمر وأثر له المدح وأثر لطيب الكلام

وسامها « الحلة السير »<sup>(١٦)</sup> في مدح خير الورى • وهي المروفة ببديعية

العيان • وعدهم الدكتور زكي مبارك مبتكر هذا الفن وقال : « وقد شغل

نفسه بمعارضة البردة ولكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فناً جديداً هو البديعيات

(١٤) البديعية في ديوان صفى الدين الحلّي ص ٦٨٥ ، والتفصيل في منابع

بلاغية ص ٢٢٨ • وطبع مجمع اللغة العربية بدمشق « شرح الكافية

البديعية » سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بتحقيق الدكتور نسيب نساوي •

(١٥) خزانة الأدب ص ٤٦٧ •

(١٦) السيراء : الخططة ، أو يخاطبها حرير •

وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشج  
 إلى من من فنون البديع<sup>(١٧)</sup> . وشرحها صديقه أبو جعفر أحمد بن يوسف  
 ابن مالك الرعيثي النرطاني ( - ٧٧٩ هـ ) بكتاب سماء « طراز العلة وشقاء  
 الغلة » وأشار إلى أن ابن جابر اتبع في سرد المحسنات الخطيب القزويني ،  
 ولكنه بدأ باللفظ متابعاً بدر الدين بن مالك في « المصباح » . قال : « وقد  
 أن أن » أخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة وبعود  
 على الناظر فيه بأحسن عائدة فتقول : إن المصنف تبع في هذه القصيدة القاسي  
 جلال الدين القزويني صاحب « الأيضاح » و « التلخيص » فذكر من ألقاب  
 البديع ما ذكره إلا أن المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ وأختر القسم  
 الذي يتعلق بالمعنى على ما ستقف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق  
 لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن لأن اللفظ وسيلة إلى المعنى ،  
 وحق الوسيلة أن تكون متقدمة ، وأيضاً فإن ما يتعلق بالمعنى لا يكون إلا  
 بعد التركيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الأفراد مقدم على حال  
 التركيب<sup>(١٨)</sup> . وائتى السيوطي على بديعة ابن جابر وقال : « إن قلما  
 عالم<sup>(١٩)</sup> » ولكن الحموي قال : « وظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى  
 طريق الصناعة غير أن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسي  
 شرحها شرحاً مفيداً<sup>(٢٠)</sup> » .

وظم عز الدين الموصلی ( - ٧٨٩ هـ ) بديعة في مائة وخمسة وأربعين  
 بيتاً ألزم فيها تسمية الفن البديعي مورياً بكلمة عنه في البيت الذي  
 يتضمنها ، ومطلعها :

براعة تستلبد الدمشقي العلم عبارة عن نداء المفسر العلم

- (١٧) الفنايح النبوية ص ٢٠٥ .  
 (١٨) طراز العلة وشقاء الغلة ص ١٧ .  
 (١٩) بغية الوعاة ج ١ ص ٢٥ .  
 (٢٠) خزانة الأدب ص ١١ .

ففي قوله : « براعة تستهل » إشارة الى براعة الاستهلال ، وفي قوله :  
 فحي سلسى وسل ما دكتبت بشذا قد أطلقت أمام الحى عن اسم  
 تورية عن الجنس المركب والمطلق . وفي قوله :

ملق ظاهر سري وشان دمسي لما جرى من عيوني إذ وشى تلسي  
 تورية عن الجنس المطلق وإشارة اليه . وكان الموصلى أول من فصل ذلك  
 ليشير على الحلى الذي لم يلتزم بتسمية النوع ، قال عبدالغنى النابلسي

« ثم جاء بعد صني الدين الشيخ عز الدين الموصلى - رحمه الله تعالى -  
 معارضة بقصيدة على منوال قصيدته ، وذكر من الانشباع ما ذكره و زاد عليه  
 بعض شيء يسير من اختراعاته معجبا بذكر النوع البيدي في الفاظ البيت  
 موريا به لئلا يحتاج الى تعريف النوع من خارج النظم ، ولكنه تصكف  
 وتكلف في غالب أبياته وهجر مضجع الرقة والانسجام ، ثم شرحها شرحا  
 يتبين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ولم يستغفر لغة الافكار» (٢١) .

وقلم أبو سعيد زين الدين شعبان بن محمد بن داود بن علي الأتاري  
 القرشي ( - ٨٢٨ هـ ) ثلاث بديعيات سعى الأولى « بديع البديع في  
 مدح الشيع » وهي البيديّة الصغرى وهي في مائة وتسعة وتسعين بيتا  
 وقد التزم فيها تجريد ألقاب الانواع التي ضمتها في البديعة الكبرى (٢٢)  
 ومطلعها :

إن جئت بدرأ فطب واؤل بذي سلم سلم على من سبأ بدرأ على علم  
 وفيه براعة الطالع . وسعى الثانية « بديع البديع في مدح الشيع » أيضا ،  
 وهي البيديّة الوسطى وهي ثلثائة وثمانية أبيات ، ومطلعها :

دع عنك سلطاوسك عن ساكن الحرم وخل سلسى وسك ما فيه من كرم

(٢١) نفحات الازهار ص ٣ .

(٢٢) بديعيات الأتاري ص ١١ ، ٢٠ .

وستى الثالثة « المتد البديع في مديح الشفيح » وهي البديعية الكبرى وهي أربصاة وسبعة أبيات ، ومطلعا :

حسن البراعة حدائقه في الكلم      ومدح أحد خير العرب والعجم  
وفيه إشارة الى « حسن البراعة » ، وفعل مثل ذلك في الأبيات الأخرى وأشار الى الفنون البلاغية موزنا +

وظهر في القرن الثامن أدب ناقد كان له أكبر الأثر في البديعيات وهو أبو بكر علي بن حجة الحنوي ( - ٨٨٧ هـ ) الذي وجد عصره يزخر بالبديعيات ، وكان قد أعجب ببديعتي الحلبي والموصللي فأراد أن يصح بديعية تنقوها وتفوقها فنظم بديعية ضمن كل بيت فيها لولا بديعيا وأشار الى اسمه في البيت نفسه وسماها « تقديم أبي بكر » وهي في مائة وأربعين بيتا ، ومطلعا :

لي في ابتداء مدحكم يا عرب ذي سلم      براعة تستهل الدمع في العلم  
ورأى أن هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة إن بقيت أبيات شعر تحفظ وتروى من غير تبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزنة الأدب وغاية الأرب » ووازن بينها وبين بديعتي الحلبي والموصللي (٢٣) . وكان لهذا الشرح أثر في البلاغة والبديعيات التي جاءت بعد ذلك فقد أخذ بعضهم على قصه شرح بديعته كالتسيوطي والباغونية والمدني والناقلي . ولجلال الدين السيوطي ( - ٩١١ هـ ) بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيح » في مائة وأربعين بيتا مشتملة على مثلهما من الأنواع ومطلعا :

من المتيق ومن تذكّار ذي سلم      براعة تستهل الدمع في العلم  
وشرحها شرحا موجزا +

---

(٢٢) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٣٥ + القروني وشروح التلخيص ص ٤٤٧ .

وقام صدرالدين بن معصوم الحسيني المدني ( - ١١١٧ هـ ) بديعية  
في مائة وسبعة وأربعين بيتاً ، ومطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم له براعة شوق يستهلّ دمي  
وتتفنن ألقاظ آياتها أسماء المحسنات البديعية ، فني المطلع « حسن  
الابتداء » و « براعة الاستهلال » ، وفي قوله :

دعني وعجبي وعج بي بالرسوم وكـدع<sup>٢٤</sup> مـر كـب<sup>٢٥</sup> الجبل واعتقل مطلق الرسم  
الجناس المركب والمطلق . وشرحها بكتابه « أحوار الربيع في أنواع البديع »  
الذي جاء أوسع المؤلفات البلاغية في العهود المتأخرة<sup>(٢٦)</sup> .

وقلم عبدالغني النابلسي ( - ١١٤٣ هـ ) بديعيتين لم يلتزم في احدهما  
نسبة النوع والتزمه في الثانية ، ومطلع الاولى :

يا مشول الركب بين البان قالعلم من سفع كاطمة حثيبت<sup>٢٧</sup> بالديم  
وشرحها بكتابه « فحات الأزهار على نسات الاسحار في مدح النسي  
المختار » . ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من أهوى بذى سلم براعة الشوق في استهلالها أنسي  
والتزم فيها التورية باسم النوع بعد أن انتقد ذلك فسي مقدّمه شرح  
بديعته الاولى ؛ لأن ذلك يكسب « تافر الكلمات وغرابة المباني وفلافة  
المعاني »<sup>(٢٨)</sup> . وقال : « ثم اني ظلمت قصيدة أخرى على منوال هذه  
صرحت فيها باسم النوع تشيلاً لما ذكرته من الاستهلال ووفاء<sup>٢٩</sup> بما اشترت اليه  
في المقال . ثم اني كتبت كل بيت منها عند ما يباله في الهامش على حسب مقتضى

(٢٤) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٤٣ .

(٢٥) فحات الأزهار ص ٤ .

الحالة»<sup>(٢٦)</sup> ، وقال إن أبيات بدعيية مائة وخمسون بيتاً مشنطة على مائة وخمسين فنا بعد زيادة أنواع لطيفة لا توجد في البديعيات وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انجاء الفريضة في النظم<sup>(٢٧)</sup> .

وهناك بدعييات أخرى لوجيه الدين عبدالرحمن بن محمد البيني ( — ٩٠٠ هـ ) وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري ( — ٨٠٧ هـ ) وأبي الوفاء بن عمر العرضي الشافعي وقاسم بن محمد البكرهجي ( — ١١٦٩ هـ ) وغلان علي آزاد ( — ١٢٠٠ هـ ) ومحمود صمود الساعاتي ( — ١٢٩٨ هـ ) وعبدالمادي بن رضوان تاج الأبياري ( — ١٣٠٥ هـ ) وعبدالقادر الحسيني الأدهمي الحرابلي وعبدالحيد قدس بن محمد علي الخطيب ( — ١١٣٥ هـ ) . وقلم المسيحيون بدعييات في مدح المسيح — عليه السلام — معارضة لردة البوصيري والمدائح الحمديّة<sup>(٢٨)</sup> .

#### بدعيية الباعونية :

أسهمت المرأة في قلم البديعيات ، فقد نشأت عائشة الباعونية<sup>(٢٩)</sup> ( — ٩٢٢ هـ ) بدعيية في مائة وثلاثين بيتاً ستها «الفتح المين في مدح الراسخين» وطلعتها :

في حسن مطلع أقصاري بذوي سلم أصبحت في زمره العشاق كالمسلم

(٢٦) فضليات الإزهار ص ٤ .

(٢٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٤٥ .

(٢٨) التفصيل في الصيغ البديعية ص ٤٥٨ ، مناهج بلاغية ص ٢٤٦ ، الفروني ولروح التلخيص ص ٤٥٦ ، البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) ج ٢ ص ٤٧٠ .

(٢٩) هي عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونية أم عبدالوهاب التمشقية . ( شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ ، الأعلام ج ٤ ص ٦ ، معجم المؤلفين ج ٥ ص ٥٧ ، الأعلام للنسب ج ٢ ص ١٩٦ ) .

وظفتها على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي نسكا  
 بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحها واعتمدت على ابن حجة كثيرا .  
 قالت : « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع ،  
 منتجة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن  
 وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطفلة من قيود وتسمية  
 الأنواع ، مشرقة الطوالع في أفق الأبداع ، مرسومة بين القصائد النبويات  
 ينقتضى الإلهام الذي هو عهده أهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الأملين .  
 استخرت الله - تعالى - بعد تمام نظمها وثبوت أسسها في شيء يروى الطالب  
 موارده وتظم عند المستفيد فوائده وهو أن أذكر بمد كل بيت حداً النوع  
 الذي بنيت عليه وأقر شاعره فإن ذلك مما ينتظر إليه ، وأنحسوا في ذلك  
 سبيل الاختصار ولا أدخل بواجب وأبته على ما لا بد من قصداً لنفع  
 الطالب . والمسؤول من الفناح بتأسيها على قولها إذن الله أن ترفع ، ومن  
 مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المضعف أن يصلي ويسلم عليه وبجملتها  
 خالصة لوجه الكريم . وسيلة لي ولوالدي ولذريتي ولاحياسي ولبن  
 والاني خيراً إلى وفور المظ من فضله العظيم وأن ينيلنا بوجاهة المسدوح  
 لديه ويحبه عليه نهاية الآمال وما لم يخطر لنا على بال من مناسج الوصال  
 ومبار الاتصال ودوام العوافي والأمان وشيول المفور والرضوان ، انه  
 جواد كريم رؤوف رحيم ، ومن الله أسند وعليه أعتد ، وما توفيقي إلا  
 بالله عليه توكلت وإليه أئيب » (٢٠) .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعتها أكثر تفصيلاً ، إذ  
 توسعت فيه والتزمت أن تذكر عند كل محسن ما قاله ابن جابر الاندلسي  
 والحلي والموصلي ، وهذا الشرح غير مطبوع ، أما الأول فقد طبع على  
 حاشية « خزنة الأدب » للحموي ، ويبدو أن الدكتور أحمد ابراهيم

(٢٠) شرح بديعية الباعونية ( خزنة الأدب ) ص ٣١٠ .

موسى لم يطلع عليه فقال عن الشرحين : « وكلاهما مخطوطان » (٣١) ، كما لم يطلع النابلسي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نفعات الأزهار » : « ثم جاءت بعد ابن حجة فاضلة الزمان عائشة الباعونية - رحمها الله تعالى - وقلبت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم تسمية النوع تمسكاً بطلاقة اللفاظ والسجام الكلمات وشرحتها شرحاً مختصراً وقتت عليه بخطها - رحمها الله تعالى - أسفرت فيه عن ثام البيان بقدر الطافة وحسب التيسير » .

وقصيدة « الفتح المبين في مدح الأمين » معارضة لبردة البوصيري والبديعيات الأخرى ، وقد جرت على غرارها في الوزن والروي ، فهي من البحر البسيط الذي يستد في النفس ليعبر عن الخلجات ويستوعب الأفكار ، وهي على روي الميم المكسورة ذات الإقناع المذهب الذي يحرك المشاعر ويغز النفوس . وإذا كانت بردة البوصيري قد اشتهرت وقالت خطأ عظيماً فلأنها أقل تكلفاً من القصائد الأخرى ، ولأنها ابتعدت عن نهج البديعيات التي جاءت مجارة لها وإن لم تلحقها في الشاعرية وتصل إلى غايتها في التأثير . ولأنه خرج عناصر القصيدة عما رسمته بردة البوصيري كثيراً فهي :

- ١ - السيب .
- ٢ - الحديث عن الأحياء .
- ٣ - الكلام على باب السلام .
- ٤ - مدح النبي عليه السلام .
- ٥ - الكلام على معجزاته صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - وصف النبي والحديث عن أخلاقه .
- ٧ - المناجاة .

(٣١) الصيغ القديمة ص ٤٥ . ■ نفعات الأزهار ص ٣ .



يبدأ القسم الأول بالإشارة إلى ذي سلم والحديث عن حب الشاعر  
الذي جعلها « في زمرة المشاق كالعلم » وتشرح حالها ثم تغالب سعداً  
قائلة : « إن أبصرت عينك كالنحلة وجئت سكتاً تسيل عن أهلها » لأن هناك  
أقاراً طالمة وهم أجرة وإن حال البعد بينهم وأورث الألم . لقد « حلوا  
كمالاً » و « ازدادوا دلالاً » ولكنها أحسنت الفن بهم وإن حاولوا تفهيم  
وتحدث عما قيل لها عن سلوكهم وهي لن تسلوهم أو تنسأهم بل ترجو عطفهم  
واشفافهم عليها ، فكل شيء يحون ، السهاد والشوق والجوى . وأتى لها  
أن تسلوهم و « نار الحب موقدة وسط الحنا وعيون الدمع كالديم » ولها  
جنون لم تكتمل بغير السهاد ولها « رسوم بغير السقم لم تسم » . وهي مهابة  
تأبها الأسد غير أن الأجنة أقوى وأشد وألمهم « أزروا بنسب الضحى  
والبرد حين يدوا وأومض البرق من تلقاء ميثم » . وتغالب نفسها قائلة :  
جدي فان وصلوا فذلك هو القصد وإلا فتوتي ميتة فيها إباء واحتشام  
وإن كان المشق قد أخذ منها مأخذاً عظيماً ، وقد كست حالها ولكن شجنها  
يأبى ذلك كل الأياء وفضحها الدمع والسقام . وتحدثت عن الذين  
قالوا لها « ارحني » ولكن قلبها لا يتأوعها وهي لن تنصم العهد ، ولو علم  
العادل ما بها وعرف مقدار لوعتها لتركها وهو معذور لأنه لا يرى النور في  
الظلام ، ولمه يرى ذلك في يوم من الأيام ويرى النصح في كلامها ويكف  
عن لومها . وهي لذلك تتركه وتزعم بيانها عن ذمه ثم تلقت إليه قائلة :  
« هل أعساك الجيل أو أن في طرلك عسى أو فقدت رشداً أو أصابك لم » .  
لقد أتمت قلبك في لومي فمعدرة مني إليك وإن « سمي عنك في سم »  
أعزل وعسف ما استلمت فلن تراني إلا كما شاء الهوى حافظة للذمم ،  
ولعلك ترى حسنهم فتكف عن اللوم وتحدث عنهم مازجا ملايك بالذكرى  
فهي تملأ « لليل الشوق من ألم » .

وتتخلص في القسم الثاني إلى الحديث عن الذين ليست في جهم ،  
ولذا هذا العزل وهم عرب استوطنوا السر منها فهو منزلهم ولن يوح به

يوما لغيرهم . انهم أحية ما لقلبها غيرهم من أرب وإن حبهم لم يزل  
يشعرو ويزداد منذ القدم وقد لزم صدق ولائهم لانهم حلثوا بقلبها وحلثى  
جود منتهم جيدها ، وهم آية في الجبال ، ولن تبلغ الشمس في لافاق  
مشقة لألاء حسنهم . ثم تقسم أغلظ الايمان قائلة :

« لا مكنتني المعالي إن لم أكن لهم خادمة » لانهم يفضلهم غرولي بما  
عجزت به عن شكرهم والبسوتي من ضيائهم « نوراً جلا ظلي » و « ألبسوني  
ثياب الوصل » . وتستمر في كلامها بآلة وجدها وشارحة شوقها ومظهره  
لوعتها وتساءل : هل يجتمع شملنا بهم وتجييب : « نعم ، نعم » لقد  
حدثتني نفسي بذلك وهي غير كاذبة فيما تقول .

وتعود في القسم الثالث قائلة : إن أسخت الأيام يأسعد واجتمعت  
الأمانى وجئت الحي عرج على قاعة الوصاء وانعطف على العقيق فالجرحاء  
من إضم ، والقصد به باب السلام وقف مقبلاً مولى القدم لأن لي قلباً  
بذاك المكان رهينا وهو يعاني من الوجد كثيرا . وتطلب منه أن يأتي الكريم  
ويقبل غير خائف من الواثن ليرى الحسن والاحسان ، وترجوه أن لا يصدمه  
عن ذلك تصح اللاحين وما صاغوا من كلم .

وتتخلص في القسم الرابع الى مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فهو ابن الذبيح ، وهو أبو الزمراء وجد الحسن والحسين ، وهو المرتضى  
الذي اختاره الله - سبحانه - تعالى - « قيل للروح والقلم » وغير البين  
وأسمائهم لبنا وأزكا هم حسبنا وأعلامهم قربا من الله . وقد « عزت جلالت »  
و « جلّت مكانته » و « عمت هدايته » للناس جميعا ونزلت نفسي مدحه  
محكم الآيات . وتحدث عن الوحي والاسراء فقد خصه الله بالنسوة  
واسطفاه على سائر الانبياء في الأزل . وفي كلامها إشارة الى قوله - عليه  
الصلاة والسلام - : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » ولذلك فهو

ذو الجاء التشفيع وذو المجد حيث يسير تحت لوائه لعل المجد يوم الحشر العظيم .

وتحدث في القسم الخامس عن معجزاته وأولها القرآن الكريم الذي يتلى فيجد الناس فيه حلاوة ولا يئس ولا يئس ولا يئس . ومن معجزاته - عليه السلام - لمس راحته التي تمتب راحة ، ومحوه المحسن من ريقه الطاهر ، ومنها لقاعة النيرين له وتجر الماء من أصبعيه .

وتنتقل في القسم السادس الى صفاته - صلى الله عليه وسلم - فهو « فريد الحسن » و « يتر الكمال » وهو السراج الهادي الذي اشتغل بالحق واكتسل بالخلق واعتمس باليسر والنزيم به ، وهو « للبذل مستم » و « بالبشر مستم » وهو مجتهد في القرآن الكريم . وكان جماله عنوان سيرته ولو غدا البحر حبرا والشجر ورقا ما حصرته أوصافه ، ولولا أن يكون في الوصف خروج قليل إن ذكره « محيي بالي الرم » . وتكلم على أوصافه الأخرى وتصفه بالكسرم الذي يري بكرم الآخرين ، فالغيث يمي آوته ، ولكن غيث فداء - عليه السلام - لا يزال يمي وسيظل كذلك الى يوم الدين . انه كريم يعطي السائلين ، وهو الحبيب « غسوث الوري » و « كعبة الآمال » وكل معنى بديع دون رتبته . وتنتقل الى الكلام على تجريدها الحج للرسول - عليه السلام - وإن قدمنا لامتزال تسمى له بالصفاء ، وقد دعاها بحر الوفاء بالوفاء الى قيل الوفاء وبلغت ماتسروم منهم وهو القرب والحب والشوق . ثم تقول : « صحيح عزيمة صدق في محبته » و « قل مرادك وابلغ كل ماتريد » و « أقرده بالمدح » مستثيا الذين حازوا علا الفضل « من فازوا بسبقهم » فهم الباذلون النفس بذل المال والحافظون الجار ، وهم « سود الوقائع » و « حر البيض » في الحروب و « خضر المراجع » في السلم و « بيض الفعل والشم » وهم في غبار المعركة كالإسدور في « حنسن القلب » وقد هزموا الجع وما قتلت عزائمهم ، وهم التجبوم وقد

فأزوا بالسبق يتقدمهم خليفة رسول الله ذو القدم ولا عيب فيهم سوى  
أنهم لا يضام لهم ولا يفتلون بشيء في القدم ، وقد سادوا المعالي بحسب  
الخلق في الأزل وحازوا الأمانى بأوفى الناس للنعم .

وتنتقل في القسم السابع الى المناجاة وتعلقها بـ الله الحبيب الذي  
تلوذ به إن خافت ذنبها وكيف لن يجيبها « من النعم » وهو الذي يلقبها  
فوق الذي تروم حينما تلجج الى « شيء من الكرم » وما هبت الريح إلا دأت  
برق وناء لها فيه وبُئِلَ عطاء من ديمة النعم .

وتختتم قصيدتها مخاطبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقولها :  
« يا أكرم الرسل مؤلي فيك غير خفي » وأنت أكرم مدعو الى الكرم ،  
وحسبي بجك ان المرء يحشر مع أحبابه وذلك فوز عظيم وهناء « غير  
متحسم » .

إن القصيدة تجري مجرى البديعيات الأخرى من حيث عناصرها  
وهي غنية بمعانيها وغزيرة بأوصافها ، غير أن الشاعرة فيها ضعيفة والتكلف  
بادٍ في كثير من أبياتها وذلك بسبب التزام الشاعرة بفنون البديع التي  
أصبحت تبدأ التزم به البديعيون . ويبدو في قوافي القصيدة القلق والتكرار .  
وما ذلك إلا لأن الشاعرة تريد أن تصل الى هدفها وهو الاستشهاد على  
البن البديعي ، وهذا من الصنعة التي تخرج الشعر عن سبيله وتحيله قلما فيه  
من التكلف الشيء الكثير . ولكن قداسة الموضوع وتبل الهدف وشدة ف  
العناية تشفع لعائلة الباعولي التي كانت صورة صادقة للؤمنات في عهدنا  
ومثالا للحياة الأدبية في القرن العاشر للهجرة . وقد وصلنا ابن العسادر  
الحنبلي بقوله : « الشيخة الصالحة الأدبية العالة العاملة أم عبد الوهاب  
الدمشقية أحد أفراد الدهور ونواذر الزمان فضلا وأدبا وديانة وصيانة  
تسكت على يد السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي تم على خليفة المجوي

يحيى الأرموي . ثم حلت إلى القاهرة ، وقالت من العلوم حظاً وانرا ، واجيزت بالانقضاء والتفريس » (٢٢٢) .

وقصيدة عائشة الباعونية نحات من التصوف وليس فيها من أوصاف حية وحديث عن الحب واللوعة والشون مما يعرفه الشعراء الحسيون ، وإنما هو التسوق إلى الله واليهام بحب بيته المصطفى عليه السلام . وهي في ذلك تنحون عن الشعراء المتصوفين كابن الفارض والبوصيري وغيرهما من أعلام المتيقن الإلهي . تقول من كلام لها : « وكان مما أنعم الله به عليّ أني بحمده لم أزل أقلب في أطوار الابداد في رغبة لطاق البر الجواد ، إلى أن خرجت إلى هذا العالم المشحون بظواهر تجلياته الطامع بجلب قدرته وبدائع إرادته المشوب بموارده بالاقدار والإكدار ، الموضوع بكمال العسرة والحكمة للإنلاء والاختيار ، دار مر لا يثاء لها إلى دار النزل . فريتي اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة ، وغدائي بلبان مداد التوفيق لسلك سبيل الاستقامة ، وفي بلوغ درجة التمييز أهلني الحق لقراءة كتابه المبرور ومن عليّ بحظه على التمام ولي من العمر حيثئذ ثمانية أعوام ، ثم لم أزل في كنف ملاطفات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف » (٢٢٣) . وهذا كلام صوفية تنوق إلى خالق الكون لا إلى محبوب مجرّها أو حبيب غائبا ، وقصيدتها « الفتح المبين في مدح الأمين » تدبر عن هذا الوجد وتصور النزعة الصوفية أروع تصور .

وليس الكلام هنا على النزعة الصوفية عند عائشة الباعونية وإنما الحديث عن قصيدتها وما فيها من فنون بلاغية جعلتها من أشهر البديعيات :

(٢٢٢) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ .

(٢٢٣) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٢ .

وعن شرحها الذي يمدّ من جملة كتب البديع \* والفصيحة كما ذكرتها في شرحها ، هي :

- في حسن مطلع أقصاري بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم<sup>(٢٤)</sup>  
 أقول والدمع جارم جارح مقلسي والجار جار بعلل فيه منهم<sup>(٢٥)</sup>  
 باللهوى في الهوى رُوح سحت بها ولم أجد رُوح بشرى منهم بهم<sup>(٢٦)</sup>  
 وفي بكائي لعالم حال من علمي لتكت صبراً فبا أجدى ثنح دمي<sup>(٢٧)</sup>  
 يا سعد إن أبصرت عيناك كاذبة وحت سئلنا فل عن أهلها القدم<sup>(٢٨)</sup>  
 فتم أقمار تيم مالمعين على طويح ، حيم وازل بحيم<sup>(٢٩)</sup>

(٢٤) فيه براعة المثلع وهو أن تكون المعاني واضحة في استهلالها وإن يكون المثلع يدل على معنى القصيدة ويناسب الفرض ، وهو حسن الابتداء .

(٢٥) فيه جناس مدبل ( جار - جارح ) وهو « أن يجيء بكلمتين متجانستين اللفظ متغلتي الحركات غير أنهما يختلفان بحرف واحد » - الشرح ص ٣١٢ - . وفيه جناس تام ( الجار - جارح ) وهو « أن يجيء المتكلم بكلمتين متغلتيين لفظاً مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٢٦) فيه جناس محرف ( روح - روح ) وهو « ما اتفق ركناء في تعداد الحروف وتركيبهما سواء كان من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فإن التمسد اختلاف الحركات » - الشرح ص ٣١٢ - .

(٢٧) فيه جناس مطلق ( من علمي - منع دمي ) وهو « أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين » - الشرح ص ٣١٤ - .

(٢٨) فيه جناس مركبة ( سئلنا - سئل عن ) وهو أن يكون أحد الركنين مركباً من كلمتين والآخر كلمة واحدة .

(٢٩) فيه جناس مصحف ( لم - لم ) وهو أن تكون اللفظان متشابهتين في الخط مختلفتين في التنقيط . وفيه جناس مطلق ( طالعين - طويح ) وهو ما يرمح أحد ركنيه أن أصلهما واحد ، وليس الأمر كذلك .

أجبة لم يزالوا منهى أمني وإن همم بالتالي أوجبوا الي<sup>(٤٠)</sup>

عكسوا كمالاً جلوا حسناً سبوا أمسا

زادوا دلالة قنى صبري فيما سقسي<sup>(٤١)</sup>

أحنت ظني وإن هم حاولوا ظني ولم سرّ وضعتي فيه من شيسي<sup>(٤٢)</sup>

اليحمدي وأبو تمام كل شجر على القرام إلى قلبي لأجلهم<sup>(٤٣)</sup>

فيل اسلمهم قلت إن هبت صبا سحراً وأشرق البدر تأسلخ شهرهم<sup>(٤٤)</sup>

ما لي يرجع عن الأشجان في ولهي بل عن سلوي رجوعي صار من لزمي<sup>(٤٥)</sup>

(٤٠) فيه جناس مخالف (أمني - الي) وهو « أن يشتمل كل واحد من الركتين على حروف الآخر دون ترتيبهما » - الشرح ص ٢١٥ .

(٤١) فيه جناس لاحق (علوا - جلوا) وهو ما أبدل من أحد وكتبه حرف من غير مخرجه . والتمين في الشاهد من مطرَج والجيم من مخرج غير .

(٤٢) فيه جناس لفظي (ظني - ضني) وهو « ما تعال وكناء وتجانسا حفا لكن خالف أحدهما الآخر بأبدال حرف فيه مناسبة لفظية » - خزانة الأدب ص ٢٨ .

(٤٣) فيه جناس منوي (اليحمدي - أبو تمام) قالت الشاعرة : « فساں اليحمدي هو منشيء العروض اسمه الخليل ، وأبو تمام الشاعر اسمه حبيب . وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران وهما خليل وخالل ، وحبيب وحبيب » - الشرح ص ٢١٧ . - وهذا الجناس نوعان تجنيس اغمار وتجنيس اشارة ( ينظر خزانة الادب ص ٤٠ ) .

(٤٤) فيه مناقضة ، فقد طالت الشاعرة الشرط على الممكن والمستحيل ومراد المتكلم المستحيل ، لان المناقضة هي تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق بعدم وقوع الشرط فكان المتكلم ناقض نفسه في الظاهر إذ شرط وقوع امر يوقع نقيضين . ( خزانة ص ١١٤ ) .

(٤٥) فيه رجوع وهو العود على الكلام السابق بالنفس لكثرة . ( الايضاح ص ٢٥٢ ، التلخيص ص ٢٥٦ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٢١ ) .

(٤٦) كذا في الاصل ، و ( رجوت ) المقرب الى الوزن .

رجوتهم<sup>(٤٧)</sup> أن يعطوا فضلاً وقد عطوا

لكن على قلب من فسرط عشقم<sup>(٤٨)</sup>

هأن السهاد غراماً فيه ألقني شوقي وعن الكرى وجشداً فلم أقم<sup>(٤٩)</sup>

وعاذل راح سلواليا فقلت له من الحال وجود الصيغني الأجر<sup>(٥٠)</sup>

عذلتني وادعيت التصح فيه فلا برحت تسمى بلا حد إلى النعم<sup>(٥١)</sup>

كيف السلو ونار الحب موقدة وسط الحشا ويعون النعم كالديم<sup>(٥٢)</sup>

ولي جنون بغير السهاد ما اكتحلث ولي رسوم بغير السقم لم تسم<sup>(٥٣)</sup>

تهاني الأسد في آجامها وفيها تلك القبا قد أذنتي لزمهم<sup>(٥٤)</sup>

(٤٧) فيه استفدراك ، والاستفدراك قسمان : قسم يتقدم الاستفدراك فيه تقريراً لما أخبر به المتكلم وتوكيداً له كقول بعضهم :

واخسوان نخدمهم دروساً فكانوهما ولكن للأعادي

وقسم لا يتقدمه تقرير وتوكيد كقول زهير بن أبي سلمى :

أخوتك لأهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال ناله

والاستفدراك في بيت الشاعرة من القسم الأول - الشرح ص ٢١٩ .

(٤٨) فيه مطابقة ( السهاد - الكرى ) والمطابقة أن يجمع بين شدين مختلفين .

(٤٩) فيه تمثيل أخرج مخرج المثل وهو قولها : « ومن الحال وجود الصيغ في الاسم » .

(٥٠) فيه إيهام وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر . ولا يفهم من بيت الشاعرة اسماء هو للعادل أم دعاه عليه لأنه يصلح للأميرين .

(٥١) فيه استعارة في « نار الحب » .

(٥٢) فيه إرداف ، والإرداف من الكتابة وهو « أن يريد المتكلم معنى

فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظه هو ردهه وتابعه » -

الشرح ص ٢٢٢ . ومراد الشاعرة أنها من العشق لانتام ، وأنها حزينة أشباحها السقم .

(٥٣) فيه إقتان ( النسب والحماة ) والإقتان هو « أن يأتي الشاعر بفتين متضادين من الشعر مثل النسب والحماة والمديح والهجاء » .

- الشرح ص ٢٢٢ .



أَزْرَوْا بَيْتِي الشَّحَى وَالْبَهْرَجَ يَدَوَا وَأَوْمَضَ الْبَرْقَ مِنْ تَلْقَاءِ بَيْتِهِمْ<sup>(٥٤)</sup>  
يَا نَفْسَ مَاذَا الْوَلَى جَدَيْ فَإِنْ يَصْلُوا فَالْقَصْدُ أَوْ لَا فَمَوْتِي مَوْتٌ مُحْتَسَمٌ<sup>(٥٥)</sup>  
لَذَكْرَهُمْ صَارَ سَعْسَعُ الْعَذْلِ يَطْرِبُنِي مِنَ الْوَاخِصِ وَيُلَحِّنِي لَشُكْرِهِمْ<sup>(٥٦)</sup>  
بَلَفْتُ فِي الْعَشَقِ مَرَمًى لَيْسَ يَدْرِكُهُ إِلَّا خَلِيجٌ صَبَا مِثْلِي إِلَى الْعَدَمِ<sup>(٥٧)</sup>  
كُنْتُ حَالِي وَرَأَيْتُ كُنْهَ شَجْنِي بِحِكْمِي الْفَاضِحِينَ الدَّمْعَ وَالسَّهْمَ<sup>(٥٨)</sup>  
قَالُوا ارْعَوِي قَلْبِي مَا يَطَاوَعُنِي قَالُوا اقْنِي قَلْبِي غَيْرِ مَشْغَمٍ<sup>(٥٩)</sup>

(٥٤) فيه مراداة النظر وهو الجمع بين امر وما يتناسبه مع الفاء ذكر  
التضاد لتخرج المطابقة ( خزائن الأدب ص ١٢١ ) وقد جمعت الشاعرة  
بين الشمس واليدور وهما غير متضادين .

(٥٥) فيه عتاب المرء نفسه : وقد صبت الشاعرة على نفسها قاتلة :

« يَا نَفْسَ مَاذَا الْوَلَى ؟ » قال الحموي من هذا الفن : « لم أجد العتب  
مرتباً إلا على من أدخله في الديدع وهذه من أنواعه » ( خزائن ص ١٤٤ ) .

(٥٦) فيه مفارقة وهي أن يتطلف المرء يتوصله إلى ما كان منه هو أو غيره .  
ومن المعروف أن الواحسي مدمومون فتطلفت الشاعرة فسي مدحهم  
وجعلتهم سبباً لطربها وأوجبت شكرهم .

(٥٧) فيه سلامة الاختراع ، قالت الشاعرة : « وإني فيما أعلم لم أسبق  
إلى هذا المعنى » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٨) فيه توسيع ( الدمع والسهم ) وهو « أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم  
مثنى في حشو المعجز . ثم يأتي بعده بكلمتين مفردتين هما عين مالك  
المثنى تكون الأخرى منهما غالبية بيته ، أو سجعاً كلامه كأنه يعبر  
لما تشاء » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٥٩) فيه مراجعة ( ذالوا - قلت ) وهي أن يحكي المتكلم مراجعة في القول  
ومحاورة بينه وبين غيره بأوجز عبارة - الشرح ص ٢٢٧ - .

- قالوا سلوت نقتل الصبر في كلتي      قالوا يست قتل البره في سقي (٦٠)  
 يا عادلي أنت معذور قلت تسرى      إذا بدا الصبح ماغنى غنى الظلم (٦١)  
 أيرمت عدلاً ويخشى أن تجريره      لي السلو وما السلوان من شيبه (٦٢)  
 أجتر الأمور على أذلالها فغسى      ترى بعينيك وجه التصح في كلتي (٦٣)  
 عن ذم مثلك تباغى أثره      إذ أنت عندي مسدود من التعم (٦٤)  
 الجهل أغواكأم في الطرف منك عسى      أم غاب رشداكأم فترتب من القمم (٦٥)  
 اتعبت فسك في علي ومعدرة      مني اليك فسمي عنك في صمم (٦٦)

(٦٠) فيه القول بالوجوب وهو شريان : الأول أن يقع صفة في كلام مدح شيئا يعني به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بشيئها له ولا بتعديها عنه كقوله تعالى : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منا الأذل » وله العزة ولرسوله وللمؤمنين « فاتهم كانوا بالأعز من فريقهم وبالأذل من فريق المؤمنين فأنبت الله تعالى صفة العزة له ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت الإخراج بصفة العزة ولا لتعديها . والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده بما يحتمله إذ كر متعلقه كقوله :

- قلت لقلت إلا أريت مسورا      قال قلت كاطس بأبادي  
 فيه تهكم بلفظ ( الوعد ) مكان ( الوعيد ) .  
 فيه مواربة وهي أن يقول المتكلم ما ينكر عليه بسببه وتوجهه إليه المؤاخدة فإذا حصل الإنكار عليه استحضر بحدقه وجبا من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخدة إما بتحريف كلمة أو تصحيها أو زيادة أو بنقص . وموضع المواربة في « ويخشى » قال المراد بالباطل البناء المقتاة القوتية وفنحها والسعين القهلة : ذات الشاعرة بالياء المتناة التحنية ونسما والتشين المجمة وتخلصت من المؤاخدة .  
 فيه شرب المثل وقد وقع إرساله في صدر البيت : « أجر الإمور على الألهسا » .  
 فيه نواهة وهي أن ينزه المتكلم كلامه من الفحش في الهجاء .  
 فيه تجاهل العارف : وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال ما لا يعلم .  
 فيه النزول بإرادته التجدد .

- اعذل\*وعشوقل ما اسطمتلازني إلا كما شامو جدي حافظاً ذمى<sup>(٦٦)</sup>  
 تومني الصبر\* عن لي حلا يسم جميع\* ما مر\* من حالات عشقم<sup>(٦٧)</sup>  
 لم\* يا عنول وشاهد حسنهم فاذا شاهد\* واستطمت اللوم\* بعذل\* نشر<sup>(٦٨)</sup>  
 ابن أنل عرغن فرع لنا نبا من السلام وحشيه بوصهم<sup>(٦٩)</sup>  
 وامزج ملاك بالذكرى فاذن بها تعلقا\* لعيل الشوق من ألم<sup>(٧٠)</sup>  
 كرر\* أعاطرب ابسطن\* لغن\* أجب قل سل جيد ترنم بر\* من دم<sup>(٧١)</sup>  
 أعد حديث أحيائي فهم عرب قد أعرب الشمع فيهم كل منجم<sup>(٧٢)</sup>

(٦٧) فيه بسط ، وهو بسط الكلام بشرط زيادة في الفائدة .

(٦٨) فيه تورية وهي « أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فربد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه البعض القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك » ( خزانة ص ٢٢٩ ) . والتورية في « ما مر » إذ يحتمل المارة بتدليل « حلا بهم » والمضى أيضاً .

(٦٩) فيه تصدير . وهو رد العجز على المصدر ( لم ياعذل - بعد لم ) .

(٧٠) فيه ما لا يستحيل بالانكاس ، والشرط الأول من البيت يقرأ معكوساً .

(٧١) فيه تألف اللفظ والمعنى وهو « أن تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لافظة بذلك المعنى » - الشرح ص ٢٢٦ - .

(٧٢) فيه تفويف ، وهو أن يأتي المتكلم بمعان شتى من المدح أو العزل أو غير ذلك من الأعراس من كل فن في سبعة متفصلة عن اختها سبع تساوي الجمل في الوزن - الشرح ص ٢٢٧ - . وهذا التمن ظاهر في كل لفظة من الفاظ البيت .

(٧٣) فيه ادعاج وهو « أن يدمج المتكلم غرضاً له في جملة معنى من المعاني قد تعاد ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتعميم معناه الذي قصده - الشرح ص ٢٢٨ - . وقد ادمجت السباعرة شرح الحال في خواص في التعريف بهم .

واستوطنوا السرّ مني فهو منزلهم ولا أنوء<sup>(٧٤)</sup> به يسوماً لغيرهم<sup>(٧٥)</sup>  
 بدا الصدود بعدي عن جوارهم فعاد وصل بقربي من محلهم<sup>(٧٦)</sup>  
 أحبّة ما تلقيني غيرهم أربّ<sup>(٧٧)</sup> وحبتهم لم يزل يربو من القدم<sup>(٧٨)</sup>  
 لزمت صدق ولاهم والتزمت به فلتناسلوا إلا عن ساوهم<sup>(٧٩)</sup>  
 حلوا بتلقي وحلي جود منهم جدي وشكر الأيادي مسمي وفي<sup>(٨٠)</sup>

(٧٤) في الأصل ( ولم أنوء ) ولعله (لم) استقام ، وقد ذكرت التسمية في الشرح ( لا أنوء ) .

(٧٥) فيه استخدام وهو لفظ مشترك بين معنيين ويراد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعاد عليه ضمير ليراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران ، ويراد بأحدهما أحد المعنيين وبالأخر المعنى الآخر . واللفظة « السر » في البيت محتلة القلب والكلام المستودع قلما قالت « فهو منزلهم » استخدمت أحد معني اللفظ وهو دلالة بالقرينة على القلب ولما قالت «ولا أنوء» استخدمت المعنى الآخر وهو دلالة بالقرينة على الكلام المستودع .

(٧٦) فيه مقابلة ( بدا - عاد ) - ( الصدود - وصل ) - ( بعدي - قربي ) - ( من - من ) - ( جوارهم - محلهم ) .

(٧٧) فيه تآلف اللفظ والوزن وهو أن تكون الأفعال ثامة ولم ينشط الشاعر في الوزن إلى لفصيا أو زيادتها - الشرح ص ٣٤٤ .

(٧٨) فيه تآلف المعنى والوزن وهو « أن نالي المعاني في الشعر صحيحة لا ينشط الشاعر في الوزن إلى قلبها من وجهها » . ( خزانة الأدب ص ٤٢٨ ) .

(٧٩) فيه إبداع وهو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد من الشعر أو الفقرة الواحدة من الشعر عدة شروب من البديع - الشرح ص ٣٤٦ . وقد جمعت الشاعرة بين الجناس المطلق ( حلوا - حلي ) - ( الجود - الجيد ) - ( المسمع - القسم ) ، والتورية في ( وحلي ) وحسن البيان والسبولة والاستيعاب وتآلف اللفظ والوزن وتآلف الوزن والمعنى والمناسبة والسط

ما بهجة النفس في الآفاق مشرقة  
لا مكتنسي العالي من سيادتهما  
بفضلهم غمروني من فواضلهم  
والبونسي مثد آلت نازهم  
والبونسي ثياب الوصل مشككة  
وخوتوني مثلكا فيه قررت بهم  
لهم شائل بالاحسان قد شملت  
وعلت كرم الأخلاق والشيم

(٨٠) فيه تفرغ وهو « أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم المتكلم بـ » ما  
خاصة ثم يصف ذلك الاسم المتكلم بأحسن أوصافه المناسبة للمقام ،  
أما في الحسن وإنما في التبع ، لم يجعله أصلا يفرغ منه جملة من  
جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو تسيب أو غير  
ذلك . ثم يغير عن ذلك الاسم بـ « أفعل » التفضيل ثم يدخل « من »  
على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويطلق المجرور بـ « أفعل »  
التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ « من » وبين الاسم  
الداخل عليه « ما » الثانية لأن حرف النفي قد نفي الأفضلية فتبقى  
المساواة . ( خزانة الأدب ص ١٤ ) .

(٨١) فيه القسم وجوابه وهو « أن يريد الشاعر الحلف على شيء فبأن في  
الحلف بما يكون مدحا له أو يمسا بكسوه فخرا ، أو يكون هجاء لغيره  
أو وعيدا أو جاربا مجزئ التفرق والتركيب » - الشرح ص ٢٤٨ .

(٨٢) فيه حسن البيان وهو « الإبالة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة من  
القبس » ( خزانة ص ٥٦ ) .

(٨٣) فيه توضيح وهو أن يكون أول الكلام دالا عليه .

(٨٤) فيه مجاز ( ثياب الوصل ) ، والمجاز هو التعبير عن المعنى بغير لفظه  
الوضوح له .

(٨٥) فيه استطراد ، وهو الخروج من غرضي التي آخر على شرط  
أن يرجع إلى الكلام الأول .

(٨٦) فيه التهذيب والتأديب ، وهو وصف بعم كل كلام متعج محرر .

ولو عوائد<sup>(٨٨)</sup> منهم بالجليل لها      يشتم اتصال غير منجم<sup>(٨٩)</sup>  
 وفا الوفا<sup>(٩٠)</sup> راق عيش المستهام بهم      فلا جفا بعد ما جادوا بوصالهم<sup>(٩١)</sup>  
 حلقوا بتلقي فيا قلبي تين<sup>(٩٢)</sup> بهم      وافرح ولا تلتفت عنهم لغيرهم<sup>(٩٣)</sup>  
 قد طال شوقي وقلبي منزل<sup>(٩٤)</sup> لهم      الى الطلول التي تسو باسمهم<sup>(٩٥)</sup>  
 ظلت شعري<sup>(٩٦)</sup> هل حالي بمنظلم      قبل القوافي وهل شعلي بمنظلم<sup>(٩٧)</sup>

(٨٧) فيه انسجام - وهو ما خلا من التعقيد وكان كانسجام الماء في انحداره .

(٨٨) غسي الاصل : و قالوا فا .

(٨٩) فيه تشريع ، والتشريع ان يأتي الشاعر ببسته على وزن من اولان العروى وقافيتين فاذا اسقط من اجزاء البيت جزء او جران سطر ذلك البيت من وزن آخر غير الاول - الشرح ص ٣٦٠ ، خزانة الادب ص ١١٩ - . وقد اخرجت الشاعرة من البيت قافية الحسرى من متهودك الرجز وهو ( وفا الوفا فلا جفا ) وصار باقي البيت من غير الجزلين الاولين ( راق عيش المستهام بهم بعدما جادوا بوصالهم ) . وهذا البيت من العروس الثالثة المدفوعة المخبولة من المديد .

(٩٠) فيه التفتات ، وهو الانصراف من اسلوب الى آخر ، ويبست الشاعرة فيه انصراف التكلم من الاخبار الى المخاطبة .

(٩١) فيه احتراس ، والاحتراس هو « ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فينطلق له قياتي بما يختصه من ذلك » (خزانة ص ٤٥٨) . قالت الشاعرة : « وغولي في بيتي المتقدم او قلبي منزل لهم » احتراس من توهم خلو القلب منهم اذا لم يجد شوقي الى ديارهم فلما قلت : ( وقلبي منزل لهم ) ازلت التوهم واعلمت ان ذلك الشوق شوق البصر الى رؤية معاهدهم . واما البصرة فهي معمورة بهم لايحتجون عنها طريقة صين . الشرح ص ٣٦٥ - .

(٩٢) فيه تآلف اللفظ باللفظ ( منظم - منظم ) وهو « ان يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها اللفظة يتبعها وبين بعض الكلام التلاف » . ( خزانة الادب ص ٤٢٨ ) .

- تَمَّ ثَمَّ حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ      ظَنُّونَ سِرِّي حَدِيثًا غَيْرَ مَشْهُومٍ (٩٣)  
 عَنْ جُودِهِمْ عَنْ قُدَامِهِمْ عَنْ قَوَاضِلِهِمْ      عَنْ مَشْهُومٍ عَنْ قَوَاضِلِهِمْ  
 سَادُوا فُجُودَهُمْ جَمًّا وَبَذَلَهُمْ      حَسَمَ\* وَمُورِدَهُمْ لَحْشَمَ لِكُلِّ ظَلِيٍّ (٩٤)  
 بِاسْمَعْدٍ إِنْ سَاعَدَ الْإِسْعَادُ\* وَاجْتَمَعَتْ      لَكَ الْإِمَانِي وَجِئْتُ الْحَيَّ مِنْ أَيْتَمٍ (٩٥)  
 عَرَجٌ\* عَلَى قَاعَةِ الْوَعَاءِ مُنْعَطِلًا      عَلَى الْعَتِيقِ عَلَى الْبِرْعَاءِ مِنْ أَيْتَمٍ (٩٦)  
 وَاقْصِدْ مُصَلَّتِي بِبَابِ السَّلَامِ وَقَدْ      لَدَى الْقَتَامِ وَقَبْلَ مَوْطِيءِ الْقَدَمِ (٩٧)

(٩٣) فيه تكرار ( نعم نعم ) ، والتكرار إعادة اللفظ لتقرير المعنى .

(٩٤) فيه مناسية وهي مناسبة في المعاني ومناسية في الالفاظ ، والمعنوية هي أن يريد المتكلم معنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقول الشاعر . والمناسية اللفظية هي الإتيان بكلمات مترنات ، ومن ذلك قوله . عليه السلام . : « آميدكما تكلمات الله التامة من قبل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » قال : « لامة » ولم يقل « ملمة » وهي القياس لكان المناسبة اللفظية التامة وغير التامة لأنها في الزنة دون التقفية .

(٩٥) فيه حسن التسيق وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحبات تلاحماً سليماً مستحسناً مستبجها ، وتكون جمالياً ومفراداتياً متسقة متواليات إلا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه « خرافة من ١١٥ » .

(٩٦) فيه ابتجار ، وتقدير كلام الشاعر : « باسمعده أن ساعدت الإقذار بالإسعاد واجتمعت لك جميع الأمانى وجئت ذلك الحي » . فعددت بعض هذه الالفاظ لدلالة الباقي عليها .

(٩٧) فيه تميم ، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه لم يعود التكليم فيتميمه . والتتميم في قول الشاعر « منعطفا » فإن البيت صحيح المعنى بغير هذه اللفظة ولكن يمجسها فيه تشبيهاً ممنوي . - الشرح ص ٢٧٢ .

(٩٨) وفيه تجريد ، وهو « أن ينتزع من أمر ذي صفة إلى آخر مثله » ( الإيضاح ص ٣٦٢ ، التلخيص ص ٣١٨ ، شروحه التلخيص ج ٤ ص ٣١٨ ) . وقد جردت الشاعر من المعنى مقاما ، ومن المقام موطيء القدم .

فلي قرأ بذلك الحي مرتين " سلا السلو وعاني وجده بهم<sup>(٩٩)</sup>  
 فاشدته الله والأشوار مشرفة تملو العالم من سكانها القديم<sup>(١٠٠)</sup>  
 التبر الكريم وهذا طور حضرتهم اقبل ولا تخلف الوائين بالكلم<sup>(١٠١)</sup>  
 وشاهد الحسن والاحسان جزؤهم ولا تدع منك جزء غير مقسم<sup>(١٠٢)</sup>  
 ولا يصدك عن بذل الوجوه لهم تمشح اللواحي وما صاغوا بطلقهم<sup>(١٠٣)</sup>  
 هم المفاليس ما ذلقوا القرام ولا أمروا حسي خير خلق الله كلمهم<sup>(١٠٤)</sup>

(٩٩) فيه تمكين (بم) ، وهو « أن يمسد النار لجمعه ققرة أو التناغم  
 لتأقية بيته تمهيدا تأتي به الغاية ممكنة في مكافاة مستقرة في  
 قرارها غير قلقة ولا نامرة » ( خزائن ص ٤٣٩ ) .

(١٠٠) فيه حذف ، وهو هنا حذف حرف من حروف الجساء أو جميع  
 الحروف المعجمة أو جميع الحروف المبجلة . وقد حذف الشاعرة في  
 هذا البيت الأحرف التي تنقطع من لحت .

(١٠١) فيه اقتباس وقد اقتبست الشاعرة « الجبل ولا تخف » من  
 سورة القصص ، الآية ٣١ .

(١٠٢) فيه نوادر ، والنوادر « أن يأتي الشاعر بمعنى مستغرب قلقة استعماله ،  
 لأنه لم يسمع بمثله . وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ، ولكن غالب  
 علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فاتهم قالوا : لا يكون  
 المعنى غريباً إلا إذا لم يسمع بمثله » . ( خزائن الادب ص ٢٢٣ ) .

(١٠٣) فيه كتابة ، والكتابة اثبات معنى من المعاني بغير لفظه الموضوع له في  
 اللغة ولكن يحىء الى معنى هو بذله في الوجود فيومي اليه ويجعله  
 دليلاً عليه ، وقد كتبت الشاعرة عن أقرار اللواحي بزعمهم النصيح  
 بالصباغة .

(١٠٤) فيه مظهر أي حسن التلخيص ، وهو الانتقال من المعنى الأول الى  
 الثاني انتقالاً فيه ارتباط وخروج حسن .



محمد المصطفى بن النذير أبو الـ زُهرَاء جدّ أمير بني تميم الكرم<sup>(١٠٥)</sup>  
 الوافر العظم ابن الوافر العظم ابنـ ن الوافر العظم ابن الوافر العظم<sup>(١٠٦)</sup>  
 المرتضى المجتبى المخصوص أحد من اختاره الله قبل اللوح والقلـم<sup>(١٠٧)</sup>  
 غير التبيين والبرهان متّضح\* عقلاً وتقاليداً فلم ترتب ولم لهم<sup>(١٠٨)</sup>  
 استأهم نسباً ، أذكاهم حسباً أعلامهم قرناً من باري التسم<sup>(١٠٩)</sup>  
 طه المنادي بالقلب العلى شرفاً وغيره بالألماسي ضمن كتبهم<sup>(١١٠)</sup>

(١٠٥) فيه أفراد ، وهو الابن باسم المدح وصفته وكنيته واللقب الثلاثـة  
 له وأسم من أمكن من أبيه وجده ليزداد المدح تعريفاً : - الشرح  
 ص ٢٨٢ - وذلك واضح في بيت الشاعرة .

(١٠٦) فيه تكرار ، وهذا البيت مرتبط بالسابق وقد جاءت به الشاعرة:  
 تقريراً له ، بما يجب من التسوية بذكر آباءه من التبيين .

(١٠٧) فيه تكميل ، والتكميل « أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو  
 غيره من فنون الكلام والفراخه ثم يرى مدحه بالانتصار على ذلك المعنى  
 فقط غير كامل حين أراد مدح إنسان بنجاحة مثلاً ثم رأى أن الانتصار  
 عليها دون مدحه بالكرم غير كامل أو بالباس دون العلم » - الشرح  
 ص ٢٨٢ - .

(١٠٨) فيه ترتيب ، والترتيب « أن يجمع الشاعر إلى أوصاف شتى ذي  
 موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ، ويكون ترتيبها في  
 المطلقة الطبيعية ولا يدخل النظم فيها وصفاً ثالثاً عما يوجد في الدهن  
 أو في العيان » . ( خزائن ص ٣٦٧ ) . والترتيب في البيت هو  
 في ذكر العقل والنقل ولا ثالث لهما في الحجة .

(١٠٩) فيه تسميط وهو « أن يجعل الشاعر كل بيت سمطه أربعة أقسام ،  
 ثلاثة منها على سجع واحد بطلاق فاقية البيت » . ( خزائن ص ١٢١ ) .  
 والتسميط في بيت الشاعرة ( استأهم نسباً ) - ( أذكاهم حسباً ) -  
 ( أصلامهم قرناً ) .

(١١٠) فيه سهولة حيث لا تكلف ولا تعقيد ولا تصف في السبك .

عزّت جلالتّه ، جلّت مكانته عمتّ هدايته للخلق بالنعم<sup>(١١١)</sup>  
 أعظم به من نبي مرسل نزلت في ملحه محكم الآيات من حكم<sup>(١١٢)</sup>  
 يشبهي مفصّلها عن عزّ مربية من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم<sup>(١١٣)</sup>  
 تبارك الله من أوحى إليه بسا أوحى وخصصه بالمتنبي العظم<sup>(١١٤)</sup>  
 برؤية القاب بالأدنى بحظوته برؤية الله بالإناس بالكلم<sup>(١١٥)</sup>  
 دنيا وقال فلا شأن يشاؤكه فيها حواء من التخصيص والكرم<sup>(١١٦)</sup>  
 أمي وكان نبياً عند خالفه قلنا وآدم طيناً بعد لم يسم<sup>(١١٧)</sup>

(١١١) فيه محاللة ، وقد تماثلت الفاظ البيت في الزنة دون التقفية  
 كما في قولها : ( عزّت جلالتّه ) - ( جلّت مكانته ) - ( عمتّ هدايته ) .

(١١٢) فيه اعتراض ولو سقطت كلمة « مرسل » لبقى البيت على قوافيه ،  
 ولكن مجيئها فيه لإفادة التوكيد وتقرير المعنى .

(١١٣) فيه إبداع ، وقد أودعت الشاعرة الشطره التالية من مبيعة اليوسفي  
 تبعثا بإتمام آثاره - الشرح ص ٣٩٠ - .

(١١٤) فيه إشارة باللفظ القليل الى المعنى الكثير ، أو هو الصحة الدالة .

(١١٥) فيه تفسير ، وهو « أن يأتي المتكلم أو الشاعره في بيت بمعنى  
 لا يستقل القيم بمعرفة فحواء دون تفسيره أما في البيت الآخر أو لسي  
 بغية البيت أن كان الكلام يحتاج الى تفسير في أوله . والتفسير يأتي  
 بعد الشرط وما هو في معناه الجار والمجرور وبعد المبتدأ الذي يكون  
 تفسيره خيره بشرط أن يكون المفسر مجتملاً والمفسر مفصلاً » ( خزانة  
 ص ٤٠٨ ) . وصحة التفسير في البيت تظهر أن الترتيب في عجزه  
 والمفسر في صدره وكل قسم مستقل بنفسه .

(١١٦) فيه توفيق ، والتوضيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على آخره .

(١١٧) فيه عنوان ، وهو « أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر  
 أو مدح أو ذم أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكمله بالفاظ تكون  
 عنواناً لأخبار متقدمة وقسم مبالغة » ( خزانة ص ٢٧٣ ) . وعنوان  
 البيت يشير الى اصطفايته - صلى الله عليه وسلم - على سائر الأنبياء  
 في الآزل - الشرح ص ٣٩٥ - .

ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم ولا يسرى غيره في الكشف للشم (١١٨)  
 ذو المجد حيث أهيل المجد قاطبة تميز تحت لواء يوم حشرهم (١١٩)  
 ذو المعجزات التي منها الكتاب قيا بشرى لمتبس منه بكل جم (١٢٠)  
 يتلنى ويعلو ولا يلى وليس له مبدل وهو جبل الله فاعتصم (١٢١)  
 قبل للذي ينهي عسا يحاوله من حصر معجزاته الطاهر الشيم (١٢٢)  
 كسم أعقب واحدة باللس واحد وكما محنة ريق له بسم (١٢٣)

(١١٨) فيه تسميم وهو « أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخره تارة بالمعنى وتارة باللفظ » - الشرح ص ٢٩٦ - . والسامع قلشطر الأول من البيت يصرف تمامه .

(١١٩) فيه حصر الجزئي والحاقه بالكل وهو أن يأتي التكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جسا بعد حصر أقسام الأنواع والأجناس - الشرح ص ٢٩٧ - .

(١٢٠) فيه اكتفاء وهو « أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمخدوف فلم ينتقل الى ذكر المخدوف لدلالة باقي البيت عليه ويكتفى بنا هو معلوم في الذهب فيما يقتضي تمام المعنى » .  
 ( خزائن الأدب ص ١٢٦ ) .

(١٢١) فيه توليد ، وهو أن ينظر الشاعر الى معنى من معاني من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله في بيت من قصيدة فيورده ويولد بيتها معنى آخر . ومعنى بيت الشاعرة مولد من بيت البوصري :

فلا تعد ولا تحصي عجائبها ولا تسام على الاكثار بالتسام  
 فيه تلميل وهو : « أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان أو جزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الخالصة » .  
 ( خزائن ص ٢٢٢ ) . قالت الشاعرة : « ومجزء تقدم لي في بيت من قصيدة لوبة » - الشرح ص ٤٠٣ - .

(١٢٣) فيه موارد ، والموارد أن يتوارد الشاعر ان على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه . قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالقصود من هذا النوع في بيتي التقدمة وقصدت الموارد بشهادة الله - تعالى - اني لما نظمت هذا البيت تذكرت بعد فراغه بيت الشيخ - البوصري - رحمه الله تعالى - قال :

كم أكرات وصبا باللس واحد واحطت أريسا من رقة اللسم

والتي شران أفعاء فلكك بدت بعد الأول وهذا شق في الظلم (١٢٤)  
والأء من إصبعيه ناض فيض ندى كفيه مردود هذا معكم المدم (١٢٥)  
فريد حسن تمامسى عمن مثله

في الخلق والخلق والأحكام والحكم (١٢٦)

بدر الكمال كمال البدر مكتوب من نوره وشبه الشمس فاعتلم (١٢٧)  
أظم به من نبي سيد مستند هادر سراج منير صفوة التدم (١٢٨)  
بالحق مشتغل في الخلق مكتوب بالبر معتم بالبر ملتزم (١٢٩)  
للنذل معتم بالبشر متمسم يسو بمتم كالدن متظم (١٣٠)

(١٢٤) فيه تقسيم ، وهو استيفاء التكم أقسام المعنى الذي هو أخذ فيه ،  
وقد استوفت الشاعرة ذلك في بيتها وقالت بعد ( التيران أفعاء ) :  
( فلكك بدت بعد الأول ) و ( هذا شق في الظلم ) وبذلك استوفت المعنى .

(١٢٥) فيه جمع مع تقسيم ، فقد جمعت الشاعرة بين الماء وفيض كفيه ثم  
قسمت في بقية البيت .

(١٢٦) فيه جمع ، فقد جمعت بين ( الخلق ) و ( الخلق ) و ( الأحكام )  
و ( الحكم ) في حكم واحد .

(١٢٧) فيه قلب ( بدر الكمال — كمال البدر ) .

(١٢٨) فيه تسبيح الصفات ، إذ ذكرت النبي — صلى الله عليه وسلم —  
وأعقبت ذلك بتعديد صفاته ( سيد — مستند — هادر — سراج منير —  
صفوة التدم ) .

(١٢٩) فيه تشطير وقد قسمت الشاعرة بيتها شطرين ثم صرحت كل شطر  
من الشطرين وجادت بكل شطر من بيتها مخالفا لقافية الآخر . ( مشتغل —  
مكتوب ) — ( معتم — ملتزم ) .

(١٣٠) فيه سجع ( معتم — متم — مبسم — منتظم ) ، وقد جاء روي  
الاسجاع مثل روي القافية ، وهذا من شروطه في الشعر . الشرح  
ص ٤١١ — .

مجند الذكر في الفرقان بالحكم محمد الأمر في التبيان من حكم (١٣٢)  
 جمال صورته عنوان سيرته هذا بديع وهذا آية الأمم (١٣٣)  
 ولو غدا البحر جراً والنفس ورقاً في حصر أوصافه شاقاً يعظمهم (١٣٤)  
 وذكره كعاد لولا شدة سبقت إذا تكرر يحيى بالي الرم (١٣٥)  
 علا عن المثل والتشبيه منتجع في وصفه وتصور العقل كالعلم (١٣٦)  
 محمد اسمه تعنت لجملة ما في الذكر من مدحه في لون والتظلم (١٣٧)  
 علاه كالشمس لا يغشى على بصر والوجه كاليدرجلو حاله الظلم (١٣٨)  
 لو كان ثم شيل قلت طلعه كاليد حاشى تعالى كامل العلم (١٣٩)

(١٣١) فيه ترصيع (مجند الذكر - محمد الأمر) - (في الفرقان بالحكم -  
 في التبيان من حكم) وهذا يشبه ترصيع العقد ، وذلك أن يكون في  
 أحد جانبيه من الحبات مثل ما في الآخر .

(١٣٢) فيه لف ونشر (جمال صورته - هذا بديع) - (عنوان سيرته -  
 آية الأمم) .

(١٣٣) فيه العراق في المعنى ، والأوراق هو فوق المبالغة ودون اللؤلؤ .

(١٣٤) فيه فلو ، ولذلك استعملت الشاعرة (كاد) .

(١٣٥) فيه مبالغة ، قالت الشاعرة : « وبالجملة فكل مبالغة في هذا المقام  
 ممكنة وغير مستحيلة في معجزات المدوح - صلى الله عليه وسلم -  
 وعظم قدره » - الشرح ص ٤١٥ - .

(١٣٦) فيه اتفاق ، قالت الشاعرة : « الاتفاق في بيتي يبركسة المدوح  
 - صلى الله عليه وسلم - ظاهر فإن اسمه الشريف محمد اسم علم  
 لا كثرت أخلاقه الحبيدة محمد مرة بعد مرة فهو محمد ، وقد مدح  
 في (ن) بقوله : « وأنت لعل خلق عظيم » فطابق اسمه على مدحه .  
 وظاهر الاتفاق الذي هو النوع في البيت - الشرح ص ٤١٥ - .

(١٣٧) فيه جمع مع تفريق .

(١٣٨) فيه تشبيه « كالشمس » .

قالوا هو البيت قلت البيت آفة يَهَي وَيُثِي نداء لا يزال هي<sup>(١٢٦)</sup>  
يُثِي العناء أمانهم فليست تسمى في حيث غير مشروح ومقتضى<sup>(١٢٧)</sup>  
في النور لاح علاه لاظهار له نور القرآن قرأنا من لدن حكم<sup>(١٢٨)</sup>  
حاز الجبال فما في حسن متصفا بشرطه بعض ما في سيد الأسم<sup>(١٢٩)</sup>  
وكل معنى يديع دون رتبة من سما على الخلق عند الحق في القدم<sup>(١٣٠)</sup>  
هو الحبيب من الرحمن رحمته للعالمين بإيجاد من المبدء<sup>(١٣١)</sup>

(١٢٦) فيه تفريق ، وهو « أن يعدد الى شيئين من نوع فيقع بينهما تباين  
في مدح او ذم » - الشرح ص ٤١٩ - والتباين في البيت أن الرسول  
- صلى الله عليه وسلم - فيث والمطر فيث ولكن فيث تدعى الرسول  
دائم ، وفيث المطر ينزل ثلثة ولا ينزل أخرى ، فهو متقطع أبدا .

(١٢٧) فيه صحة الانقسام ، قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالقصود  
في هذا البيت بصحة هذا النوع ، فإن الممدوح هو الذي  
امتلا من العطاء فلم يسبق له حاجة والفنم هو الذي أعطى ولم يبلغ  
من امتلا فهو يفتنم منافع الجود حتى يساويه ولا ثالث لهديس القسمين  
في حضرة المعطي الأشرف الذي هو النبي - صلى الله عليه وسلم -  
قانه لا يكون فيها محروم ولا يالئ » - الشرح ص ٤٢٠ - .

(١٢٨) فيه اشتراك « القرآن - قرأنا » ، والاشتراك « أن يالئ الفاظم في  
بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو قرعيا فيسبق ذهن  
السامع الى المعنى الذي لم يردء التاليم فيالئ في آخر البيت معا يؤكد  
أن المقصود غير ما نوه عنه ( خزنة الأدب ص ٣٦٥ ) .

(١٢٩) فيه تلويح الى معنى الأثر المشهور من أن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
أوتي الحسن كله وأوتي يوسف - صلاة الله عليه شطره - الشرح  
ص ٤٢٢ - .

(١٣٠) لم تضع الشاعرة له عنوانا في شرحها لانه لا يدخل في باب مستقل  
من أسواق البديع عندها .

(١٣١) فيه المذهب الكلامي وهو أن يورد الشاعر مع الحكم ردا لشكر حجة  
صحيحة ، فالذي أوجد من المبدء قلدر على أن يمنح نبيه رحمة للعالمين .

غوث الوري كعبة الآمال ملتزمي في حبّ بالثاني صار من لزمي (١٤٥)  
 جرحت حبسي له من كل مفسدة ولم تزل بالصفا تسمى له قدسي (١٤٦)  
 بحر وفاء دعائي بالوفاء الى نيل الوفاء ورواني من النعم (١٤٧)  
 بلغت ما أروم منهم فلم أدر عن جلا غمي بالصزم والهم (١٤٨)  
 صحت عزيمة صدق قسي محبة وق مرادك وبلغ كل ما ترم (١٤٩)  
 وافرد بالملح واستثنى بمدحك من حازوا على النفل من فازوا بسبقهم (١٥٠)  
 الباذلو النفس بفل المال من يدهم والحافظو الجارحظ المهدو الذمم (١٥١)  
 لا يسلبون بفضل الله ما وهبوا وسلبوا (١٥٢) ضرر الاملاقي والعدم (١٥٣)

(١٤٥) فيه التزام ، وهو لزوم ما لا يلزم ( ملتزمي - لزمي ) .

(١٤٦) فيه توجيه وهو « ان يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره » . ( خزانة الادب ص ١٤٥ ) .

(١٤٧) فيه ترويد وهو « ان يطلق لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها وبلفظها بمعنى آخر » - الشرح ص ٢٧ - وينفصح ذلك في لفظة « الوفاء » في البيت .

(١٤٨) فيه تجرئة وقد جرات الشاعرة بيتها اجزاء عروضية وجعلتها .

(١٤٩) لم تنصح الشاعرة له عنوانا لانه لا يدخل في باب مستقل من ابواب الديدع عندها .

(١٥٠) فيه ايضاح ، قالت الشاعرة : « فاني لما قلت ( واستثنى بمدحك من حازوا على النفل ) لم يعلم من هم المقصودون بالمدح فلما قلت ( من فازوا بسبقهم ) زال اللبس وانصح انهم الصحابة - رضي الله عنهم وعنا بعنه وكرمه » - الشرح ص ٢٩ - .

(١٥١) فيه استنباح وهو « ان يذكر الناظم او الناثر معنى مدح او ذم او غرض من افراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الغرض » ( خزانة ص ٤١٧ ) . وقد قالت الشاعرة : ( الباذلو النفس ) ثم قالت ( والحافظو الجار ) .

(١٥٢) كذا في الاصل .

سود الوقائع حمر البيض في حَرَبٍ خضر المرائع بيض الضل والشيم<sup>(١٥٤)</sup>  
 كأنهم في عجاج التقع حين بدوا بدور تم بدت في حندس الظلم<sup>(١٥٥)</sup>  
 للجمع قتلوا وما قتلت عزائمهم وهي المواضي على استئصال كل عزم<sup>(١٥٦)</sup>  
 هم النجوم فما أسي مطالعهم في أفق ملته البيضاء بهدبهم<sup>(١٥٧)</sup>  
 لا يسرج النك منهم صفو مفتقد ولا ينسج النقي بالثم والشم<sup>(١٥٨)</sup>

(١٥٤) فيه سلب وإيجاب وهو « أن يبين المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى » أو « أن يقصد المادح أفراد ممدوحه بصفة لا يشرحه فيها غيره فينبغيها في أول كلامه عن جميع الناس ويشتمها لممدوحه بعد ذلك » ( خزائن ص ٢٦١ ) . وقد نشت الشاعرة يبتها على أنفي في أوله والآيات في تكملة .

(١٥٤) فيه تدبيح ، والتدبيح أن يذكر الناطم أو الشاعر الوانا يقصد الكتابة بها أو التورية بذكرها من وصف أو مدح أو ليرها . وقد كنت الشاعرة من الشدة بـ « سود الوقائع » وعن الحرب والشجاعة في القتال بـ « حمر البيض » وعن الرفاعية والكرم بـ « خضر المرائع » .

(١٥٥) فيه تشبيه شيء بشيئين ( كأنهم بدور تم في حندس الظلم ) .

(١٥٦) فيه تنكيك قالت الشاعرة : « خصصت الاستئصال بالذكر لفهمه وهو محقق دولة التفر وحسم مواد أصله . ولو قلت غير هذه اللفظة لشد مسددا ولكن في الاستئصال تكة ليست في غيره وهي ملاذته وكذا في قولي ( كل عم ) قلو قلت ( محت ) لشد ولكن كان يفوتني معنى الإملاق . هذا مع اشتغال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة اليدوية بين الماضي والحول وحسن الكتابة عن صحة العزائم التي غير ذلك من الأنواع » - الشرح ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٥٧) فيه مساواة بين اللفظ والمعنى .

(١٥٨) فيه نفي الشيء بإيجابه ، وهو « أن يشتم المتكلم شيئا في ظاهر كلامه ، وينفي ما هو من سببه مجازا والنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبت » ( خزائن الأدب ص ٢٢٢ ) .



بالسبب نازوا بتخصيص قديمهم فيه خليفته الصديق ذو القدر<sup>(١٦٤)</sup>

لا عيب فيهم سوى أن لا يضم لهم

وقد ولا يخلوا<sup>(١٦٥)</sup> بالرغم في العدم<sup>(١٦٦)</sup>

سادوا المعالي بغير الخلق في أزل حازوا الأمان بأولئ الناس للضم<sup>(١٦٧)</sup>

له الذي إن أخف ذنبي ولدت به أمنت خوفي وفجاسي من التهم<sup>(١٦٨)</sup>

ولا طمحت الس شيء من الكرم إلا وبكتني فوق الذي أؤم<sup>(١٦٩)</sup>

ما عبت الرج إلا شئت برق وفا لي فيه ويل عطا من دبة التهم<sup>(١٧٠)</sup>

(١٥٩) فيه جميع المؤلف والمختلف ، وهو : أن يريد الشاعر النسوية بين مدحجين فيأتي بمعنى مؤلفة في مدحها ويريد بعد ذلك ترجيح أحدها على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعنى تظالم معنى النسوية \* - الشرح ص ٤٤١ - وقد رجحت الشاعرة أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - لأنه كان أول السابقين إلى الإسلام .

(١٦٠) كذا في الأصل .

(١٦١) فيه مدح في معرض اللوم .

(١٦٢) لم تضع الشاعرة له عنواناً لأنه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع صدها .

(١٦٣) فيه ازدواج ، وقد راجعت الشاعرة في البيت بين معنيين في الشرط والجواب ( أن أخف ) - أمنت خوفاً .

(١٦٤) فيه تصريح ، وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر في جزء في معجزه في الوزن والروي والأعراب ( من الكرم ) - ( الذي أؤم ) .

(١٦٥) فيه فرائد ، والفرائد أن يأتي التظالم أو التناظم أو التناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء فتتوزل من الكلام منزلة الفرائد من القعد وتدل على فصاحة المتكلم بحيث لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها \* ( خزائنة ص ٣٧٢ ) . والفريدة في بيت الشاعرة ( شئت ) - الشرح ص ٥٤١ - .

يا أكرم الرسل سؤلي فيك غير خذر - وأنت أكرم مدعو - إلى الكرم<sup>(١٦٦)</sup>  
 حسي بعبك أن المرء يحشر مع - أحبابه فهائسي غير منحسم<sup>(١٦٧)</sup>  
 مدحت مجدنت والاخلص ملتزمي - فيه وحسن امتداحي فيك مختسي<sup>(١٦٨)</sup>

#### الواصفة :

هذه قصيدة عائشة الباعونية وهي تجري فيها مجرى شعراء البديعيات  
 الذين اتخذوا من مدائحهم للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وسيلة لأظهار  
 فنون البلاغة . وقد كانت عائشة أقرب إلى ابن حجة الحموي وإن لم تسم  
 الفن البديعي أو توري عنه كما فعل ولكنها اعتدلت عليه في الشرح كثيراً

(١٦٦) فيه براعة الطلوب وهو « أن يلوح الطالب بالطلب بالفاظ عذبة متعنة  
 مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الإلتفاف والتصريح بل يشعر بما هي  
 النفس دون كشفه - الشرح ص ٥٤ - وقد ذكرت الشاعرة أن سؤلها  
 في النبي العظيم - صلى الله عليه وسلم - غير خف وإن طلبها التي  
 أشارت إليه جاء تلويحاً بالفاظ عذبة مقترنة بتعظيم الرسول الكريم ، ثم  
 ختمت بيتها بعد طلبها بالقول أنه أكرم مدعو إلى الكرم -

(١٦٧) فيه عقد وهو نظم المتنور ، ومن شرائط العقد أن يؤخذ المتنور بجملة  
 لفظة أو بمعطلة فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ، ومتى  
 أخذ معنى المتنور دون لفظة كان ذلك نوعاً من أنواع السرفات ولا يسمى  
 عقدًا إلا إذا أخذ النظم المتنور بزمته وإن غير منه شيئاً بطريق من الطرق  
 على أن يعرف أصل الكلام المأخوذ - ( خزانة ص ٥٩ ) ، الشرح ص ٥٥  
 قالت الشاعرة : « ويبنى عقده ظاهر ، والقصود فيه من العقد قول النبي  
 - صلى الله عليه وسلم - : « يحشر المرء مع من أحب » وفسى  
 رواية : « المرء مع من أحب » - الشرح ص ٦١ -

(١٦٨) فيه حسن الختام وهو « أن يكون آخر الكلام الذي ينتق عليه المترسل  
 بالخطيب أو الشاعر مستعملًا لتسلي لادته في الأصماع » وقالت الشاعرة :  
 « وبالجمل فمحاسن هذا النوع لا تدخل تحت دائرة الحمص ، وفي هذا  
 التلويح كفاية في الدلالة على صحة النوع في بيتي المتقدم ، وبالله التوفيق  
 والحمد لله رب العالمين » - الشرح ص ٦٢ ، ٦٧ -

وقلت عنه ترفقاته للفنون البلاغية ، كما استفادت من كتاب «حسن التوسل»  
 للشهاب الحلبي، وكتب ابن أبي الأصمعي كتحريم التحيين، وبديع القرآن .  
 وكانت ترجع الى كلام عبدالله بن المتز صاحب كتاب « البديع » وقدمته بن  
 جعفر مؤلف كتاب « نقد الشعر » والقزويني صاحب « التلخيص »  
 « والإيضاح » . وكان اعتمادها على شعراء البديعيات أوضح لاتصال اتجاهها  
 بهم ولارتباط قلها بالفن الذي مرقوه .

لقد كانت بديعية الباعولية من الخصائص التي أثرت في البلاغة ؛ لان  
 الشاعرة لم تشر الى الفن البلاغي وبذلك احتاجت الى ايضاح وشرح ، ولولا  
 ذلك لبقيت القصيدة تلي أو تحفظ من غير فهم دقيق لها . وقد فعل مثل ذلك  
 الشعراء الذين كتبوا عن الغرض ووروا أو لم يفعلوا ، ومن هؤلاء ابن حجة  
 الحسوي الذي اتخذته الشاعرة إماماً لها في فن البديع فقد التزم بتسمية الفن  
 البديعي ولم يلتزم به الشاعرة ، قال في براعة الاستهلال :

لي في ابتداء مدحك يا عربذي سلم براعة تستهل الدعج في العلم

فقوله : « براعة تستهل » اشارة الى الفن البديعي ، أما عائشة فقد قالت :

في حسن مطلع أفشاري بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وفي قولها « حسن مطلع » اشارة خفية الى براعة الاستهلال أو حسن المطلع ،  
 ولكنها حينما جاءت الى الجناس المذيل وانتهت لم تشر الى التسمية وإنما قالت :

أقول والدمع جار جوارح مثلي والجوار جوار بعذل فيه منهم

وليس في هذا البيت تورية عن الجناس أو أنواعه ، غير ان العارف يعلم أنها  
 ذكرت الجناس المذيل في ( جار - جارج ) والتمام في ( الجار - جوار ) وكان  
 ابن حجة قد قال عن المذيل :

وذيل الهم هبل الدعج لي فيجسرى كلاحق الفيت حيث الأرض في سزم

فقرله : « وذيل » إشارة الى الجنس المذيل و « الهـم ـ هـل » شاهدته وقال  
عن الجنس التام :

ياسعد ما نسـم لي سعد يطرفني      بفرهم وقليل الحظ لم يسـم

فقرله : « تم » إشارة الى الجنس التام و « سعد ـ سعد » شاهدته .

وسبيل ابن حجة الصوي أقرب الى المدارك لانه أشار الى الفن البديعي ،  
أما عائلة الباعوية فقد جرّدت بديعتها من التسمية وبذلك كانت بعيدة المال  
لا تترك إلا بعد التأمل والتفكير . وكان صفي الدين الحلي قد فعل ذلك والتزم  
عز الدين الموصلـي بالتسمية فجاءت بديعته ثـقيلة على خلاف بديعة الحلي .  
وقد أشار الصوي الى ذلك بقوله وهو يذكر الموصلـي : « التزم فيما بنسبة  
النوع البديعي وورسـى بما من جنس الغزل ليشيـز بذلك على الشيخ صفي الدين  
الحلي ـ نعمسده الله برحمته ـ لانه ما التزم في بديعته بحسـل هذا العبـ  
الثـقيل » (١٦٨) . وتحررت الباعوية من هذا العبـ الثقيل غير انها لم تصل  
الى ما وصل اليه الحلي في بديعته لانه كان شاعراً كبيراً له القدرة على التعبير  
والإدراك ، وكانت تنظم الشعر بدائع نبيل وحب لرسول الله عظيم ، وشتان بين  
ناظم وشاعر . ولذلك جاءت بديعتها تشكو الكثير ومن ذلك إصـام الانواع  
البديعية فشرحتها شرحاً موجزاً يقع النـادي في الأدب ولكنه لا يحلق  
طـوح الأدب .

ومما يـن من أمر فان لعائلة الباعوية اثرأ في البلاغة في القرن التاسع  
للـجرة وما بعده لانها كانت حلقة من حلقات علم البديع ، وهي حلقات لم  
تتقطع إلا في القرن الرابع عشر للـجرة وكانت معلماً من معالم الدرس البلاغي  
في عصرها . ولو تصبأت لها الأسباب لأيدعت وأجادت ، ويكني انها كانت  
صوتاً للمرأة المسلمة المؤمنة ، وضرباً للأمة التي أنجبت الشهيرات في العلم  
والثقافة والتصوف والأدب ، وليس ذلك بتقليل في عصر قيل عنه إنه مظلم ،  
وزمان كسدت فيه سوق العلم والأدب .

تلك أهم ملامح تأثير المدائح النبوية في البلاغة العربية ، وقد تمثل ذلك التأثير في البديعيات وهي كثيرة تدل على اهتمام عظيم بفتون البديع في العمود المتأخرة . وإذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد أنشراح بدعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصويرها بفسير حقيقتهما فإن الجهد المبذول فيها كبير يدل على ما كان ينتعج به أولئك الشعراء من صبر على النظم ، وإتلاخ على اللغة وذكاء في معالجة الفنن والتورية عنها وهي تمثل اتجاهها جديداً في تاريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على الدرس البلاغي بعد القرن السابع للهجرة وتصوّر حياة الأدب في ذلك العهد الذي جنح فيه الشعراء الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقاً لذلك الأكلب وما حفل به من فتون بدعية لجّ بها الشعراء المولودون وأحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحاً لمن أراد التوسع فيها ، وكان البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتمثل البديعيات — أيضاً — العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من البلاغيين الذين سبّوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات النظمية والمعنوية يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه أصحاب البديعيات كان ينعى بنظم علوم اللغة تقريباً لها وضبطاً لقواعدها وقد رأى البديعيسون أن البلاغة ينبغي أن تقيد ليسهل حفظها ورغم شعبيتها وقاموا بذلك خير قيام مع ما في النظم من تكلف وإسفاف في بعض الأحيان .

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد أصحابها وتباين ثقافتهم ومواهبهم ، ولعل بدعية صاني الدين الحلي أجودها شعراً وأصدقها عاطفة لانه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلي والحوي . والبديعيات بعد ذلك ثلاثة ألوان :

- الأول : ليس فيه تسمية للنوع البديعي وبشله الحلي والباعونية .
- الثاني : فيه تسمية النوع وبشله الموصلي والحوي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الأسلوب يشلان البلاغة يتنوعا الثلاثة ،  
 لأن اليدبع عند أصحابها لا يخصص فيها عرغ أصحاب الشروح والتلخيصات  
 وإنما يشل المعاني والبيان واليدبع .  
 الثالث : حصر اليدبع في المحسنات العقلية والمنوعة ويشله ابن جابر الأندلسي  
 الذي اتخذ من مذهب السكاكي والتزويني سبيلا .

وقد ظهر أثر اليديديات في البلاغة واضحا في :

١ - أنها سلكت فنون البلاغة في آيات يسئل حفظها وانتشارها ، لأن  
 الشعر أيسر في الحفظ وأكثر دورا ، ولا سيما إذا كان في مدح النبي العظيم  
 محمد - صلى الله عليه وسلم - . وقد كان العصر الذي ظهر فيه أصحاب  
 اليديديات عصر زهد وتصوف وتوجه إلى الله لينفذهم ما هم فيه من  
 ظلم واستبداد .

٢ - أنها لم تفرق بين علوم البلاغة وإنما سلكتها في علم واحد هو  
 اليدبع بمعناه الواسع ، أي أنها دعوة للعودة إلى ما كانت عليه البلاغة في عهد  
 كبار البلاغيين كالجاحظ وابن المعتز وفدامة وعبد القاهر وابن رشيق وابن سنان  
 وابن الأثير وغيرهم من جعل البلاغة علما واحدا يعتبر بها عن « فصل بعض  
 القائلين على بعض من حيث غلطوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض  
 والمقاصد ، وراسوا أن يعلموهم ما في شوقهم ويكتشفوا لهم عن ضماير  
 قلوبهم » (١٧٠) .

٣ - أنها دفعت المؤلفين أو الشعراء أنفسهم إلى شرح اليديديات كما فعل  
 ابن حجة الحسوي وعائشة الباعونية وابن معصوم المدني وغيرهم . وقد كانت  
 شروحهم من أهم كتب البلاغة العربية في ذلك العهد لأنها جمعت كل ما عرفته  
 البلاغة من فنون قبل القرن السابع للهجرة ، وذكرت كثيرا من آراء المتقدمين  
 وتعليقاتهم ، ولأنها أعطت صورة دقيقة للحياة الأدبية في ذلك العهد وحددت  
 النطق الفني الذي كان الأدباء يلتزمون به .

٤ - أنها دفعت الشراح الى التجديد في الشواهد البلاغية والاستماع  
 بشعر المعاصرين لهم ، وتكاد « خزانة الأدب » للحموي تمثل عصره أدق  
 تمثيل ؛ لأن المؤلف ذكر كثيراً من شعر معاصره وبذلك حفظ لنا ثروة أدبية  
 ترسم ملامح ذلك العصر . ولم يكن شراح التلخيص كذلك ؛ لأنهم لم يخرجوا  
 كثيراً على شواهد التلخيص للقرويني وشواهد البلاغة القديمة ، وبذلك كان  
 أصحاب الديدميات وشراحها أكثر تشيلاً لعصرهم من شراح التلخيص ، ولعل  
 فيما قدموه قسماً ، ولعل فيما قدمه هذا البحث فائدة لمن تعنيه الثقافة العربية  
 الإسلامية وهو يستقبل القرن الخامس عشر للهجرة بروح مؤمنة وعزيمته ثابتة  
 وخطوات مطمئة ليبنى مستقبله زاهراً تسود فيه كلمة الله وتعلو فوق كل  
 صوت ترده جنات عالم يشهد الهياراً إن لم تذكره رحمة الله .

#### المصادر :

- ١ - الأعلام - خير الدين الزركلي . الطبعة الثانية - القاهرة .
- ٢ - أعلام النساء - عمر رضا كحالة . الطبعة الثانية - دمشق ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٣ - الوار الربيع في السواع البديع - ابن معصوم علي صدر الدين المدني .  
 تحقيق شاكِر هادي شكر - النجف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٤ - الإيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٥ - ديدميات الأثاري - زين الدين شعبان بن محمد القرشي الأثاري - تحقيق  
 هلال ناجي . بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- ٦ - بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق  
 محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٧ - البلاغة تطور وتاريخ - الدكتور شوقي ضيف . القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٨ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام  
 هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ٩ - التلخيص - الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمن البرقوقي . الطبعة  
 الثانية - القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ١٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب - ابن حجة الحموي . القاهرة ١٣٠٤ هـ .

- ١١ - دائرة المعارف الإسلامية ( الطبعة العربية ) مادة ( بديع ) .
- ١٢ - دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا .  
القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ١٣ - ديوان صفى الدين الحلبي . دار صادر - بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- ١٤ - السيرة النبوية - أبو محمد عبدالمالك بن هشام . تحقيق مصطفى السقا  
وجماعته . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- ١٥ - شذرات الذهب - ابن العماد الحنبلي . القاهرة .
- ١٦ - شرح بدعية الباعونية - عائشة الباعونية . ( مطبوعة على حاشية خزانة  
الأدب لابن حجة الحموي ) - القاهرة ١٣٠٤ هـ .
- ١٧ - شروح التلخيص . القاهرة ١٩٢٧ م .
- ١٨ - شعر صفى الدين الحلبي - الدكتور جواد أحمد علوش . بغداد ١٣٧٩ هـ -  
١٩٥٩ م .
- ١٩ - الصبغ البديع في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .  
القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٢٠ - طراز الحلة وشفاء النلة - أبو جعفر الرعيني . مخطوطة مكتبة الأوقاف  
العامة ببغداد رقم ( ١٢١٤٢ ) .
- ٢١ - فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٢٢ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر بن أحمد الكتيبي . تحقيق محمد محيي  
الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥١ م .
- ٢٣ - القزويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب - بغداد ١٣٨٧ هـ -  
١٩٦٧ م .
- ٢٤ - كتاب الصناعيين - أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٢٥ - المدائح النبوية في الأدب العربي - الدكتور زكي مبارك . القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٢٦ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٢٧ - معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة . دمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٢٨ - مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٢٩ - نغمات الأرهام - عبد الفتي التاليسي . دمشق ١٣٩٩ هـ .





( ١٠ )

## انثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية

المنهجية :

كان الدكتور طه حسين من أوائل الباحثين العرب الذين تحدثوا عن الأنثر اليوناني في البلاغة العربية<sup>(١)</sup> ، وقد قرر أن البيان العربي في أول نشأته وفي عهد الجاهل تنبئ فيه ثلاثة عناصر هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي الذي يسيل إلى البراعة والطرف في القول والهيئة ، والعنصر اليوناني الذي يتصل بالمعاني من حيث دقتها والعلاقة بينها وبين الانكشاف<sup>(٢)</sup> ثم انتهى إلى أن البيان العربي « كان في جميع أطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولاً وبالبيان اليوناني أخيراً ، واذن لا يكون الرسلو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ، ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان »<sup>(٣)</sup> . وقد بنى رأيه على كثير من الظن ، من ذلك تصوره لكتاب البديع لابن المعتز وصلته بأرسطو قال : « لم أطلع على كتاب البديع هذا ، ولكن الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تمسكتنا من تمسوره ، فهو عبارة عن تعداد لأنواع

(١) نشر في مجلة دراسات للجيل ( العدد الثالث - كانون الأول ١٩٨٢ م ) .

(٢) قدم الدكتور طه حسين بحثه « البيان العربي من الجاهل إلى عبدالقاهر » إلى مؤتمر المشرقيين باللغة الفرنسية في الحادي عشر من أيلول سنة ١٩٧٣ م ونشر مترجماً بقلم عبدالحميد الميسادي في مقدمة « نقد النثر » المنسوب إلى قدامة بن جعفر .

(٣) مقدمة نقد النثر ص ٧ . (٣) مقدمة نقد النثر ص ٣١ .

البديع مع الاستشهاد لكل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين  
 لابن المعتز ، ومع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض . وهم يقولون ان  
 ابن المعتز أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع من يدرسها في  
 كتاب معاصره قدامة بن جعفر وفي كتب الذين جاءوا بعده يلحظ فيها لامحالة  
 أثر بيتا للفصل الثالث من كتاب « الخطابة » وبعبارة أدق للقسم الأول من  
 الفصل الثالث وهو الذي يبحث في العبارة <sup>(٤)</sup> . وكان بعض كلامه صحيحا ؛  
 لأنه أخذ من تحدثوا عن كتاب البديع ، لكن تصوره لعلاقة الكتاب  
 بخطابة أرسطو ضربة من الظن يخالف حقيقة كتاب البديع . فالبيان العربي  
 ليس يونانيا ولا فارسية ، وإنما هو فن أصيل عرف منذ الجاهلية وتسامح في  
 كلام العرب وكتاب الله وحديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولكن  
 الباحثين العرب تلقفوا كلام الدكتور طه حسين وأداروه في كتبهم وكأنه  
 نصر مبين ، ونرى عليه الدكتور إبراهيم سلامة كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب  
 واليونان » وتبعه آخرون وعرضوا مثل ما عرض له الدكتور طه فكان منهم  
 الموجز وكان منهم المطلق .

ولم يبق الدكتور طه حسين عند ارتباط البيان العربي بالبيان اليوناني  
 وإنما دفع طلابه الى أن يتلصوا ذلك الارتباط بالفرس ليجهز على ما بقي من  
 أصالة للعرب في هذا الميدان . قال الدكتور زكي مبارك : « يرى المسيو مرسيه  
 أن الزخرف الفني وصل الى العرب من الفرس ، وكان الدكتور طه حسين  
 يشابهه في ذلك ثم تغير فجاءه فزعم أنه وصل الى العرب من اليونان . وكانت  
 حجة وحجة المسيو مرسية أن المولمين بالزخرف من كتاب اللغة العربية أكثرهم  
 من الفرس المستعربين ، وهذه مدرسة قديمة يرجع عهدها الى رينان وهي ترمي  
 الى الحكم بأن المدنية العربية غريبة عن العرب ، وأن العرب مدينسون في

(٤) مقدمة نقد النشر ص ١٢ .

علومهم وفلسفتهم وفنونهم وآدابهم إلى الفرس واليونان . والدكتور طه حسين متأثر بهذه المدرسة إلى حد بعيد ، فهو يقول بأن البلاغة العربية أخذت حركياً عن البلاغة اليونانية حتى في التشواهد والصور والتعابير . وأذكر أنه أوصاني بالرجوع إلى تاريخ آداب الفارسية لأعريف بالفلبط من هم الكتاب الفرس الذين أوحوا إلى كتاب العرب فنون البديع كالسجع والتورية والطباق والجناس<sup>(٤٦)</sup> . لقد أغرى الدكتور طه تلميذه الدكتور زكي مبارك بأكمال البحث ورد ما بقى في البلاغة العربية من فنون إلى الفرس وسلب العرب أصالتهم ، ولكن التلميذ لم يطلع لانه لا يؤمن بما قاله استاذة أو المستشرقون وقرر « أن الزخرف عنصر أصيل في اللغة العربية »<sup>(٤٧)</sup> . وإن القرآن الكريم خير شاهد على ذلك .

والغريب أن القائلين بالأثر الفارسي لم يدرسوا المسألة دراسة علمية وإنما اكتفوا بما رآه المستشرقون ولذلك لم يستطيعوا أن يضعوا أيديهم على لون من ذلك الأثر الزخرفي . فالفارسية التي عرفها العرب هي « الدرة » التي نشأت بعد الإسلام ، وقد ذكرها الجاحظ في القرن الثالث للهجرة<sup>(٤٨)</sup> . وأشار إلى ما علق قديماً بالفاط أهل المدينة من ألسان الفرس<sup>(٤٩)</sup> ، ولكن ذلك لا يؤثر في أصالة العرب ؛ لأن طوق الفاط بالفاط قوم لا يعني أنهم وقعوا في التأثير ، ولأن اللغة ليست ألقافاً وإنما هي صياغة وتركيب .

واللغة الدرية هي التي دون الفرس بها آدابهم بعد الإسلام ، وهذه حقيقة لا تنكر ، وقد قررها المستشرق براون منذ مطلع هذا القرن فقال إن تلك اللغة « نشأت مع الفتح العربي واعتان الفرس للإسلام في القرن السابع الميلادي واستمرت مستصلة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه »<sup>(٥٠)</sup> . وقول :

(٥٥) النشر الفني ج ١ ص ٤٤ . (٥٦) النشر الفني ج ١ ص ٤٥ .

(٥٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٣١ .

(٥٨) البيان ج ١ ص ١٩ .

(٥٩) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ص ٩ .

« إن اللغة التي سبقت الفارسية هي البهلوية ، وهذه اللغة الأخيرة هي اللغة الرسمية التي سادت في البلاد الفارسية أيام الساسانيين ( ٢٢٦ - ٦٥١ م ) وهي التي استمرت لغة الدين بين الموايذة الزرادشتية طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك . وقد قدّر الدكتور وست أن الأدب البهلوية الموجودة في أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة وأنها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو فقهية ، يضاف إليها بعض النقوش البهلوية المكتوبة على الصخور أو النقود أو المجوهرات التي يرجع تأريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي . وإن اللغة البهلوية ما هي إلا تطور متأخر للغة الفارسية القديمة التي لا نعرف من أمرها إلا بقدر ما بقي مسجلاً منها في هذه النقوش المنحوتة في الصخر في پرسبوليس وبهستون ، ومواقع أخرى أمر بكتابتها دارا الأكبر ومن بعده من ملوك الدولة الأكمنية . وإن اللغة التي نعرف باسم لغة الأوستا أو خطا باسم الزند ، هي اللغة التي كتبت فيها تعاليم زرادشت ، هي لغة شقيقة للغة الفارسية القديمة وكذلك للغة السنسكريتية ، وأنها بنسب على ذلك لاتصل بالفارسية الحديثة وإن كانت لازال تستل في بعض اللهجات المحلية في فارس وكذلك في اللغة الأفغانية المعروفة باسم « البشتو »<sup>(١٢)</sup> .

وتابع الباحثون المستشرق براون فقال الأستاذ أحمد أمين : « كانت لغة الفرس في عهد الدولة الساسانية هي اللغة البهلوية »<sup>(١٣)</sup> . ولكن بعد دخول الإسلام واللغة العربية في إيران تعرضت « الديانة الفارسية واللغة البهلوية للاضمحلال ثم النفاء »<sup>(١٤)</sup> . وإن أكثر الكتب البهلوية التي نقل عنها العرب ضاعت ولم يبق منها إلا القليل كالتشاهامة البهلوية وأعمال أردشير بن بابك<sup>(١٥)</sup> . وقال الدكتور محمد غنيمي هلال إن الفارسية الدرية هي لغة الأدب

(١٠) تاريخ الأدب في إيران ص ١١ .

(١١) فجر الإسلام ص ١٤ .

(١٢) فجر الإسلام ص ١٤ .

(١٣) قصة الأدب في العالم ج ١ ص ٧٨ .

الفارسي بعد الفتح الإسلامي لإيران<sup>(١٤)</sup>. وقال الدكتور أحمد ناجي القيسي : « فشأت لغتهم التي يتكلمون بها اليوم والتي تسمى بالسندية من التفاعل بين لغتنا ولغتهم التي كانت عندهم إبان الفتح الإسلامي العربي العظيم »<sup>(١٥)</sup>. وقال الدكتور حسين علي محفوظ : « مرت الفارسية بمرحل أربع<sup>(١٦)</sup> هي : الفارسية القديمة بالخط المسماري ، والفارسية الآفستائية ، والفارسية الوسطى - البهلوية - ثم الفارسية الفرية بالخط العربي . والفرية هي واحدة من نتائج اختلاط البهلوية بالعربية وثمرتها تأثرها بها في دخول العرب وانتشار الإسلام »<sup>(١٧)</sup> ، ولذلك لم يظهر المعجم الفارسي إلا في أواسط القرن الخامس للهجرة فقد تأثر أبو منصور علي بن أحمد الأسدي الطوسي بالغيليل بن أحمد ووضع المعجم الأول في الفارسية وسماه « لغت الفرس » وهو معجم يشتمل على ( ١٢٧٥ ) كلمة فقط<sup>(١٨)</sup>. ومعنى ذلك أن الأدب الفارسي نشأ بعد الإسلام لأن الفرس قد « تعمدوا إلا يعلّموا أبناءهم أي فن من الفنون عدا فن الجاه ، فأما الأدب فقد كان في رأيهم ترفاً فلا أن يحتاجوا إليه ..... وكان الشعر عندهم يقتنى أكثر مما يقرأ فلما مات المغنون مات الشعر معهم »<sup>(١٩)</sup> ، ولذلك « لم يصل اليناشي » من شعر الدولة السامانية<sup>(٢٠)</sup>. ولا « نعرف شيئاً من أفكار الفرس القدماء في الشعر ، وليس بين أيدينا أثارة من الشعر في اللغة البهلوية أو اللغة الفارسية القديمة أو لغة الأفستا<sup>(٢١)</sup> ، ولا يعرف من

(١٤) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ص ١٧٣ ، الأدب القارن ص ١١٨ .

(١٥) مواقف المعجم من لغة العرب ص ٢ - ٤ .

(١٦) نقل ابن النديم ( - ٢٨٠ هـ ) عن ابن القفج أن اللغات الفارسية هي : البهلوية والفرية والفارسية والخورية والسرالية وذكر أن الفارسية هي التي يتكلم بها الجابلة والعلماء وأشباههم . ( الفهرست ص ١٥ ) .

(١٧) مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ٦ - ٧ .

(١٨) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(١٩) قصة الحضارة ج ٢ مجلد ١ ص ٤٤٥ .

(٢٠) فجر الإسلام ص ١٤١ . (٢١) قصة الأدب ج ١ ص ٤٧ .

« الأدب الإيراني القديم » إلا عبارات متفرقة في عهد الملوك الأخمينيين ، ولم يصل إلينا من النصوص المكتوبة باللغة الزندية القريبة من الإيرانية القديمة إلا آثار قليلة الأختصاص<sup>(٢٢)</sup> . قال الدكتور حسين علي محفوظ : « وإذا ولدت اللغة الفارسية الحديثة في القرن الأول الهجري فقد ظهر باكورة الشعر الفارسي في المائة الثانية ، وظل الأدب الفارسي تبعاً للأدب العربي يشي خلفه وينحى نحوه وبذلك مسالكه وتابعه وقلده ويتقدي به ، وكلما بنت ظاهرة في الأدب العربي لاحت إمارتها في الأدب الفارسي بعد قرن<sup>(٢٣)</sup> . أي إن ما قبل من آثار الكتاب والشعراء العرب بالفارس ليس صحيحاً ، فقد جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب ( ١٣٣ هـ ) إلى الكتاب : « فتناقصوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدلوا بعلم كتاب الله عز وجل - والفرائض ثم العربية فإنها ثقافة ألفتكم ، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار وعرّفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والمجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تنسوا إليه هممكم<sup>(٢٤)</sup> . وكلام عبد الحميد واضح قليص فيه دعوة إلى النظر في آداب الفرس ولغتهم وأنما هو حث على الأخذ بالثقافة العربية والتمسك بكتاب العربية الأكبر ، وليس في قوله « أيام العرب والمجم » ما يقتصر على أيام الفرس بل أيام غير العرب وهي كثيرة ولا تدخل معرفة الأيام في أسلوب التعبير والصيغة والصنعة ، وهو ما ملته بعض الباحثين اثرأ من آثار الفرس ».

ومن أقدم ما ذكر من الشعر الفارسي قصيدة العباس التي أنشأها ليستقبل بها المأمون عند قدومه إلى مرو في سنة ١٩٣ هـ ( ٨٠٩ م ) ولكن كازموسكي يرى أنها زائفة منتحلة ، وقد أيدته المستشرق براون وقال : « ولعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي الأبيات التي حدثنا بها

(٢٢) المجم الأدبي ص ٥١٧ .

(٢٣) مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية ص ٧ .

(٢٤) صبح الأمشج ج ١ ص ٨٥ ، رسائل البغداد ص ٢٢٥ .

نظامي عروضي سرقندي في كتابه « چهار مقالة » - المقالات الأربع - فقال إنها أوجت الى احمد الخجستاني أن يثور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢ هـ ( ٨٧٥ - ٨٨٦ م )<sup>(٢٥)</sup> . وقال : « إن القصيدة والنقطة هما من ضروب النظم استعارها الفرس من العرب وقد وضعوها على نسق المثلثات الجاهلية من حيث الصياغة والأسلوب وإن كان قد أصابها شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضا بالنسب »<sup>(٢٦)</sup> . وقدر أن الفرس تلاميذ العرب المخلصون في الشعر والنثر ، وقد ذكر صاحب « چهار مقالة » أن « كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً في صناعته حتى يأخذ بعرف من كل علم وحتى يتلقى النكات الرقيقة من أفواه الأساتذة المبرزين ، وحتى يستمع الى لطائف الحكماء الماهرين وحتى يقتبس طرائف الأدباء القادرين » . ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز في الكتابة أن يقرأ في العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات صاحب اسماعيل بن عباد والصابي وقدامة بن جعفر وبدیع الزمان الهمداني والحريري وجباعة آخرين من الكتاب وكذلك أشعار التنيني والأبيوردي والغزي »<sup>(٢٧)</sup> . وهذا ما التزم به الكتاب العرب قبل ذلك ، فالأدب الفارسي - إذن - هو للأدب الذي نشأ في القرن الثالث للهجرة واستمر الى العصر الحديث<sup>(٢٨)</sup> .

هذه حقيقة اللغة الفارسية وأدبها ولكن الباحثين - مع ذلك - يؤمنون بأنها في اللغة العربية وعلومها من غير أن يضعوا أيديهم على الحقائق ، وهم يكتفون بذكر بعض الأمثال والحكم وهي ما لا تنفرد به أمة دون أمة ، ويرددون ما ذكره الجاحظ من أن للفرس رسائل وخلبا

(٢٥) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٢ ، وينظر قصة الأدب ج ١ ص ٤٤٩ .

(٢٦) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٧) تاريخ الأدب في إيران ص ١٠٢ .

(٢٨) قصة الأدب ج ١ ص ٢٨ ، ٤٤٨ ، الفصحة في الأدب الفارسي ص ٤٢ ، ٧٨ ،

المعجم الأدبي ص ٥١٧ .

وشعر<sup>(٢٩)</sup>، وانه قال : « قالوا : ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب وينهر في اللغة فليقرأ كازوند » . ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبير والمتنولات<sup>(٣٠)</sup> والافتاظ الكرمة والعائسي الشريعة فلينظر في سير الملوك فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وأتباعها ومعانيها ، وهذه يوزان ورسائلها وخطبها وعلمها وحكمها<sup>(٣١)</sup> . وليس غريبا<sup>(٣٢)</sup> أن يكون للفرس واليونان شعر وخطب ورسائل وحكم وإن يذكر الجاحظ ذلك وهو الذي قال : « وأما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والهند والروم والياقوت همج وأشياء الهمج<sup>(٣٣)</sup> » . ولكن الاعتراف بأدب هذه الأمم شيء . والتأثر به شيء آخر ، والجاحظ الذي نقل ذلك عن أنصار الشعوبية عاد فقال : « ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة ، إذ كان مثل ابن المقفع وسجل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السِّير<sup>(٣٤)</sup> » . وجاء مثل ذلك في شرح التبريزي لبيت أبي تمام :

بـل كان كالضحاك في سطواته      بالعالمين وأنت أقرصون

« هذا شيء أخذه المألي من سير الفرس ، وهي كثيرة الكذب وكذلك جميع الأخبار المنقولة يعترض عليها المين كثيرا<sup>(٣٥)</sup> » . وفي ذلك ما يوحى بأن

(٢٩) البيان ج ١ ص ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٣٠) القلة : بفتح الميم وضم اللام - العقوبة والتنكيل .

(٣١) البيان ج ٢ ص ١٤ .

(٣٢) جاء في فهرست ابن النديم ص ١٥ : « قسرات بخط أبي عبيد الله محمد بن عبدوس الجبشباري في كتاب الوزراء تأليفه قال : « كانت الكتب والرسائل قبل ملك كستاسب بن أبراسب قليلة ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام وإخراج المعاني بفصيح الالفاظ من النفوس » .

(٣٣) البيان ج ١ ص ١٢٧ ، ٢٨٤ . (٣٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩ .

(٣٥) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج ٢ ص ٢٢١ ، وينظر الأدب والسياسة للدكتور العبود ص ٢٥٩ .



الفرس لتفكر كثيراً من الأخبار ووضعوا الكتب والرسائل ليثبتوا أن لهم تراثاً ، وأن لهم حضارة أثرت في العرب ووجّهت حياتهم . وقد الساق بعضهم وراء ذلك ، وقرّر أن العرب وروثة تلك الحضارة على الرغم من شك القدماء في كتب الفرس ورسائلهم . وكان الجاحظ صادق الحس "خيبراً بساً كان يصنعه الشعوبيون ، وكان غيره يشعر بأن التفتيق يلف تلك الأخبار ويعرضها زاهيه مع أن الذين يترش عليها كثيراً .

ومما يمكن من أمر فليس هنا مجال إبتكار ما للام من لغة وأدب وحضارة ولكن الذي يتكره الباحث المدقق هو ما يذهب اليه بعضهم من أن الزخرف الفني وصل إلى العرب من الفرس<sup>(٢٦)</sup> . وذلك بسبب طبيعة الفرس الذين يتكلمون بالزخرفة كثفاً شديداً في حياتهم وعاداتهم<sup>(٢٧)</sup> . ولا يختص الفرس وحدهم بهذه الزخرفة فالتراث العربي قبل الاسلام وبعدة حافل بالوان الصنعة واليديع ، وليس غريباً أن يزداد ذلك الكلف في القرون المتأخرة وأن يكون سمة من سمات الأدب العربي . يضاف الى ذلك ان التناسق والتقابل والتجاسس لا يخص "أمة دون أمة" ، وقد كان ذلك من أبرز ملامح الأدب العربي القديم ، وإن المبالغة لو من ألوان التميز عند العرب قبل الاسلام وليست فناً فارسياً نشأ بسبب اسراف الفرس وغلوهم في سلوكهم . وقد كان للعرب موقف من المبالغة وحينما بحثها النقاد أشعاروا الى موقف اليونان ولم يشيروا الى موقف الفرس ، قال قدامة بن جعفر : « إن الملو عندني أجود للذهبي ، وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً . وقد بلغني عن بعضهم انه قال : « أحسن الشعر أكذبه » ، وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم<sup>(٢٨)</sup> . ولو كانت المبالغة خاصة بالفرس أو أنها سمة من سمات أدبيهم

(٢٦) انظر الآراء في النشر الفني ج ١ ص ٤٤ .

(٢٧) ينظر الأدب في ظل بني بويه ص ٢٢٨ وما بعدها .

(٢٨) لقد الشعر ص ٦٥ .

لأشار إليها النقاد العرب كما أشاروا إلى اليونان الذين تفصل بينهم وبين العرب جبال وبحار .

#### النتيجه :

لم يكن البديع فارسياً وإنما هو فن عربي أصيل ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ - أن القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم وكلام العرب البالغ حفل بالوان منه ، وقد دفع ذلك ابن المعتز إلى أن يؤلف كتابه «البديع» ويقول : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن والتلوة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه - وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن أشاراً ومسلماً وأبا غراس ومن تليكم ومثلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه »<sup>(٣٩)</sup>. ولم يكن الشعر الفارسي عند نشأته كذلك ، وإنما جاءت العناية بالبديع متأخرة ، قال الباحث الإيراني عباس إقبال : « ويستفاد من بعض القرائن أن شعراء الفرس اعتنوا عناية خاصة بالبديع منذ أواخر عهد السامانيين وأوائل دولة القزوينيين فقالوا أشعاراً بديعة يتشبه بها من ناحية جمالها اللغوي والمنوي »<sup>(٤٠)</sup>. وقال المستشرق براون : « يتصور كثير من الناس أن الأدب الفارسية تمتاز بانها مصطنعة متكلفة تمتلئ بالمصانعات البديعية وتزخر بالمجازات والاستعارات ولكن هذا الرأي ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الأدب نشأت في كنف الفاتحين الأجانب من المغول أو الأتراك »<sup>(٤١)</sup>. وقال الدكتور عبد الوهاب عزام : « كان لشعراء الأدب الفارسي وزدهاره في

(٣٩) البديع ص ١ .

(٤٠) حقائق السحر ص ٦٨ .

(٤١) تاريخ الأدب في إيران ص ٢٧ .

حضانة الأدب العربي وسيطرته فتبع الأدب "الناسي" الأدب القديم في الصناعة الفنية التي أُلغ بها بعض شعراء العرب منذ القرن الثالث الهجري ثم زادت صنوفها وشاعت وعمّكت حتى صيرت الشعر صناعة لفظية في القرون الأخيرة فصيغت المجازات والاستعارات الفارسية على غرار ما ألف في الأدب العربي... وطبق على النظم والنثر في اللغة الفارسية قواعد البلاغة العربية حينما صارت البلاغة قواعد، فكانت كتب البلاغة الفارسية في قواعدها واسملاحياتها لا تختلف كثيراً عن نظيراتها في اللغة العربية»<sup>(١٢)</sup>.

٢ - إن الشاعر العبّاسي مسلم بن الوليد (٢٠٨ هـ) أطلق على البديع هذا اللقب، قال أبو النرج الأصمغالي: «وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه»<sup>(١٣)</sup>. وربما أخذ مصطلحه من الرواة وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: «وهذا الذي تسميه الرواة بالبديع»<sup>(١٤)</sup>.

٣ - إن المشاركة لم يهتموا بالبديع كاهتمام العرب ولا سيما الفارسية لأن المشاركة كانوا أكثر ميلاً إلى «الأخذ بالمعاني والجوهر لا بالصيغة والالفاظ والبديع»<sup>(١٥)</sup>. وإلى ذلك أشار ابن خلدون وهو يتحدث عن علمي المعاني والبيان فقال: «وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المشاركة وسيبه - والله أعلم - أنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران. والمشرق أوفر عمراناً من المغرب - كما ذكرناه - أو نقول لعناية الحجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله. وإنما اقتصر بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة

(١٢) قصة الأدب ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢.

(١٣) الأملاني ج ١٩ ص ٣١.

(١٤) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥.

(١٥) شباهة الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ٣١٢.

وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وقرعوا له ألقاباً ، وعددوا أروبا  
ونوعوا أروفا ، وزعموا أنهم أحصوا من لسان العرب • وأنا حلهم على  
ذلك الولوع بترين الاكفاد وإن علم البديع سهل المأخذ وسعين عليهم مأخذ  
البلاغة والبيان لدقة أظواهرهما ولغوض معانيهما فتجافسوا عنها <sup>(١٦٦)</sup> .  
ومصادق ما ذكره ابن خلدون ظهور كتب البلاغة المثارة بالفلسفة والمنطق في  
المشرق كفتح العلوم للسكاكي ومعظم شروح التلخيص ، وظهور كتب  
البلاغة المثارة بالترعة الأدبية في الأمصار العربية ومنها البديع لابن المعتز  
ونقد الشعر لتقديمه بن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي حلال العسكري والبديع  
في نقد الشعر لأسامة بن منقذ وتحرير التحبير وبديع القرآن لابن أبي الأصم  
المصري • ومن ذلك بديعيات صفي الدين العلي وابن جابر الاندلسي وعز الدين  
الموصلسي وابن حجة الحموي وجلال الدين السيوطي وعائلة الباعونية  
وعبد الغني النابلسي وغيرهم <sup>(١٦٧)</sup> . وهؤلاء كلهم نشأوا في بيئة عربية ولم  
يأثروا بالدرس وآدابهم أو ينهج السكاكي في تحديد علوم البلاغة •

٤ - أن الجاحظ ( - ٢٥٥ هـ ) ذكر أن البديع مقصور على العرب ، قال :  
« والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقمت لغتهم كل لغة وأريت على كل  
لسان <sup>(١٦٨)</sup> » . وليس ذلك تعصبا للعرب <sup>(١٦٩)</sup> وأنا هي الحقيقة التي يؤيدها

(١٦٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٦٧) نظم قوامي الكتنجوي وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي - السادس  
الهجري - قصيدة مصنعة ضمها مائة بيت ، وفي كل بيت لون أو أكثر من  
الوان البديع . ( تاريخ الأدب في إيران ص ٦٢ ) . وقد طبع المترجم في  
الهندش : « هذا هو القبول المشهور ولكن هناك من يشك في صحة  
النسب » . ولا يبعد أن يكون الشاعر الفارسي قد أخذ من البديعيات  
المعروفة وهي قديمة في الشعر العربي فقد ظهرت منذ القرن السادس  
للهجرة .

(١٦٨) البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(١٦٩) كما نرى ذلك من قبل ، ولكن البحث الجديد أظهر غير ما رأينا متاخرين  
بالدراسات العربية غير الدقيقة . ( ننظر كتابنا مصطلحات بلاغية ص ٨١ ،  
مناهج بلاغية ص ٢٢ ، عنوان بلاغية ص ١٩٧ ) .

القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب جاهليه واسلامه ، وقد أخذ  
 الفرس البديع من العسرب حينما ألفوا كتبهم البلاغية في عهد متأخر وذكر  
 ذلك الباحث الإيراني عباس إقبال فقل : « وعلم البديع مثل طائفة أخرى  
 كبيرة من شعب الفنون الأدبية يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربية لانتا  
 إذا استثنينا بعض الصناعات المعنوية مثل التشبيه والاستعارة مما يعتبر  
 من الخصائص الطبيعية لكل انسان ولكل لسان فان» بقية الصناعات البديعية  
 وعلى الخصوص اللغوية منها كالسجع والترصيع والتعجيس وغيرها قد  
 لعلت المكان الأول في اللغة العربية لانها بالتساع اتفاتها وكثرة مترادفاتها  
 قد ساعدت على ايجاد الارض الصالحة لتتو هذه الصناعات . أما اللغة  
 الفارسية فهي لغة آرية تختلف عن العربية من عدة وجوه ، ومن أجل ذلك  
 فقد كان من باب التقليد اتخاذها لتقسم كبير من هذه الصناعات البديعية ،  
 وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الألفاظ العربية في  
 اللسان الفارسي فان شعراء إيران بعد الاسلام لم يجدوا أمامهم ما يقلدونه من  
 نماذج الأشعار إلا الأشعار العربية فأخذوا يحاكونها في أسلوبها وسبكها  
 وانتشأوا قصائدهم على غرارها وصبوا احساساتهم وعواطفهم في نوايل  
 العروض العربي وأوزانها ، وأصبح الشاعر الإيراني بعد الاسلام لا يستطيع  
 أن يقول الشعر بلغة الفارسية ما لم تكن معرفته باللغة العربية كاملة ، حافظاً  
 لأشعار العرب ، مطالعاً لأقوالهم ، فكانت هذه الحال التي اضطر اليها الشعراء  
 بإيران مع ما ركب في الطبيعة الانسانية من حب التقليد دافعاً لهم على محاكاة  
 أساليب العرب والباس علومهم الأدبية في لباس فارسي جديد «<sup>(٤٠)</sup>» وتوضح  
 ذلك في اعتراف صاحب « ترجمان البلاغة » بأنه ألف كتابه بعد أن لم يجد  
 كتاباً بلانغياً في الفارسية يشبه اللغة ، وأنه نقل هذا العلم من العرب وطلبته

على الشعر الفارسي<sup>(٥١)</sup> . ولعل نصر بن الحسن المرغيناني سبقه الى ذلك في كتابه « محاسن الكلام »<sup>(٥٢)</sup> الذي رجع اليه وأقام فصول كتابه عليه .

٥ - ان علوم العربية لم تكن وليدة العصر العباسي وانما كانت لها جذور عتيقة قبل ذلك ، وقد اشار الى هذه القضية الدكتور زكي مبارك فقال : « استبعد أن يكون العرب ظلوا خاليي الذهن من العلوم الأدبية الى أن اتصلوا بالفرس والروم »<sup>(٥٣)</sup> ، وقرر أن علوم اللغة العربية كانت معروفة معتداً على كلام أحمد بن فارس الذي قال : « والدليل على صحة هذا وإن القوم قد تداولوا الاعراب انا لستفري قصيدة الحطيئة التي أولها :

شائتك أضعمان لليلى دون ناظرة بواكسر

ف نجد قوافيها كلها عند الترسم والاعراب تبيء مرفوعة ، ولولا علم الحطيئة بذلك لأكتبه أن يختلف اعرابها لأن تساويها في حركة واحدة انماها من غير قصد لا يتكاد يكون . فان قال قائل : فقد توارت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وإن الخليل أول من تكلم في العروض قيل له : نحن لا نذكر ذلك بل نقول : إن هذين العليين قد كانا قديما وأنت عليهما الأيام وقالا في أيدي الناس ثم جددهما هذان الامامان »<sup>(٥٤)</sup> . وقال : « ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يملئه النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمسد والتقصير »<sup>(٥٥)</sup> . و انتهى الدكتور زكي مبارك الى القول بأن « الذي نفس به ابن فارس في نشأة النحو والعروض هو الذي تقضي به نحن في نشأة البديع ، بل نشأة البديع أظهر وأوضح ، فان القرآن سجل مظهر من مظاهر

(٥١) ترجمان البلاغة ص ٢ .

(٥٢) ترجمان البلاغة ص ٣ - ٤ .

(٥٣) النشر الفني ج ١ ص ٥٥ .

(٥٤) الصاجي ص ٣٧ - ٣٨ . (٥٥) الصاجي ص ٣٩ .

الزخرف والسجع فهو إذن كان موجوداً قبل الإسلام وليس السجع فقط هو الذي قيّده القرآن بل أكثر الفنون البدئية أخذت شواهداً من آيات القرآن<sup>(٥٦)</sup> . وهذه مسألة ينبغي العناية بها والوقوف عليها ؛ لأنه إذا صح ما ذكره ابن فارس فإن كثيراً من البحوث والدراسات تتأوى وبذلك يعود الحق إلى نصابه وينال العرب شرف معرفة علوم لغتهم قبل أن يعرفوا الفرس واليونان وتأثروا بهم كما يزعم بعض الباحثين .

٦ - أن ابن النديم ذكر كثيراً من كتب الفرس التي عرفها العرب أو نقلوها مثل كتب الطب والأسفار والباء والغسلان والاختلاج والمآل والزجر والمواظ والآداب والحكم وكتب ماني وأصحابه ورسائلهم<sup>(٥٧)</sup> ، وليس بينها ما يتصل بالبلاغة وإن جاء اسم « عين البلاغة » أو « عش البلاغة » ، فهو كتاب عبد كسرى أو شروان إلى ابنه<sup>(٥٨)</sup> . ولو كان للفرس كتب بلاغية لذكرها وهو الذي قال عن كتابه : « هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلتها إلى أصناف العلوم وأخبار مصنفاتها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وثلاثمائة للهجرة »<sup>(٥٩)</sup> .

فالبلاغة الفارسية متأثرة بالبلاغة العربية بل هي منتقلة عنها ، كما ذكر صاحب « ترجمان البلاغة » من قدماء الفرس وأثبت الباحثون من فرس ومستشرقين وعرب كعباس أقبال ويراون وزكي مبارك وعبد الوهاب عزام ، وأيده تاريخ علوم اللغتين العربية والفارسية وبقيت مسألتان لا بد من الوقوف عليهما وهما :

(٥٦) النشر الفضي ج ١ ص ٥٦ . وينظر بحث « بديع القرآن الكريم » في هذا الكتاب ص ١٧٢ - ١٨٨ .

(٥٧) ينظر الفهرست ص ١٢٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩ .

(٥٨) الفهرست ص ٣٧٨ . (٥٩) الفهرست ص ٢ .

الأولى : أن الجاحظ قال وهو يتحدث عن البلاغة : « قيل للناصري ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل »<sup>(٦٠)</sup> . وليس غريباً أن يكون هذا التعريف من وضع الجاحظ وهو المعروف بنسبة بعض مؤلفائه إلى غيره ليقبل الناس عليها وينجو من كيد الاعتداء وحسد الحاقدين<sup>(٦١)</sup> . وليس مسي كتب الجاحظ نقل عن بلاغة الفرس إلا ما ذكره على لسان الشعوبيين : « ومن أحب أن يبلغ صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند »<sup>(٦٢)</sup> في حين أنه ذكر ترجمة الصحيفة الهندية حينما قيل : « ما البلاغة عند الهند »<sup>(٦٣)</sup> ولو كان للفرس كتاب أو صحيفة لسمى الجاحظ إلى الحصول عليها ودونها في كتابه « البيان والتبيين » كما فعل بالصحيفة الهندية التي عرضها الأديب على الترجمة ونقلها الجاحظ عنه .

ولو ذهب الباحث ينتشر عن الفصل والوصل عند الفرس ما وجد شيئاً ، بل ينتهي إلى أن العرب أول من اعتم بهذا الأسلوب وإن هناك أدلة كثيرة تثبت ذلك منها :

١ - أن الفصل والوصل من أساليب كلام العرب وكان معروفاً في كلامهم لارتباط المعنى به ، وقد مرّ رجل بأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : « لقد كنتم لو علمتم تعلمون » . قل : « لا ، وعافاك الله »<sup>(٦٤)</sup> . والوقف والابتداء أو التقطع والاستئناف مما عرض له القسراء والحواة ؛ لأنه يتصل بقراءة كتاب الله وتفهيم أغراضه ومعانيه ومثل تلك الكتب معروفة وقد ذكر ابن التميمي بعضها<sup>(٦٥)</sup> ، وطبع بعضها في السنوات الأخيرة .

- (٦٠) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .  
 (٦١) ينظر ما بين العفارة والحسد في رسائل الجاحظ ج ١ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .  
 (٦٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٤ .  
 (٦٣) البيان ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .  
 (٦٤) البيان ج ١ ص ٢٦١ .  
 (٦٥) الفهرست ص ٢٨ - ٢٩ .



٢ - ان العرب الأقدمين ذكروا الفصل والوصل ، وأشار أبو هلال العسكري اليه بقوله : « وكان أكثر من صيني إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : « فصلوا بين كل معنى منقصر ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض » - وكان العارث بن أبي شمر الغساني يقول لكتابه المرتضى : « إذا فرغ الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أت فيه فاقطع بينه وبين ثبته من الاقطاط ، فإليك اذا حذفته الفاكه بغير ما يحسن أن تحذف به فرت القلوب عن وجهها ومثله واستقله الرواة » (٣٧) .

٣ - ان الفرس لم يذكروا الفصل والوصل في كتبهم التي وصلت إلينا ، فليس هناك - مثلاً - إشارة اليه في « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » وهذا يدل على أنهم لم يهتموا به على الرغم من ان الجاحظ نسب الى الفارسي قوله إن البلاغة « معرفة الوصل من الوصل » .

٤ - ان موضوع الفصل والوصل لم يتعرض له مؤلفو البلاغة إلا في عهد متأخر ، وكانت بداية بحثه بلاغياً على يد عبدالقاسم الجرجاني ( - ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ ) في « دلائل الإعجاز » . وقد ذكر ما جاء في كتاب « البيان والتبيين » ولكنه لم ينسبه الى الفارسي ، قال : « وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم انه سئل عنهما فقال : « معرفة الفصل من الوصل » ذاك لغوشه ودقة ملكه وأنه لا يكفل لاحراز التفضيلة فيه أحد إلا كحل لسائر معاني البلاغة » (٣٨) . وذكر الخليل التبريزي ( - ٧٣٩ هـ ) مثل ذلك (٣٩) ، ولو كان القائل فارسيّاً لأشار اليه عبدالقاهر والتبريزي ولم يقولوا إنه جاء عن بعضهم لو ان بعض العلماء قصر البلاغة على معرفة الفصل من الوصل .

(٣٧) كتاب الصناعتين ص. ٤٤ .

(٣٨) دلائل الإعجاز ص. ١٧٠ - ١٧١ .

(٣٩) الإيضاح ص. ١٤٧ .

وليس ما جاء في « كتاب الصنائع » عنه ما قصد اليه البلاغيون حينما أدخلوه في علم الثماني وإن جاء فيه - قللاً - عن الجاحظ كما يبدو - تعريف الفارسي للبلاغة من أنها « معرفة الفصل من الوصل »<sup>(٦٦)</sup> . فالفصل والوصل عند أبي هلال يعمل بنصoul القصيدة ومقاطعها أي بأواخر الأبيات التي تقابل مطالعها وإبتدائها ، وهذا ما لم يده عبدالقاهر والبلاغيون المتأخرون حينما بحثوا الموضوع وقالوا إن الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، ولكل منهما مواقع يصح فيها الفصل أو الوصل أو لا يصحان وهو لا يريد بها علم البلاغة الذي نقله الفرس عن العرب وإنما يريد بلاغة الكلام ، وهي معروفة في كل لغة من لغات العالم . ولذلك لا تنقب هذه الاشارات دليلاً على معرفة الفرس لعلم البلاغة ، ولا تكون شاهداً على ما زعم بعض الدارسين بعد الذي ائتمنح وما أثبت الباقشون الفرس والمستشرقون .

وصنوة القول : إن الفرس تأثروا بالبلاغة العربية ونسوا دراستهم البلاغية على كتب العرب ، ولكي تتضح الصورة وظهر الدليل ناسباً نعرض لأقدم كتابين من كتبهم هما « ترجمان البلاغة » و « حدائق السحر » .

### البرهان :

نسب « ترجمان البلاغة » الى الشاعر الفارسي فرخي ، قال ياقوت الصوري وهو يتحدث عن « حدائق السحر » لرشيد الدين الوطواط : « عارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرخي الشاعر الفارسي »<sup>(٦٧)</sup> ، وقال حاجي خليفة : « ترجمان البلاغة » ، فارسي لفرخي الشاعر جمع فيه الصنائع البديعية »<sup>(٦٨)</sup> ،

(٦٦) كتاب الصنائع ص ٢٨ .

(٦٧) معجم الادباء ج ٧ ص ٩١ .

(٦٨) كشف القنون ج ١ ص ٣٩٦ .

وقال المستشرق سراون : « كتاب ترجمان البلاغة من وضع فرخي وهو من الشعراء المعاصرين للفرديوسي ، وقد ذكر دولتشاه اسم كتابه » (١٣٢) ، وقال : « وهو كتاب مفتوح قد أودى به الزمان فيما تعلم ، وربما استعمله رشيد الدين الوطواط في تأليفه كتابه » حدائق السحر » (١٣٣) . وتابعه الدكتور علي الشابي فقال : « وألف كتابا في فنون البلاغة اسمه » ترجمان البلاغة « يعتبر من النماذج الأولى لفن البلاغة باللغة الفارسية واعتسده رشيد الدين الوطواط عليه في تأليف كتابه » حدائق السحر في دقائق الشعر » (١٣٤) . وقد الباحث الإيراني عباس إقبال : « أما الاستاذ أبو الحسن علي الفرضي الشاعر السجستاني الكبير المتوفى سنة ٤٢٩هـ فقد كان - فيما نعلم - أول من كتب كتابا في محاسن الشعر الفارسي » (١٣٥) ، وأول من استعمل بشكل جدي ماهر بعض الصناعات البديعية في أشعاره فأضفى على كلامه باستعمالها جسالا<sup>١</sup> ولفقا<sup>٢</sup> بالعين . وكتاب الفرخي معروف باسم « ترجمان البلاغة » وقد ضاعت نسخته ولم تصل إلى أيدينا كما أن أحدا لم ينقل إلينا بابا من أبوابه . ومن أجل ذلك فعن لاملعلم على وجه التحقيق كيفية ترتيبه ولا محتوياته ولا السبب الذي دعا إلى تأليفه أو المتابع التي اعتمد عليها المؤلف في كتابته أو الشخص الذي أهدى إليه الكتاب إذا صح<sup>٣</sup> اهداؤه إلى أحد من الناس ، وكل ما نعلمه أن هذا الكتاب كان في يد رشيد الدين الوطواط عند كتابته لحدائق السحر ، وأنه عارض به - كما يقول ياقوت - كتاب « ترجمان

(١٣٢) تاريخ الأدب في إيران من ٣٠ ، ونظر من ١٣٣ .

(١٣٣) تاريخ الأدب في إيران من ١٤٤ .

(١٣٤) الأدب الفارسي في العصر المملوكي من ٢٤٥ .

(١٣٥) سبقه نصر بن الحسن في كتابه « محاسن الكلام » وقد ذكر ذلك صاحب « ترجمان البلاغة » من ٣ ، وذكر ناشر الكتاب نسخته المحفوظة في مكتبة الاسكوريال بإسبانية . « تنظر مقدمته من ( ١ ) » . و « محاسن الكلام » هو اسم القسم الثاني من بديع ابن المعتز وبذلك يكون نصر قد أخذ التسمية منه .

البلاغة » لفرخي الشاعر الفارسي • ولكن رشيد الدين - مع ذلك - لم يذكر لنا صراحة اسم مؤلف « ترجمان البلاغة » وربما كان سبب ذلك أنه اعتبر نفسه مقبلا على ذكر عيوب هذا الكتاب وقد أشعاره التي ربما كانت من صنع الفرخي نفسه ، فرأى من الخير أن يتجنب ذكر اسمه حتى لا يسيء إلى ذلك الشاعر العظيم مع ما عرف عنه من الفضل ورقة القدر • ومن أبلغ دواعي الأسف أن يضع هذا الكتاب من بين أبدينا فإن أهميته لا تحد من ناحية قدم تاريخه ، ومن ناحية أنه مكتوب بلغة فارسية مثورة قام بتحريرها شاعر لطيف الطبع جميل الذوق فصيح الأسلوب ، ومن ناحية أنه كان مستملا - من غير شك - على طائفة كبيرة من أقوال الشعراء والأدباء الذين عاشوا في العهد الساماني الذي يعتبر الدورة الأولى لنشأة الشعر الفارسي • ونحن لانتك في أن رشيد الدين قد اقتبس بعض شواهد مما وجد في « ترجمان البلاغة » ولكن من دواعي الأسف أنه لم يصرح بذلك في موضع واحد من مواضع كتابه كما لم يذكر شيئا عن « ترجمان البلاغة » وسبب تأليفه وتقصيل محتوياته • ولستأ فعلم فيما عدا ذلك إذا كان رشيد الدين قد استعان في تأليف « حقائق السحر » بكتاب فارسي آخر أو أنه اقتصر على هذا الكتاب الذي ذكرناه (٧٦) •

وذكر مثل ذلك الاستاذ أحمد آتس ناشر الكتاب وقال إن معظم مؤلفي الأدب الفارسي يذكرون أن هذا الكتاب من تأليف فرخي الشاعر الكبير في العصر الغزنوي (٧٧) • وكان الوملوط قد ذكره وقال : « إن الملك العادل خورازم شاء أنسز - نوكر الله مضجه - استدعاني يوما من أيام دولته التي اتلملت فيها عقسود الفضل وانهدمت فيها أبيية الجبل ، فأسرعت إلى تلبية أمره وأدركت سعادة خدمته ، فأطلعني على كتاب في معرفة بدائع الشعر الفارسي

(٧٦) حقائق السحر ص ٦٩ - ٧٠ ، ونظر ص ٢٤ ، ٦٧ ، ٧١ •

(٧٧) ترجمان البلاغة ص ( ط ) •

يسوه « ترجمان البلاغة » فلما راجعته وجدت أن أبيات الشواهد المسطرة في هذا الكتاب غير مستطابة وانها جميعا متكلفة النظم قد جعلت بأرمن التعمق وانها بالاضافة الى ما بها من تكلف وتعمق لا تنقل من أنواع الزلل وأصناف الخل ، فرأيت من الواجب عليّ - أأنا الناشئ في هذه الاعتاب - أن أكتب هذا الكتاب في معرفة معاسن النظم والنثر فسي كُتبا اللغتين : العربية والفارسية » (٢٨) .

وتوضح مما لاله القدماء والمحدثون :

١ - أن كتاب « ترجمان البلاغة » للفقير الفارسي فرخي .

٢ - أن رشيد الدين الطواط بنى كتابه « حقائق السحر » على « ترجمان البلاغة » .

٣ - أن الطواط لم يذكر اسم فرخي لكي لا يسميه اليه بعد أن وصف شواهد كتابه بالتعمق والتكلف والزلل والخل .

٤ - أن الطواط - وبما اقتصر على « ترجمان البلاغة » عند تأليفه كتاب « حقائق السحر »

وكادت الحقيقة تبني مطوية لولا أن الأستاذ أحمد آتش عثر على نسخة من « ترجمان البلاغة » في مكتبة الفائض بتركية ضمن مجموع نسخ في أواخر شهر رمضان سنة ١٣٥٧ هـ ( ١٩١٤ م ) ، وقد جاء في صفحاتها الأولى « كتاب ترجمان البلاغة تصنيف محمد بن عبد الرادوياني » (٢٩) . وهذا يتلوه ما جاء في المصادر القديمة والحديثة في نسبة الكتاب إلى فرخي المؤلف سنة

(٢٨) حقائق السحر ص ٨٩ .

(٢٩) لم يترجم الكتاب إلى العربية كما ترجم حقائق السحر ، ولعل سبب ذلك أنه العنى بالأمثلة الفارسية . وقد اعانني استاذي الدكتور احمد ناجي القيسي على فراغه وترجم لي مقدمتي الناشر وأؤلف وبعض ما احتجبت اليه . جزاه الله كل خير وإياه ذخيراً لباحثين . كان هذا عام ١٩٨٢ م ، أما اليوم فعليه رحمة الله إذ توفي في ١٦/٥/١٩٨٧ م .

١٤٢٩ هـ . والمؤلف الجديد مجهول في تاريخ الأدب الفارسي وليس له وجود في المصادر ، وقد اشد في كتابه « ترجمان البلاغة » على كتاب محاسن الكلام « لنصر بن الحسن المرغيناني وقال في مقدمته : « وعامة أبواب هذا الكتاب خرجتها على ترتيب فصول محاسن الكلام للضوافية الامام نصر بن الحسن - رضي الله عنه - وأخذت منه شواهد<sup>(٨٠)</sup> » أي أنه رتب كتابه كما رتب الأول وأخذ أمثله منه وبذلك تعين المصدر الثاني لكتاب « حسدائق السحر » بعد أن كان معروفا أن الطولاني تأثر بترجمان البلاغة وحده ، لأنه لم يشر إلى غيره . وقد أظهر الأستاذ أحمد آتش بمقابلة بعض الصفحات من الكتابين أن الأمثلة التي ذكرها الطولاني - غير أشعاره - مأخوذة من هذا الكتاب كما أن « ترجمان البلاغة » يحنذي كتاب « محاسن الكلام » ولا يختلف عنه إلا في المسائل اليسيرة كالإختلاف في بعض المصطلحات وعددها واسماها<sup>(٨١)</sup> ، وهو إختلاف غير كبير ولا يؤثر في أخذ اللاحق من السابق .

إن صدور « ترجمان البلاغة » في استانبول سنة ١٩٤٥ - قلب كثيراً ما ذكره الباحثون اذ ظهر « ليس للشاعر فرخي ، وإن رشيد الدين الطولاني لم يسل اسم فرخي تقديراً بعد أن انتقده ، ولم يعتمد على « ترجمان البلاغة » وحده وإنما استعان بكتاب آخر هو « محاسن الكلام » للمرغيناني . ولعل أهم ما يلتفت إليه أن صاحب « ترجمان البلاغة » يذكر أمثلة من شعر فرخي فيقول مثلاً : « قال فرخي<sup>(٨٢)</sup> » و « يقول فرخي<sup>(٨٣)</sup> » ، ولا يقول أن يقول فرخي عن نفسه مثل ذلك وإنما كان يقول ما فعله الطولاني حينما ذكر أمثلة من شعره وقال مثلاً : « ومن قولي بالعربية » و « أقول بالفارسية » و « مثله

(٨٠) ترجمان البلاغة ص ٢ - ٤ .

(٨١) تنظر المقدمة التركبية للكتاب ص ٤١ . وقد أوضحها في الاستدلال الدكتور عرفان عبد الحميد جراه الله كل خير .

(٨٢) ترجمان البلاغة ص ١٣ ، ٤٨ .

(٨٣) ترجمان البلاغة ص ٢٣ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٩٣ .

قولي بالفارسية » و « من قولي البيت الآتي » (٨٤) وغير ذلك من العبارات التي تدل على أن الشعر من غلته . وما يدل على أن « ترجمان البلاغة » أُلّف بعد وفاة فرخي قول الشاعر لبيبي في الكتاب نفسه « إن بيت فرخي فلماذا لم يستعصري ؟ يبقى الشيخ وسوت الفتى سريعاً » (٨٥) . وكان فرخي قد مات سنة ٤٢٩ هـ . ومات استاذهُ عثمري سنة ٤٣٦ أو ٤٤٢ هـ .

وسبب تأليف الكتاب أن مؤلفه لم يجد في معرفة أجناس البلاغة وأقسام الصناعة ومعرفة الكلام بالريضة والمعاني الربعة كتاباً بالفارسية يؤنس الحر ومسلّي العاقل (٨٦) . وانظر ملولاً لعله يجد من يغنيه مهمة التأليف ، ولكنه لم يرَ أحداً يقدم على التأليف في هذا الباب فنَدب نفسه لذلك وترجم من العربية أصناف البلاغة ووضع لها أمثلة من كلام الفرس بعد أن عرّف كل لون من ألوان البديع .

وبدا المؤلف كتابه بتقديم موجزة تحدث فيها عن الأسباب التي دفعت إلى وضعه ثم بدأ بموضوعات البلاغة وأخذ يرضعها واحداً واحداً كما فعل ابن المعتز في « البديع » واسامة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » . ومنهجه العام أنه يذكر المعنى النحوي لاسم المن أحياناً والمعنى الاصطلاحي ثم يذكر أمثلة من الشعر الفارسي . ومصطلحات عربية وقد بلغت ثلاثة وسبعين مصطلحاً ، فالكتاب عربي المصطلح ولا يعتمد كثيراً على كتب البلاغة العربية في التعديد ، فالمؤلف يقول في الترصيع — مثلاً — : « الترصيع لغة هو نظم الجواهر في عقد » وتفسيره اصطلاحاً أن الشاعر أو الكاتب يأتي بالكلام أقساماً أقساماً بحيث تكون الكلمتان متقابلتين ومتعنتين في الوزن وحروف الروي » (٨٧) . وهذا ما ذكره الملول أيضاً فقال : « الترصيع في اللغة يعنى

(٨٤) حقائق السحر ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٢ .

(٨٥) ترجمان البلاغة ص ٣٢ .

(٨٦) يبدو أن كتاب « محاسن الكلام » لايونس الحر ولا يسلي العاقل .

(٨٧) ترجمان البلاغة ص ٧ .

وضع الجواهر وغيرها في الذهب . ومما في أبواب البلاغة أن يقسم الكتاب أو الشاعر عباراته إلى أقسام متصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر ينفق معه في الوزن وحروف الروي» (٨٨) . ولا يخرج كلام هذين الفارسيين عما عرفت بلاغة العرب ، وقد قال قدامة بن جعفر عن الترمذسي : « هو أن يتوخي فيه تعبير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبه به أو من جنس واحد في التصريف كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين الحسنيين منهم » (٨٩) . فالتعريف هنا من هذا المين وذهبوا هذا المنهج ، ومثلنا أقر قدامة بكثرة هذا الفن في شعر القدماء برهن الطول على أنه فن عربي قديم حينما ذكر أمثلة من كتاب الله وكلام النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وأدب فصحاء العرب أي أن هذا الفن البديعي ليس فارسياً وإنما هو عربي أصيل .

وفي « ترجمان البلاغة » أمثلة عربية ، ومن ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام بعض العرب (٩٠) وأبيات لمسلم بن الوليد وأبي نواس والبحري (٩١) ، وفيه نقل عن القليل بن أحمد الفراهيدي لمصطلح « المطابقة » ودلالته على المتضاد (٩٢) ، وهو ما ذكره الطولاء بعد ذلك أيضاً (٩٣) . وقد أقر « ترجمان البلاغة » في الدراسات البلاغية وكان صاحب « حقائق السحر » أول من اتخذ حذو مؤلفه وذكر المصطلحات العربية والتعريفات المأخوذة من العرب ، ولكنه اختلف عنه في الاكثار من الكلام العربي فأصبح ميسراً لمن لا يعرف الفارسية جيداً .

(٨٨) حقائق السحر ص ٩٠ .

(٨٩) نقد الشعر ص ٣٨ .

(٩٠) ينظر ترجمان البلاغة ص ١١٩ - ١٢٧ .

(٩١) ترجمان البلاغة ص ١٩ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٨ .

(٩٢) ترجمان البلاغة ص ٣١ .

(٩٣) حقائق السحر ص ١١٩ .



ومن مؤلفي البلاغة الفارسية محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف  
برشيد الدين الطوطا الذي ينسب إليه إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه  
ولذلك قيل له « العمري » . ولد في بلخ ومات بخوارزم سنة ٥٧٣هـ<sup>(٩٦)</sup> .  
وذكر دولتشاه وأمين احمد رازي انه مات سنة ٥٧٨هـ ( ١١٨٢ م ) ولكن الأرجح  
ما ذكره ياقوت والسيوطي<sup>(٩٧)</sup> .

ورشيد الدين الطوطا اديب بالعربية والفارسية قال ياقوت : « كان من  
نوادير الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وفرائبه ، أفضل زمانه في النظم والشعر ،  
وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحر والأدب » . طار في الأفاق صيته ،  
وسار في الأقاليم ذكره ، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً  
بالفارسية من بحر آخر ويصليهما معاً<sup>(٩٨)</sup> . وله رسائل وعدة كتب ولكن  
« حقائق السحر في دقائق الشعر » أشهر كتبه ، وقد ألّفه لامي المظفر خوارزم  
شاه وعارض به كتاب « ترجمان البلاغة » . وقد رجّح الباحث الإيراني عباس  
إقبال أن الطوطا ألّف كتابه بين سنتي ٥٥١ و ٥٥٨ هـ ، وهو من كتب البلاغة  
المبكرة في الفارسية وكان يتلن قبل العثور على « ترجمان البلاغة » أنه أول  
كتاب وصل إلى الفرس بلغتهم<sup>(٩٩)</sup> ، وقال عنه المستشرق براون : « هو كتاب  
شهير جداً في البلاغة الفارسية في الشعر الفارسي »<sup>(١٠٠)</sup> . وقد نشره بالفارسية  
عباس إقبال وقدّم له بتقديمات طويلة تعرّض فيها لحياة الطوطا ومؤلفاته  
ومنزله في الشعر العربي والشعر الفارسي وطبعه في طهران سنة ١٣٠٨ الهجرة  
الشمسية ، وطبع مع ديوان الطوطا فضلاً عن طبعة إقبال . ونقله إلى العربية  
الدكتور ابراهيم أمين الشواربي وطبعه سنة ١٣٦٤هـ ( ١٩٤٥ م ) وبذلك قدّم

(٩٦) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١ ، بقية الوصايا ج ١ ص ٢٢٦ ، كشف القلوب ج ١  
ص ٦٣٤ .

(٩٧) تاريخ الأدب في إيران ص ١٨٤ ، حقائق السحر ص ٤ .

(٩٨) معجم الأدباء ج ٧ ص ٩١ .

(٩٩) حقائق السحر ص ١٨٤ .

(١٠٠) تاريخ الأدب في إيران ص ٤١٧ .

خسنة جليلة للغة العربية لانه متأثر كل التأثر بكتب البديع العربية وهو الى جانب ذلك « دراسة مقارنة للبلاغتين العربية والفارسية نستطيع ان نعلم بواسطتها الى أي مدى تأثر علم البديع الفارسي زميله العربي فكأن حاله في ذلك حال طائفة أخرى كثيرة من شعب العلوم الفارسية التي نشأت أولا على غرار علوم العربية » (١٩٩) .

بدأ الطولوط كتابه بمقدمة موجزة استهلها بالعربية بقوله : « الحمد لله على ما آفاض علينا من نعمه المترعة العياض ومننه المرمعة الرياض ، والصلاة على خاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد وآله الأبرار وصحبه الأخيار » . وختما بقوله : « والمطلوب من الله - عز وجل - أن يعصمنا من الخطأ والزلل والخطئ في القول والعمل ، انه الموفق للسداد والميسر للفراد » . ثم بدأ بفنون ثلاثة وأولها « الترميع » وأخذ يعرضها واحداً واحداً كما فعل ابن المترني « البديع » واسامة بن منقذ في « البديع في نقد الشعر » والرازي في « ترجمان البلاغة » . أي أن الطولوط لم يبحث البلاغة كما بحثها المتأخرون لان التقسيم الثلاثي لم يكن معروفا في القرن السادس للهجرة ، ولذلك رتب الفنون كأوائل البلاغيين . وقد استهل كتابه بالترميع والترصيع مع التجنيس والتجنيس وانتهى بحسن التعليل ، وهذه من فنون علم البديع عند المتأخرين . ولم يتعرض للأساليب البلاغية المعروفة في علم المعاني كالتقديم والتأخير ، والعطف والذكر ، والفصل والوصل ، والخبر والانشاء ، والابتناء والانتساب . وقد قال الاستاذ عباس إقبال إنه « اتبع في تأليفه أسلوباً جديداً أخرجه عن أن يكون تقليداً لأي كتاب عربي أو فارسي » (١٠٠) . وليس الأمر كذلك لسببين :

- الأول : ان البلاغيين العرب سبقوه في هذا النتيج او الاسلوب .
- الثاني : ان صاحب « ترجمان البلاغة » تقدمه ورث فنون البلاغة كترتيبه

(١٩٩) حدائق السحر ص (١٤) . (١٠٠) حدائق السحر ص ٧٠ .

ولذلك لم يكن منهج الطولاط بعضاً بل كان موضع مؤاخذه من المستشرق براون الذي قال انه « في بعض المواضع لم يحسن التنظيم والترتيب »<sup>(١٠١)</sup> ولذلك لم يتخذه دليلاً عند كلامه على البديع في الأدب الفارسي .

ومنهج الطولاط العام انه يذكر المسمى اللغوي للنم أحياناً ثم يأتي بالمعنى الاصطلاحي ، ويذكر أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام البلغاء وعلى رأسهم الامام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - والشعر العربي وشعره بالعربية والفارسية وبعض الشعر الفارسي . وهو بذلك ينسب ابن الأثير الذي رتب شواهد « البديع » وأمثله مثل هذا الترتيب إذ بدأ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فكلام الصحابة فالشعر العربي قديمه ومحدثه . وفاته في انه كان يذكر بعد كل فن ما عيب من الشعر والكلام ليعرفه الأدباء فيجنيبوه .

وطولف الطولاط في الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وذكر كثيراً من أشعار امير القيس وزهير بن أبي سلمى وليد والنايضة الذيباني والنايضة الجعدي وحسان بن ثابت وعوف بن محلم وجريز ومجنون ليلى والبحري وأبي نعام والسيبي وأبي فراس الحمداني والمصري والسري الرضا والايوردي والصاحب بن عباد والسواواء المشقي والزمخشري والحريسي وغيرهم من الشعراء الذين ذكر أشعارهم علماء البلاغة العرب . وقد اعترف بالفضل للمتنبي وأبي فراس والبحري واستشهد للأول في واحد وعشرين موضعاً وقال انه برع في « حسن التخلص »<sup>(١٠٢)</sup> . وإن له بدأ بياضاً وطريقة زهراء<sup>(١٠٣)</sup> . وعد البحري وأبا فراس من المبرزين في السهل المتع<sup>(١٠٤)</sup> .

لقد أولى الطولاط النص العربي أهمية كبيرة وأقام عليه فنون كتابه الذي كان سرداً للامثلة لانه لم يقسم الموضوعات كالمؤرخين إلا ما جاء في بعضها

(١٠١) تاريخ الأدب في ايران ص ٢١ .

(١٠٢) حدائق السحر ص ١٢٦ .

(١٠٣) حدائق السحر ص ١٨٦ . (١٠٤) حدائق السحر ص ١٩٢ .

كالتجنيس والمقلوب ورد العجز على الصدر والتنشيب . وليس في التعريف أو التقسيم أو الأمثلة شرح أو تعليق وكان الوطواط لم يطلع إلا على كتب البديع ككتاب ابن المعتز ، أو كأنه لم يستند مما اطلع عليه من كتب البلاغة وكلام السابقين ، فهو يشير الى مثل ذلك كتقوله في الاشتقاق : « ويصبره أصحاب البلاغة نوعاً من التجنيس »<sup>(١٠٥)</sup> ، وقوله في الالتفات : « تكون هذه الصنعة كما يقول بعض أهل العلم »<sup>(١٠٦)</sup> ، وقوله في الابداع : « قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في التماسط حسنة بعيدة عن التكلف »<sup>(١٠٧)</sup> . ولا نعرف غرضه من ذكر « أصحاب البلاغة » و « بعض أهل العلم » و « أرباب البيان » ولعله يقترب في ذلك من معاصره الرمضاني الذي كرر كثيراً من المصطلحات كالبيان والمعاني والبديع ، ولكنه لا يريد بواحد منها المصطلح الذي تعارف عليه المتأخرون . ويبدو أن الوطواط اطلع على كتب غير البديع ولكنه لم يستند منها وظل مرتبطاً بكتاب « ترجان البلاغة » في النهج العام .

ومصطلحات الوطواط عربية وقد بلغت خمسة وخمسين مصطلحاً يضاف إليها ستة عشر مصطلحاً تخص الشعر كالدخ والهجا والنسيب أو الشعر والنثر كالتنافر والمتلازم والعزلة والسلاسة والسهل الممتنع . وكان يذكر أحياناً عند تعريف الثمن اسمه بالفارسية كالتضاد وهو « آخنيج » والمسخ الموجه ، وهو « پارسي موجه دو روه باشد » والموشح وهو « برند » والمربع ، وهو « چهارسو » والمفسز ، وهو « چستان » والهجا ، وهو « غرين »<sup>(١٠٨)</sup> . ولا يؤثر ذلك في المصطلح عند الوطواط لأن الاسماء الفارسية جاءت في التعريف أيضاً ، وبذلك يمكن القول ان « حقائق الشعر » عربي المصطلح

١٠٥) حقائق الشعر ص ١٠٣ .

١٠٦) حقائق الشعر ص ١٣٤ .

١٠٧) حقائق الشعر ص ١٨٨ .

١٠٨) حقائق الشعر ص ١١٧ ، ١٣١ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٩٠ .

وإن قال الباحث الإيراني عباس آقبال « إن شعراء الفرس - كما يستفاد من كتاب حقائق السحر - وشمعوا مصطلحات من عندهم لبعض الصناعات البدئية في مقابل الاصطلاحات العربية فمثلاً أسبوا » رد المجز على الصفر « بالمطابق أو المصدر ، كما أسبوا الفلز في لغتهم بكلمة « جستان » واعتسوا اهتماماً خاصاً بصناعة السؤال والجواب ، وكانوا يسمون نظاماً خاصاً في التقسيم والتبسيط »<sup>(١٠٦)</sup> . ولا يغير ذلك من الحقيقة شيئاً فالمطابق أو المصدر هو رد المجز على الصفر وقد ساء البلاغيون العرب « التصدير » أيضاً ابتعاداً عما يوحيه مصطلح ابن المعتز من معنى الصفر والمجز .

أما في تعريفاته فإنه لا يعتمد عن العرب كثيراً فهو في رد المجز على الصفر يقول : « وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر في أول كلامه المنشور أو بين المنظوم لفظة معينة ، ثم يذكرها ثانية في آخر العبارة أو البيت وهذه الصنعة على ستة أنواع »<sup>(١٠٧)</sup> . وهذا ما قاله البلاغيون العرب بل هو احتذاء لابن المعتز الذي قسمه ثلاثة أقسام وذكر له أمثلة أخذ الوطواط بعضها كنول الشاعر :

سريع إلى ابن العم يلطم خدّه      وليس إلى داعي الندى يسرع<sup>(١٠٨)</sup>

ونقل بعض ما استشهد به ابن المعتز من كلام الله كتوله تعالى : « وليكن لا تشعروا على الله كذباً فيسحقكم بمذاب » وقد خاب من اقترى « وقوله : « ولقد استهزى يرسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون »<sup>(١٠٩)</sup> . وبعض كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل : « من مقت نفسه فقد آمنه الله من مقتنه »<sup>(١١٠)</sup> .

(١٠٩) حقائق السحر ص ٦٨ - ٦٩ . (١١٠) حقائق السحر ص ١١ .

(١١١) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١ .

(١١٢) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١٥ .

(١١٣) البديع ص ٤٨ ، حقائق السحر ص ١١٥ .

ويوضح أن<sup>١</sup> رشيد الدين الوطواط سار على منهج المتقدمين في عرض فنون البلاغة، وهو يقترب في ذلك من ابن الممتز في بديعه، وإن ذكر فنونا لم تكن مدروسة في القرن الثالث للهجرة وإنما درست بعده بقليل في «قد الشعر» لقدامة بن جعفر و«البرهان في وجوه البيان» لمعاصره ابن وهب و«كتاب الصناعين» لأبي هلال العسكري وغيرها من الكتب التي ظهرت في القرن الرابع وما بعده. ولذلك يسكن القول إن البلاغة الفارسية أخذت من بلاغة العرب وإنما احتذتها في المصطلحات والتعريفات والأمثلة. وقد كان «حدائق السحر» إيذاً باهتمام الفرس بالبلاغة، ولذلك انتشر وذاع صيته وظهرت كتب تنحو نحوه منذ منتصف القرن السابع للهجرة، وظهر «جيلة من الشعراء قضوا أعمارهم في إنشاء البديعيات والتعقائد المصنوعة والمولدة»<sup>(١١٤)</sup> وهذا يدل على أن الصنعة عند الفرس لم تكن قديمة أخذها العرب منهم حينما كتبوا في البديع، وإنما ظهرت الصنعة في عهد متأخر.

إن «ترجمان البلاغة» و«حدائق السحر» بداية البحث البلاغي عند الفرس أي هنا وليدا الفكر العربي بعد الإسلام وليس كما ذهب إليه بعض الباحثين من أن العرب تأثروا بالخرقة القولية والبديع الفارسي. ويوضح بالموازنة بين الكتابين وكتب البلاغة العربية أنها ينبعان من المعين العربي وأنها يشقان في أسسهما:

١ - أنها لم يقسما البلاغة إلى علومها الثلاثة - المعاني والبيان والبديع لأن هذا التقسيم حدث بعد القرن السادس على يد السكاكي المتوفى سنة ٦٣٩ هـ.

٢ - أنها رتبا فنون البلاغة كترتيب ابن الممتز في بديعه، ولا سيما القسم الثاني منه الخاص بحاسن الكلام. أي أنها جاءت بالفنون وأعداداً بعد واحد من غير ترتيب خاص.

(١١٤) حدائق السحر ص ٧٤.

٣ - انها ذكرا للمصطلح العربي ووضعا عنونا لكل فن ، فالترصيع والتجنيس والسجع والاستعارة والتشبيه وتأكيد المدح بما يشبه الذم ومراعاة التثنية والاعان وتجاهل العارف وحسن التعليل وغيرها هي أساس الكتابين .

٤ - انها عرفنا الفن وذكرنا أمثله من غير تقسيم عقلي دقيق أو شرح وتعليل ، وبذلك اقتربا من ابن المعتز الذي لم يفعل أكثر من ذلك إلا ما جاء من فصل الأمثلة الحسنة عن الرديئة أو القبيحة .  
واختلف المؤلفان في بعض المسائل منها :

١ - ان صاحب « ترجمان البلاغة » ذكر ثلاثة وسبعين فنا من غير ما ينقسم بعضها الى اقسام ، وذكر الوطواط خمسة وخمسين فنا من غير الالفاظ والمصطلحات التي ذكرها في آخر الكتاب وهي ستة عشر لونا .

٢ - انها اختلفا قليلا في ترتيب الفنون ، فيما يدهان بالترصيع والترصيع مع التجنيس والتجنيس ، ثم يبدأ بعض الاختلاف فيكون عند الاول : المقلوب والمقضب والمضارة والمطابقة والمضاد والاعان واعان القرينة والاستعارة والتشبيه وحسن المطالع وحسن المخالض وحسن المقاطع الى آخر ذلك . ويكون عند الثاني بعد التجنيس : الاشتقاق والاسجاع والمقلوبات ورد العجز على المصدر والمضاد والاعان وتضمين الزدوج والاستعارة وحسن المطالع وحسن التخلض وحسن المقاطع وحسن الطلب ومراعاة النظر الى آخر ذلك . وليس في هذا الاختلاف اليسير ما يغير شيئا من طريقة المؤلفين لانها لم يتخذوا منها دقيقا كما فعل قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وغيرها من تلاميذ ابن المعتز وسبقا الفارسيين .

٣ - انها اختلفا بعض الاختلاف في تسمية بعض المصطلحات وان كانت عربية ، فالتقضب هو الاشتقاق او الانقضاب ، وحسن المطالع

والمقتطع والمختلس هي حسن المطلع والمقطع والتخلص . وهذا الاختلاف لا يؤدي إلى تفاوت كبير بين المؤلفين ، وكان البلاغيون العرب قد اختلفوا قبلها وبعدها في إطلاق المصطلحات ولكنها كانت تدل على فنون معينة استقرت في كتب المتأخرين .

٤ - أمما اختلفا قليلا في بعض أقسام فنون فصاحب « ترجمان البلاغة » قسم التجنيس إلى المطلق والمركب والمردود والزائد ، وقسمه إلى الموطوء إلى التام والناقص والزائد والمركب والمكرر والمطرف وتجنيس الخط . وقسم الأول التشبيه إلى المكني والمرجوع عنه والشرطي والمعكوس والمزدوج ، وقسم الثاني إلى المطلق والمضروب والكتابة والتنسوية والعكس والاضمار والتفصيل . وليس في ذلك اختلاف كبير إذا نظرنا إلى دلالة كل قسم .

٥ - إن معظم أمثلة الرادوياني فارسية ومعظم أمثلة الموطوءات عربية ، ولذلك جاء كتاب الثاني أقرب إلى الروح العربية . ولعل سبب ذلك أن الموطوء كان أدبيا بالعربية والفارسية وإن كان أكثر التصانيف يكتب بالبلاغة العربية وتشكل أساليبها والتأثير بنونها ، ولذلك انتقد كتاب الأول وقال إن شواهد « غير مستطابة وإنها جميعا متكلفة النظم قد جمعت بطريق التعسف » وإنها « لا تخلو من أنواع الزلل وأصناف الغفل » . وقد يكون ذلك سر اعتماد الأدباء عن « ترجمان البلاغة » وبيان صاحبه ، واقتراحهم من « حقائق السحر » والإشادة بمؤلفه . وقد عرف العرب ريشيد الدين الموطوء وكان شعره وثره العرياني أمثلة تردت في كتبهم المتأخرة ، وتأثر به فخر الدين الرازي ( - ٦٠٦ هـ ) ونقل بعض كلامه وامتنه ، ونقل مثله السكاكسي ( - ٦٢٦ هـ ) والخطيب القزويني ( - ٧٣٩ هـ ) وشراح التلخيص (١٧) . ويدل ذلك على أن الكتب العربية كانت تعد المؤلفات

(١١٥) ينظر البلاغة عند السكاكسي ص ٢٤٢ وما بعدها .



الفارسية وليدتها ، وأنها لم تخرج من الرجوع إليها ما دامت تعرف من نبع عربي أصيل . ولعل الباحث بعد ذلك يرى أن علم البلاغة عند الفرس لشأ في كتب البلاغة العربية ولم يكن فناً معروفاً قبيل أن تستظل إيران ظل الإسلام وتتخذ العربية لغة للتعبير ومنهجاً تسير عليه في مؤلفاتها وتدوين علومها ، ويجد الذين يذهبون إلى غير ذلك قد أضلّتهم بعض المراسلات ، فالدكتور طه حسين لم يكتب بما ذهب إليه من أن البيان العربي وثيق الصلة بالبيان اليوناني وإنما حدثت تقليد الدكتور زكي مبارك على الرجوع إلى تاريخ الأدب الفارسية ليعرف من هم الكتّاب الذين أوحوا إلى كتّاب العربية فنون البديع . وجاء الرد من المستشرقين والفرس واعتبروا بأن البلاغة الفارسية نشأت بعد الإسلام متأثرة بالبلاغة العربية ، وأن فنون البديع لهم تعرف عندهم إلا في عهد متأخر .

تلك وقفة على أثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية ، وهو موضوع شغلنا به طويلاً وكنا نرى أن المتعمق بالفارسية أولى منا يبحثه والخوض في مساره ، ولكن الأعوام مضت وخشينا أن نغفل بعض الإسهام عاقلة بأقلام بعض الباحثين فجرنا الخوض فيه على الرغم من قلة الأدلة . ولعل القادرين - إن هداهم الله تعالى - والمنصفين يكملون ما بدأنا ، ويصححون ما شاع في المراسلات اللغوية والأدبية والنقدية ، ويكتبون تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في ضوء الحقيقة الناصعة والدليل الجلي .

#### المصادر :

- ١ - الأدب الفارسي في العصر الفرتوي - الدكتور علي الشامي - تونس ١٩٦٥م .
- ٢ - الأدب في ظل بني بويه - الدكتور محمود شلباي الزهيري - القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- ٣ - الأدب الفارسي - الدكتور محمد غنيمي هلال - القاهرة ١٩٦٢م .
- ٤ - الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث الهجري - الدكتور عبد الكريم توفيق العبود - رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٧م . ( على الآلة الكاتبة ) .

- ٥ - الأغاني - أبو الفرج الأسفهاني . تحقيق عبدالكريم إبراهيم المزناوي .  
القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٦ - الأيضاح - الخطيب القزويني . القاهرة . ( مطبعة السنة المحمدية ) .
- ٧ - البديع عبدالله بن الممتز . طبعة كرايشكو فسكي . لندن ١٩٢٥ م .
- ٨ - بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٩ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ١٠ - البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- ١١ - تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي - إدوارد أنجيل براون . ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- ١٢ - ترجمان البلاغة - محمد بن عيسى الرادوياني . تحقيق أحمد أنس .  
( باللغة الفارسية ) استانبول - تركيا ١٩٤٩ م .
- ١٣ - حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي . القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١٤ - حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين محمد العمري الوطواط .  
( باللغة الفارسية ) طهران ١٣٣٩ هـ .
- ١٥ - الحياة العاطفية بين العنبرية والصوفية - الدكتور محمد غنيمي هلال .  
القاهرة ١٩٧٦ م .
- ١٦ - دلائل الإجماع - عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمد رشيد رضا . الطبعة الخامسة - القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- ١٧ - ديوان أبي تمام بشروح الخطيب التبريزي . تحقيق محمد عبده هرام .  
دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٨ - رسائل البغاف - محمد كرد علي . اللغة الرابعة - القاهرة ١٣٧٤ هـ -  
١٩٥٤ م .
- ١٩ - رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢٠ - الصاحبي - أحمد بن فارس . تحقيق الدكتور مصطفى الشوايمي . بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢١ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي .  
القاهرة ١٩٦٣ ( من طبعة دار الكتب المصرية ) .

- ٢٢ - شحى الاسلام - احمد امين . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٢هـ -  
١٩٣٤م .
- ٢٣ - شياء الدين بن الاثير وجيوده في النقد - الدكتور محمد زغلول سلام  
القاهرة - الطبعة الاولى .
- ٢٤ - فجر الاسلام - احمد امين . الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- ٢٥ - فنون بلاغية - الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٦٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٦ - القهرست - ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب المعروف بابن التديم . تحقيق  
رضا تجدد . طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٢٧ - قصة الادب في العالم - احمد امين وزكي نجيب محمود . القاهرة ١٩٤٣م .
- ٢٨ - قصة الحضارة - ول ديوارنت . ترجمة محمد بدران . القاهرة .
- ٢٩ - القصص في الادب الفارسي - الدكتور امين عبد المجيد يدوي . القاهرة  
١٩٦٤م .
- ٣٠ - كتاب الصناعتين - ابو هلال العسكري . تحقيق علي محمد الجحاوي  
ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ٣١ - كتف الثون عن اسامي الكتب والفنون - الحاج خليفة . منشورات  
مكتبة المثنى ببغداد ( بالافيسيت ) .
- ٣٢ - مصطلحات بلاغية - الدكتور احمد مطلوب بغداد ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٣٣ - مظاهر تاليسر اللغة العربية في اللغة الفارسية . الدكتور حسين علي  
محفوظ . ( بحث قدم الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت  
ببغداد بين ٩ - ١١ كانون الثاني سنة ١٩٨٢م ) .
- ٣٤ - معجم الادباء - ياقوت الحموي . طبعة مرفليوث الثانية . القاهرة ١٩٢٣م .
- ٣٥ - المعجم الادبي - الدكتور جاور عبدالنور . بيروت ١٩٧٩م .
- ٣٦ - مفصلة ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون المغربي . دار اكتشاف بيروت .
- ٣٧ - مناهج بلاغية - الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٦٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٣٨ - موقف المعجم من لغة العرب - الدكتور احمد ناجي الفيسي . ( بحث قدم  
الى ندوة الاضطهاد اللغوي في الاحواز التي عقدت ببغداد بين ٩ - ١١  
كانون الثاني سنة ١٩٨٢م ) .

- ٣٩ - النشر الفني في القرن الرابع - الدكتور زكي مبارك . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٧م .
- ٤٠ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٣م .
- ٤١ - نقد النثر - التسويب الى قدامة بن جعفر . تحقيق الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي . الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٢٨م .



(١١)

## البلاغة عند السيوطي

(١)

كان منهج السكاكي (١٦٢٦هـ) آخر ما تلقته المؤلفون في البلاغة ، وقد لخص القسم الثالث من كتابه « مفتاح العلوم » وشرح كثيراً . وسيطر على الدرس البلاغي حتى هذه الأيام . وكان عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ( ٩١١هـ ) من أسهم في الدرس البلاغي في القرن التاسع للهجرة ، ووضع عدة كتب في البلاغة منها : نكت على التلخيص سماه « الاقصاد » . و « عقود الجنان في علم المعاني والبيان » وشرحه ، و « شرح آيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، و « نكت على حاشية المطول » للفري ، و « حاشية على المختصر » ، والبديعة المسماة « قلم البديع في مدح خير شئ » وشرحا ، و « اللطائف المصاغة في الفصاحة والبلاغة » ، و « الجمع والتفريق في أنواع البديع » و « النقا » وشرحا ، و « اتمام الغاية لقرئ النقا » ، و « جنى الجناس » . وتحديث عن البلاغة في كتبه الأخرى ككتاب « التخيير في علوم التفسير » و « مشترك الأثران في إعجاز القرآن » و « الاتفاق في علوم القرآن » و « الزهر في علوم اللغة وأنواعها »<sup>(١)</sup> . وتشمل هذه الكتب منهجين مختلفين في دراسة البلاغة :

❖ كان السيوطي من أواخر الذين جمعوا بين الدوق والفائدة في البلاغة ، وقد شاركت في مؤتمر السيوطي الذي عقدته جامعة مؤتة بالأردن ، وقدمت هذا البحث فيه صباح الثلاثاء الخامس من تشرين الأول ١٩٩٢م الموافق للتاسع عشر من ربيع الثاني ١٤١٤هـ .  
وأنا أنشروه في هذا الكتاب تنمة للبحوث البلاغية .

١ . ينظر القزويني وشرح التلخيص ص ٦٠٣ وما بعدها وسامح بلاغية ص ٣١٢ + ٣٤١ ، ونظر كتبه البلاغية في السيوطي التحري ص ١٤٨ + ٢٦٤ وجلال الدين السيوطي ص ٢٦٤ وما بعدها .

الأول : دراسة البلاغة في كتب علوم القرآن وإيجازه من غير تقسيما  
الى علومها الثلاثة المعروفة .

الأخر : دراسة البلاغة من خلال منهج السكاكي الذي أرساه الخليل  
القرظيني ( ٧٣٩ هـ ) بتلخيصه للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » وبشرحه  
الذي ساء « الإيضاح » ، وهو منهج يقسم البلاغة الى ثلاثة علوم : المعاني ،  
والبيان ، والبديع .

وفد اعطى الدكتور محمد علي رزق الخفاجي تصوراً لجهد السيوطي  
في البلاغة فقال : « إن خطوته » تتدرج من الأعم الى الأخص . فقد بدأ  
بالاعجاز القرآني ، وانتهى الى الاعجاز البلاغي ، ثم الى البلاغة بعلومها الثلاثة ،  
ثم اتجه الى البديع ، وأخيراً ينتهي به المطاف في البحث البلاغي الى القول  
في لون واحد من ألوان البديع » . ثم قال بعد أن ذكر بعض كتب السيوطي  
التي تعرضت للبلاغة : « ومعنى هذا أن السيوطي تدرجت جهوده البلاغية  
من الاعجاز البلاغي للقرآن ، ثم الى تناول علوم البلاغة ثم انتقل الى علم  
البديع ، ثم انتهى به المطاف الى التخصص الدقيق عندما تناول فناً يديعياً  
واحداً وأتت فيه كتاباً هو « جنى الجناس »<sup>(١)</sup> . والنظر في تاريخ الانتهاء من  
بعض كتبه يؤكد ما ذهب اليه الباحث وروسم صورة للتدرج في الدرس  
البلاغي ، ولعل كتاب « التعبير في علم التفسير » من أقدم الكتب التي  
تعرض السيوطي فيها للبلاغة ، إذ ذكره في « الاتقان »<sup>(٢)</sup> ، وذكر بعض  
موضوعات البلاغة وهي : المجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والكناية  
والترخيص ، والألجاز والاختاب والمساواة ، والمصل والوصل ، والقصر ،  
والاحتمال ، والقول بالموجب ، والمطابقة والمجانسة ، والتورية والاستفهام  
واللف والنشر ، والالتفات . وقد انتهى من تأليفه سنة اثنين وسبعين

١. مقدمة جنى الجناس ص ٩-١٠ .  
٢. الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٤ .

وثنائاته ، وكتبه من هو في طبقة أشيائه من أولى التحقير<sup>(٤)</sup> . وألف كتاب «مترك الاقران» قبل تأليفه «الاتقان» الذي ورد فيه اسم الكتاب ، قال في النوع التاسع والثلاثين ، وهو معرفة الوجود والنفاذ : « وقد أقرت في هذا الفن كتاباً سيئه مترك الاقران في مشترك القرآن »<sup>(٥)</sup> ، وتعا في هذا الكتاب منحي كتاب «التحير» ، أي أنه تحدث عن موضوعات البلاغة عند كلامه على وجود الاعجاز الخمسة والثلاثين والموضوعات التي تخرق إليها هي : الحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والإيجاز والأطناب ، والبدع ، والخبر والانشاء .

والسيوطي في هذا الكتاب وفي « التحير » لم يقسم البلاغة الى علومها الثلاثة وإنما تعرض لها بوصفها أنواعاً من علوم القرآن أو وجوهاً من وجوه إعجازه ، ولكنه لم يخرج في معالجة الموضوعات عن التراث البلاغي الذي وصل اليه ، ويكاد كلامه يكون إعادة لما ذكره السكاكي والفروبي وشراح التلخيص ، فهو في نوع التشبيه - مثلاً - يعرفه كما عرفه السكاكي باعتبار طريقه ، وباعتبار وجهه ، وباعتبار الاداة<sup>(٦)</sup> . ونج في « الاتقان » نهجه في « مترك الاقران » وقد عده فنون البلاغة من علوم القرآن وتحدث عنها من غير أن يقسمها الى علومها الثلاثة . وتبدأ بمباحث البلاغة من النوع الثاني والخسين وهي : الحقيقة والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية والتعريض ، والحصر والاختصاص ، والإيجاز والامتناساب ، والخبر والانشاء ، والبدع . وهذه هي الموضوعات التي عالجه في « مترك الاقران » .

ونلاحظ انه بدأ في الكتابين بموضوعات علم البيان ، ثم قفاه بموضوعات علم المعاني ، ثم بموضوعات علم البديع الذي لم يقسه الى

٤. الاتقان ج ١ ص ٥ .

٥. الاتقان ج ١ ص ١٤٢ .

٦. ينظر مترك الاقران في اصحاح القرآن ج ١ ص ٢٦٩ وما بعدها .

محسنة لفظية ومعنوية ، وإن" اشار الى أن" التجنيس أو الجناس « من المحاسن اللفظية لا المعنوية »<sup>(٧)</sup> وهذا تقسيم معروف في الدرس البلاغي . وقد أخذ به السيوطي في كتبه التي اتخذ فيها منهج السكاكي سبيلا . ولم يتحدث عن السجع في نوع البديع ،، وإنما تكلم عليه في النوع التاسع والخسين ، وهو فواصل الآي ، والعق به نوعين بديعيين هما : التشريع أو التسوام ، ولزوم ما لا يلزم .

وبحث في كتاب « الزهر » التصاحبة ، والحذف والاختصار ، والمجاز ، والاستعارة ، والجناس الذي سماه « المشتسرك » وأدخل فيه الاضداد<sup>(٨)</sup> . وليس للسيوطي في هذه المباحث سوى الجمع والتسريب وتلخيص أقوال السابقين ، فهو في الحقيقة والمجاز - مثلا - لم يخرج عما ذكره أحمد بن فارس في فقه اللغة ، وابن جني في الخصائص ، وفخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز<sup>(٩)</sup> ، ولم يخرج عما ذكر القزويني في التلخيص والإيضاح ، ونقل آراء المتكلمين . لقد جاءت موضوعات البلاغة في هذه الكتب خدمة للقرآن الكريم ، ولفقه اللغة ، ولذلك لم يقسمها كما قسمها السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما من الملخصين والشرح ، ولكنه اتخذ من منهج السكاكي سبيلا في كتبه التي خصصها للبلاغة ، ولذلك جاءت صورة لما استقر في عهده . ولعل كتاب « النقاية » - الذي لم يخلص للبلاغة لانه تضمن أربعة عشر علما - أوضح شاهد على تحول السيوطي الى منهج السكاكي إذ خصص ثلاثة علوم منه للمعاني والبيان والبديع ، وجاء كلامه عليها وعلى العلوم الأخرى مقتضبا ، فشرحه بكتاب « إتمام السدراية لقراء النقاية » الذي فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين

٧. الإنذان ج ٢ ص ٩١ ، وينظر معترك الاقران ج ١ ص ٤٠٢ .

٨. ينظر الزهر ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٨٧ .

٩. ينظر الزهر ج ١ ص ٢٥٥ .



وثانئاً لله للهجرة<sup>(١٠)</sup> ، وهو في هذين الكتابين يتجسه انجاء السكاكي  
والقزويني في التفسير والعرض والامثلة .

وسار على المنهج نفسه في كتبه البلاغية ، ونظم أرجوزة في ألف بيت ،  
نصنت تلخيص القزويني وسماها « عقود الجنان » . قال في أولها : -

قال الفقيه عابد الرحمن      الحمد لله على البيان  
وأفضل الصلاة والسلام      على النبي أفصح الأنام  
وهذه أرجوزة مثل الجنان      خبتا علم المعاني والبيان  
لخصت فيها ما حوى التلخيص مع      ضم زوائد كأمثال التسع  
ما بين اصلاح لما ينتقد      وذكر أشياء لها يستند  
وظم ما فرقته للمثبه      والله ربي أسأل النفع به  
وأن يزكي عيني ويعرضا      عن سواه وإن ينيلنا الرضا<sup>(١١)</sup>

وانتهى من نظمها يوم الأحد سلخ جادى الثانية سنة اثنين وسبعين  
وثانئاً لله للهجرة ، وقد اشار الى ذلك فقال :

وتم ذا التقويم بتيسر الأحد      سلخ جادى الثاني في يوم الأحد  
من عام ثنتين وسبعين التي      بعد ثانئاً لله للهجرة  
في ألف بيت كالتجسيم زهر      وكالرساى فاح منها الزهر  
أرجوزة فريدة في أهلها      إذ لم يكن في قفا كتبها<sup>(١٢)</sup>

ورب علوم البلاغة وموضوعاتها كما رتبها القزويني في تلخيصه  
وايضاحه ، فبدأ بالمصاحفة والبلاغة ، ثم أخذ يعرض موضوعات علوم البلاغة

١٠ - العام الفدرية لقراء النقابة ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

١١ - شرح عقود الجمان ص ٢٠ - ١٢ - المصدر نفسه ص ١٧٦ .

الثلاثة المعروفة . ورأى ان الارجوزة تحتاج الى شرح فوضع « شرح عقود الجنان » الذي انتهى من تأليفه يوم الاحد خامس ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثمانمائة<sup>(١٣)</sup> ، وقال في شرح آياتها الاولى : « حاصل هذه الايات ان هذه الارجوزة حاوية لما في تلخيص المفتاح مع تلخيص في العبارة ، وترك كثير من الامثلة والتدليل ، معوضا عنها زيادات حسنة ، بعضها اعترض عليه ، وبعضها ليس كذلك ، وفيه أبحاث تلقناها عن شيخنا الامام محيي الدين الكافيجي ، وهو المراد حيث أطلق فيها ، وربما قدمت وأخرت للتناسبة . ثم من الزيادات ما هو مميز بقلت ومنه ما ليس كذلك فأميزه هنا<sup>(١٤)</sup> . »  
وتوضح في هذا النص :

١. ان الارجوزة تضم ما في تلخيص القزويني .
٢. ان فيها تلخيصا في العبارة .
٣. ان فيها تركا لكثير من الامثلة والتعليقات .
٤. ان فيها زيادات حسنة .
٥. ان فيها بحوثا تلقناها عن شيخه الكافيجي .

وهذا ما يسرها عن كتاب « التلخيص » ويجعلها أكثر يسرا ، وأقرب الى النفوس ، ولا سيما شرحها الذي امتاز بالسهولة والوضوح . وقد شملت زيادات السيوطي على القزويني معظم موضوعات البلاغة فهو في بيته :

يوصف بالصاحبة المركب ومفرد ومتشبي مرتب  
وغير ثان صفت بالبلاغة ومثلها في ذلك البراع

يقول : « والبراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع ، ولا يقال : كلمة بارة وقد جدها القاضي أبو بكر في الاختصار بما يقرب من حد البلاغة

١٣. المصدر نفسه ص ١٧٦ .

١٤. المصدر نفسه ص ٢ .

وأصلها الجهور وذكرها هنا من زوائد<sup>(١٥)</sup> وهو في يته :

محتمل للصنف والكذب الغير وغيره إلا أن لا ثالث قرر

يقول : « هذا البيت من زيادتي ، إلا أن في التلخيص إشارة إليه في بيان وجه الحصر ، وحاصله أن الكلام إما خير أو ائشاء لا ثالث لهما<sup>(١٦)</sup> . وكان القرويني قد قال : « لأن الكلام إما خير أو ائشاء لا<sup>(١٧)</sup> إن كان نسبته خارج مخاطبة أولا مخاطبة فخير ، وإلا فائشاء<sup>(١٨)</sup> » .

وهو في يته :-

أو كونه معينا أو ادعى أو المقام ضيق أو سعا

يقول : في حذف المسند إليه : « ومنها ضيق المقام وهو من زيادتي وذكره في الإيضاح ومثله الطيبي في التبيان<sup>(١٩)</sup> . وتوضح زيادات السيوطي في فنون البديع ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « وذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوي ثلاثين نوعا ، ومن التلظي سبعة ، وذكر في أثنائها أمورا ملحقة بها تصلح أن تعد أنواعا آخر ، وقد زدت عليه الجرم الغير<sup>(٢٠)</sup> ومن ذلك : التوفيق ، والسلب والإيجاب ، والتأثير ، وسبب التلطف ، والترشيح ، والتوهيم ، والتفضيل ، والتسليم ، والجناس المعنوي ، والتبسيط ، والترائد ، وغير ذلك من الفنون التي تبارى علماء البلاغة - ولا سيما أصحاب البديعيات - في تنوعها والاكثار منها .

وأما هذه الزيادات الأوجزة وشرحها ولولا ذلك لجاءت في أقل من ألف بيت . قال السيوطي : « وأما بلغت ذلك لما فيها من الزيادات الجمة ،

١٥ . المصدر نفسه ص ٤٠

١٦ . المصدر نفسه ص ٩

١٧ . التلخيص ص ٢٨

١٨ . شرح عقود الجمان ص ١٤ ، وينظر الإيضاح ص ٢١ ، والتبيان ص ٤٠ .

١٩ . المصدر نفسه ص ١٠٥

ولو اقتصرنا على ما في التلخيص لم نرد على النصف من ذلك إلا قليلا<sup>(٢٠)</sup>. ولم يشأ السيوطي أن تقلو آثاره من يدوية زين بها كتبه فظم يدوية « ظم البديع في مدح خير شعيع » ، وهي مائة وأربعون بيتا مشتملة على مثلها من الأنواع ، ومطلعا :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم براعة العين في استهلالها بدم  
عارض فيها يدوية ابن حجة الحوي التي مطلعا :

لي في ابتداء مدحك يا عرب ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم  
وفستما اسم النوع البديعي كما فعل الحوي قال : « هذه يدوية  
مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه وتحلى بتلائم اوصافه الكرسي  
مدحه ، معارضا بها يدوية الشاعر الماهر تقي الدين أبي بكر بن جيفتي التورية باسم  
النوع البديعي شارعا الى الله تعالى أن ين علي بالتعالي يا جيل الاوصاف<sup>(٢١)</sup> .  
وقد قلنا قبل تأليف شرح عقود الجمان ، قال : « وقولي في بديعتي :

روض ودم وارج ردد وود وزر وازر ووال دوداه وزد ورم<sup>(٢٢)</sup>

وقيل « جنى الجناس » قال في خاتمة الجناس المعنوي : « ولم يلم أحد  
من أصحاب البديعيات بشيء من ذلك ، بل جروا على قطار الصني قسا  
أثوا بطائل ، خصوصا بيت ابن حجة فافه من أسجع البيوت ، وهو مع ما فيه من  
الجل والصبر أوهى من بيت المتكبروت ، وقد تمقبه عليه البارزي ، وأما  
النواحي فنأدى عليه مناداة اللحم السمين ، وهو معذور ، وقد كنت لم  
أظنه في بديعتي فلما أنجلي هذا الانجلاء قلته فيها فقلت :

حوى الجمان بمعناه وصورته وخاطته القلب والبطن بالكلم  
كثيت بالبدن عن الجمان ليجانس الجمان<sup>(٢٣)</sup> .

٢٠. المصدر نفسه ص ١٧٦ .

٢١. ينظر الصيغ البديعي ص ٤٤٩ ، ومقدمة جنى الجناس ص ٢٩ .

٢٢. شرح عقود الجمان ص ١٥٦ . ٢٣. جنى الجناس ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وأراد أن يرد كتاباً لنوع من أنواع البديع فآلف «جنى الجنس» قال في مقدمته : « هذا كتاب آلفته في أقسام الجنس التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق إلى ذلك ، ووصلتها إلى نحو الأربعمائة قسم ، وأكثر فيها من إيراد شواهدها القرآنية والحديثية والشعرية ، وغالب ما أوردته من القرآنية والحديثية إلا الذي استخرجه ولم أسبق إلى استخراجه ، وقد يكون في الشاهد الشعري عدة جناسات فأذكره في أول موافقه واستغني عن إعادته فيما بعد وسيتبعه «جنى الجنس» وبالله أعوذ رب الناس من شر الوسواس الخناس فأقول : أصول أنواع الاجناس ثلاثة عشر نوعاً تحت كل نوع منها عدة أنواع <sup>(٢١)</sup> . وهذه الأصول هي : التام المفرد ، والتام المركب ، والمغاير ، والخطي أو المصحف ، والمخالف ، والمطلع ، والتجنيس الترتيب ، والجناس الظني ، والتقارب ، والمطلق ، والشوش ، والجناس المعنوي ، والتجنيس المضاد . ويبدو في هذا الكتاب التقسيمات الكثيرة للجناس : والشواهد والامثلة الكثيرة لتلك الأنواع . ولعل هذا الكتاب آخر ما ألف السيوطي في البلاغة فقد آلفه بعد عودته من مكة المكرمة سنة تسع وستين وبالمائة بأربعين عاماً . قال وهو يتحدث عن أحد أنواع الجنس التام : « وألن أني رأيت من ذكر هذا النوع أزيد من أربعين سنة بسكة للشرقة في بديعة غريبة ليوسف الغلاني ، وقلت فيه إذ ذاك ، وألن ساء الملح <sup>(٢٢)</sup> » وقال : « وقلت قد بدا وكتبها عني الحافظ نجم الدين بن فهد بسكة سنة تسع وستين وثمانمائة <sup>(٢٣)</sup> » . ومعنى هذا أن السيوطي ألف « جنى الجنس » قبل موته بعام أو بعامين .

## ( ٢ )

وأهم القضايا البلاغية التي عالجها السيوطي هي إيجاز القرآن الكريم وقد تحدث عنها السابقون « وأبى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين ،

٢٥ . جنى الجنس ص ٧٢-٧٤ . ٢٦ . جنى الجنس ص ١٦٠ .

٢٧ . جنى الجنس ص ٧١ .

والصواب انها لا نهاية لوجوه اعجازه» (٢٧) وذكر خسة وثلاثين وجهها للاعجاز ، ومنها وجوه بلاغية هي : حسن تأليفه والتام كله ، ووقوع الحقائق والمجاز فيه ، وتشبيهه واستعاراته ، والكناية والتعريض ، وإيجازه في آية وأطنايه في أخرى ، ووقوع البدائع البليغة فيه ، واحتواؤه على الخبر والالتقاء ، وهذه الموضوعات بحثنا في كتبه المختلفة ، فكانت انواعا من علوم القرآن في « الاقنان » ، ووجوها من وجوه الاعجاز في « معترك القرآن » وعلوما لغوية في « الزهر » ، وفنونا بلاغية في كتبه الاخرى . وقد عده الوجه الخامس والثلاثين - وهو الالفاظ المشتركة - من اعظم وجوه الاعجاز « حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف الى عشرين وجها وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر » (٢٨) . ورتب الالفاظ المشتركة ترتيبا معجيبا ليسهل الرجوع اليها ، وشرحها كما جاءت في كتاب الله ، وسأل ذلك كلامه على « شعائر الله » : « ما جعله الله علما لطاعته ، واجدتها شعيرة مثل الجرائم ، يقول : لا تحلوه ، وكان الشركون يمجسون ويمشرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فقبل لهم : لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل : هي الحرم واحلاله الميّد فيه ، وفيل : هي ما يحرم على الحاج من النساء والصيّد وغير ذلك ، واحلاله فله » (٢٩) .

ويلحق بالنون البلاغية والالفاظ المشتركة ما تحدث عنه في الوجه العشرين من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو « روعه وهيته » وهذه مسألة نفسية ، قال : « الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي لمترجم عند تلاوته لغوة حاله وإبادة خطره وهي على المكذّبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويريدهم شورا - كما قال تعالى - ويدرؤن انقطاعه لكرامتهم له ولذا قال عليه السلام : « إنّه السرّان صعب مستصعب

٢٧. معترك القرآن ج ١ ص ٢٠٢ .  
٢٨. معترك القرآن ج ١ ص ٥١٤ .  
٢٩. معترك القرآن ج ٢ ص ٢٨١ .

على من كرهه ، وهو الحكم » . وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته آياه مع تلاوته تولىه انجذابا وتكسبه هشاشة ليل قلبه انبه وتصديته به ، قال تعالى : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ... » (٢٠) ، الآية ، وقال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » (٢١) الآية . ويدل على هذا شيء خاص به أنه يتره من لا يفهم معانيه ولا يعلم تقاسيره ... وهذه الروعة قد اعترف بها جماعة قبل الاسلام وبعدة » (٢٢) . وذكر بعض الروايات التي تشير إلى روعته وهيبته وأثرها في القلوب . ويتصل بهذا الوجه من الإعجاز الوجه الحادي والعشرون وهو « أن سامعه لا ينجته وقارؤه لا يملّه ، فتلذ له الأسع ، وتصف له القلوب ، فلا تزيد تلاوته إلا حلاوة ولا تزيد رديده إلا محبة ، ولا يزال غشا طريا وغيره من الكلام — ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه — يمل مع الزيد ويصادي اذا أعيد لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديث ، وكتابتها بحمد الله يستلذ به في الخلوات ، ويؤنس به في الأزمات ، وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابا لحونا وطريا يستجلبون بتلك المحون تنشيطهم على قراءتها ، ولهذا وصف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عيره ، ولا تضي عجائبه ، وليس بالهزل ، لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة » (٢٣) . وهذا الأثر النفسي للقرآن منا ذكره المتقدمون ، وأكثوه بروايات موثقة من ذلك تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به كتاب الله

٢٠. الآية ٢٣ (سورة الزمر) هي : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك حتى أنه يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فمأله من هلاك » .

٢١. الآية ٢١ (سورة الحشر) هي : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

٢٢. معترك الأقران ج ١ ص ٢٢٢ .

٢٣. معترك الأقران ج ١ ص ٢٢٤ ، وينظر الانتان ج ١ ص ١٢٢ .

وقصة اسلام الطليل بن عمرو الدوسي<sup>(٢٦)</sup> ، وكان السكاكي قد أكد أثر القرآن النفسي ورأى أن إعجازه لا يوصف ، قال : « واعلم ان شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يسكن وصفه كاستقامة الوزن وتترك ولا يسكن وصفها ، وكالثلاثة . ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا » ، وطريق اكتساب الذوق طوول خضعة هذين العليين — المعاني والبيان — نعم للبلاغة وجوه ملتصقة ربما تيسرت امثلة اللثام عنها لتجلى عليك ، أما نفس الإعجاز فلا<sup>(٢٧)</sup> . وقال « وهذه اقوال أربعة بنفسها ما يجده اصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والتفصيح »<sup>(٢٨)</sup> ، وهو ما قلله السيوطي ، فقال : « والصواب انه لانهاية لوجوه اعجازه كما قال السكاكي في المفتاح »<sup>(٢٩)</sup> . ولذلك اعتنوا بدراسة البلاغة لانها ما يوصل الى إدراك الإعجاز قال أبو هلال العسكري : « وقد علمنا أن الانسان اذا افغل علم البلاغة وأغل بعمق التفصيح لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنته به من الأيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمته من الحلاوة ، وجللته من رونق المبالغة ، مع سهولة كلفه ، وجزالتها ، وعذوبتها ، وسلاستها ، الى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها وتحييت عقولهم فيها »<sup>(٣٠)</sup> . فالسيوطي يؤمن باعجاز القرآن الكريم كما يؤمن به غيره ولكن وجوه اعجازه كثيرة ومنها ما فيه من فصاحة وبلاغة يسجز عنها الخلق ، وما فيه من القائل مشتركة ، وما له من روعة وهيبه في النفوس ، ولذة في الاسماع والقلوب ، وهو ما حار حوله المفاصرون ، وحاولوا أن يوضحوا إعجاز القرآن النفسي واللفظي ، كما فعل سيد قطب في تفسيره للقرآن الكريم المسمى « في ظلال القرآن » وفي كتابه « التصوير الفني

٢٦. ينظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ ، ٢٨٢ .

٢٧. مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

٢٨. مفتاح العلوم ص ٢٤٢ .

٢٩. معترك الاقران ج ١ ص ٢٧ .

٣٠. كتاب الصناعات ص ١ .



في القرآن » ، و « مشاهد القيامة في القرآن » ، وكما فعل أمين الخولي في بحثه « البلاغة وعلم النفس » الذي تحدث فيه عن الاعجاز النفسي ، والتفسير النفسي ، وقال : « إن هذا القرآن من حيث هو فن أدبي معجز ، ثم من حيث هو هدى وبيان ديني لن يندار الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية ورفضها ، لأن الفن هو نجوى الوجدان ، والدين هو حديث الاعتقاد وخطاب القلوب ، فصلته بالنفس ومناجاة للروح أوضح من أن يستدل لها أو تخص بالشرح . وفيما مضى من رأي - قديم أو حديث - عن أثره في النفوس وظلوه لديها أقرب شاهد وأدلة<sup>(٢٩)</sup> وفي بحثه « علم النفس الأدبي » الذي تحدث فيه عن الاعجاز الفني قال : « إن هذا القرآن إنما يعالج إعجازه والمتابعة وتوكيده وإثباته ، وإجابته ، وتفصيله ، وتكراره وإماتته ، وتقسيمه وتفصيله ، وتربيته ومناسبه ، يعالج كل أولئك وما إليه بالأمور النفسية لا غير<sup>(٣٠)</sup> . وكما فعلت الدكتورة بنت الشاطي - عائشة عبدالرحمن - في كتابها « التفسير البياني للقرآن الكريم » و « مقال في الإنسان » و « الإعجاز البياني للقرآن<sup>(٣١)</sup> » .

### ( ٣ )

ولا تغلو كتب السيوطي من آراءه ، ولعل أهم آرائه ما جاء في الرد على من أنكرو المجاز في القرآن الكريم ، قال : « وقد أنكرو قوم وقوع المجاز فيه وقالوا : إنه آخر الكتب ، والقرآن منزّه عنه ، وإن التكلّم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبغى من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن عن المجاز وجب خلوّه من الحذف

٢٩ . مناهج تجديد ص ٢٠٣ .

٣٠ . مناهج تجديد ص ٢٢٠ .

٣١ . ينظر بحثنا التفسير الأدبي والاعجاز ( كتب اعجاز القرآن ) ص ٦٧-٦٤ .

والتوكيد ولكنية القصص وغيرها<sup>(٢٢)</sup> . وليس هذا رأيه لأن المتقدمين ذكروه ، ولكنه اختار هذا الرأي ، لأنه وجد في القرآن الكريم كثيراً من المجازات ، وهي لون من ألوان التعبير التي دوج العرب عليها في كلامهم ، ولكنهم مجزوا عن أن يأتوا بمثل مجازات الكتاب العزيز .

وقسم المجاز كما قسمه عبدالقاهر والسكاكي والتزورني وغيرهم من المنهجين والشراح وهو نوعان :

الأول : المجاز في التركيب ، ويسمى مجاز الاسناد ، والمجاز العقلي .

الثاني : المجاز اللفوي ، وهو ما أطلق عليه اسم المجاز المرسل .

ولم يذكر الاستعارة فيه وهي مجاز لغوي وإنما عده التشبيه والاستعارة الوجه الرابع والعشرين من وجوه الإعجاز . وكان الوجه الثالث والمشرون هو وقوع الحقائق والمجاز فيه ، وقد تحدث فيه عن المجاز العقلي والمجاز اللفوي أو المجاز المرسل ، ولكنه قال « زُوجَ المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة ، ويقال في تعريفها : « اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي » والأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للتشبيه لا للتشبه ولا لأعم منهما »<sup>(٢٣)</sup> . واهتم بفنون البديع وقال إن : « أنواعه - وهي الوجوه المذكورة - كثيرة جداً تروى على المائتين ، وفيها بديعية الصني منها مائة وخمسون نوعاً »<sup>(٢٤)</sup> ، وقال : إن « الأصل في حسن أنواع البديع اللفظية تبعية اللفظ للمعنى لا عكسه »<sup>(٢٥)</sup> ، وقال في خاتمة المحسنات اللفظية :

وأصل حسن ما مضى أن يتبعه اللفظ معنى دون عكس وقعسا

- ٢٢ . معترك الأقران ج ١ ص ٢٤٦ ، وينظر الأتقان ج ٢ ص ٣٦ .
- ٢٣ . معترك الأقران ج ١ ص ٢٧٥ ، الأتقان ج ٢ ص ٤٢ .
- ٢٤ . انعام الدراية لقراد النفاية ص ١٦١ .
- ٢٥ . المصدر نفسه ص ١٧٢ ، وينظر شرح مفرد الجمان ص ١٠٥ .

« أصل الحسن في الأنواع النظمية أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني لا أن تكون المعاني تابعة للألفاظ ، بأن يؤتى بالألفاظ مشكلة مصنوعة المعنى كما يفعله من له شغل بإيراد الحسنة النظمية فيجعل الكلام غير مسوق لافساده المعنى ، ولا يبالى بقاء الدلالة وركاكة المعاني . فإذا تركت المعاني على سجيتهما طلبت لأفسسها الفاقة تليق بها ، وعند ذلك تظهر البلاغة وتبين الكسامل من القاصر »<sup>(٤٦)</sup> وهذا ما رده المتقدمون كالجرجاني والسكاكسي والقزويني وغيرهم من الملخصين والشراح . وفيه على أن بعض موضوعات المعاني وردت في البديع ، قال : « قد انتهى القول في علم المعاني وثمة الحمد والمثنة وفيه أمور أوردتها جمع في البديع ، منهم الطيبي في التبيان ، وأصحاب البديعيات وهي : الألفاظ والخطاب العام ، والتعليب ، والأسلوب الحكيم ، والإيضاح بعد الإبهام ، والتكرار ، والترديد والتعطف ، والترجيح ، وذكر الخصائص بعد العام وعكسه ، والإيقال ، والتذليل ، والتكبير ، والاحتراس ، والتشبيه ، والإشارة ، والبسط »<sup>(٤٧)</sup> وهو ما به عليه السكاكسي حينما بحث الألفاظ في علم المعاني وقال : « ويسى هذا النقل الثمنا عند علماء المعاني »<sup>(٤٨)</sup> وذكره في الحسنة المعنوية ولم يشرحه واكتفى بأن قال : « وقد سبق ذكره . فسي علم المعاني »<sup>(٤٩)</sup> . والسيوطي رأي في الاستخدام والثورية ، قال عن الأندلسي « صرح بأن الاستخدام أجل من الثورية ، وأعجب وأطرب ، وإن كان المختار عندي أنها سيان »<sup>(٥٠)</sup> . واهتم بالجناس من بين فنون البديع وتحدث عنه في كتيبه . وهو في « عقود الجنان » يذكر قسمي الجناس الناقص ويسمي الأول المردوف « لأن حرف الزيادة مردوف بها وقع فيه التجانس كقوله تعالى : « والثنت السابق بالساق . التي ربك يومئذ المساق »<sup>(٥١)</sup> والثاني

٤٦ . شرح عقود الجنان ص ١٥٧ . ٤٧ . المصدر نفسه ص ٧٦-٧٧ .

٤٨ . محتاج العلوم ص ٩٥ .

٤٩ . مفتاح العلوم ص ٢٠٢ ، وينظر البلاغة عند السكاكسي ص ١٣٦ .

٥٠ . شرح عقود الجنان ص ١١٢ ، وتتلر ص ١١٣ .

٥١ . سورة القیامة الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

المكتشف « لأن حرف الزيادة فيه مكتشف أي متوسط بين ما اكتشفه كتولهم « جدي جدي »<sup>(٥٢)</sup> وقال عن الجنس : إنه « نوع متوسط في البشع ليس كالثورية والاستندام والطباق ونحوها ، وانفقوا على أنه إنما يحسن إذا قل ، فإن كثرة سجع وخرج إلى حد النزول بخلاف الثورية ونحوها ، فإن جعل الجنس ثورية ، وانحصر المعنيان في ركن واحد فقد علت رتبة وارتفعت رتبته ، وصارت تسمى بالثورية التامة »<sup>(٥٣)</sup> . وألف كتاباً خاصاً بالجنس هو « جنى الجنس » فصل القول فيه وذكر أنواعه المختلفة وأمثلته المتعددة و زاد في الجنس التام المفرد قسماً تاسعاً « وهو أن يكون الإنسان من لغتين عربية ومعربة وعاشراً : وهو أن يكون الاسم من لغة غير العرب والفعل من لغة العرب » قال : « وأدلى أي رأيت من ذكر هذا النوع أزيد من أربعين سنة يسكن المذرة في يدعية عربية ليوسف الغلاني ، وتلفت فيه إذ ذلك وأظنه ساء اللحن »<sup>(٥٤)</sup> ومن ذلك قول أبي عبيد الله موسى بن محمد الطوالقي :

إذا قيل أي الناس في الأرض زينة أجبتنا وقلنا أبهج الأرض بشئها  
 قال أي أدركت يوماً عبيداً لزمت يد البستي دهرى وبشئها  
 قال : « قلت : هذا من لغتين ، فإن اليوس بمعنى التشيل ليس من لغة العرب ، وتلده قولهم قديماً من قصيدة ثورية :

أوتت اليه جميع المنقذين فلم يشجب بغير أوتت للعرب والمعجم  
 أوتت به نعم بالزكية »<sup>(٥٥)</sup> . وله فيه بعض الآراء الخاصة من ذلك . وأما في الجنس التام المركب فهو عنده « أشرف أنواع الجنس وأجلها »<sup>(٥٦)</sup> . وكانت له قدرة على استقراء التواضعات والأمثلة من القرآن

٥٢ . شرح مفرد الجبلان ص ١٤٥ .

٥٣ . المصدر نفسه ص ١٤٨ .

٥٤ . جنى الجنس ص ٧٢ .

٥٥ . جنى الجنس ص ١١١ . ٥٦ . جنى الجنس ص ١٢١ .

الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ، وهذا واضح في الكتاب  
كل الفروض ، وهو ما يتأخر به على كتبه الأخرى التي تعرضت لدراسة الألف  
وخم كتابه « جنى الجناس » بست فوائد :

الأولى : أن أسامة بن منقذ ذكر أن عمرو بن العلاء ذكر اسم الجناس  
وهو يتحدث عن شعر أبي دوداد الأدي ، وورد تجنيس التركيب والتزيين  
والتصنيف والتعريف فيه . فقال : « قلت : في قتل هذا عن أبي عمرو القراء  
فإن اسم الجناس لم يكن موجودا في زمانه وإنما حدث بعده بدهر ذئد  
ذكروا - منهم ابن رشي - أن أول من اخترع اسم التجنيس عديلة بن  
المعتر في سنة أربع وسبعين ومائتين وذلك بعد موت أبي عمرو<sup>(٥٧)</sup> . ولكن  
ابن المعتر ذكر أن الأصمعي ألف « كتاب الجناس »<sup>(٥٨)</sup> ، ولا بد أن يكون  
اسم الثمن البديعي معروفا في زمن أبي دوداد ولكنه ، كان مستغنيا في  
الشعر مقبولا .

الثانية : أن ضياء الدين بن الأثير ذكر أن بعض البلاغيين وقح في ما  
عندما أدخل في التجنيس ما ليس فيه مثل بيت أبي تمام :

أظن الدمع من عيني سيئسى      رسوما من بكائي في الرسوم  
ولم يعترض على ابن الأثير .

الثالثة : أن ابن النيس قسم التجنيس في كتاب « ملوك النضاج » إلى  
حقيقة ومجاز ، والحقيقي أنه نوع واحد باستعمال اللفظ تارة في « مناداة في  
غيره ، ولا يشترط أن يكون ذلك في موضع مخصوص بخلافه الجمع  
والتصريح . قال : « وهذا الذي قسره في الجناس التمام خلاف ما قرره »

٥٧ . جنى الجناس ص ٢٨٨ .

٥٨ . البديع ص ٢٥ .

واحد من انه يشترط أن يكون التلطف حقيقة في الممتنع ولا جناس في حقيقة ومجاز<sup>(٥٩)</sup> .

الرابعة : أن التوخي أورد في « الاقصى القريب » فكرتين : الأولى مقياس تأثير التجنيس بتكرير الحروف من غير أن يكون بينهما بعد بحيث يشعرون منه الذهن عن الاول ، والثانية تقسيم التجنيس . ولم يعلق على هذا التقسيم .

الخامسة : ما ذكره شهاب الدين الحلبي في « حسن التوسل » والليالي والتمالي من أن التجنيس يحسن اذا قل وأثنى في الكلام غمواً من غير كد ولا استكراه .

السادسة : ذكر فيها آيات الجناس في بديعة شعبان الآثاري ، ولم يعلق عليها .

وابتدع السيوطي بعض أنواع البديع ، كالتأليس والتفريع ، قال : وقد وجدت مقصداً بديعاً سميت التأليس والتفريعاً قاعدة كلية يسهلها ينهي عنها شعبة يقصدها مثاله لكل ديس خلق وخلق ذا الدين الحياء المونق

« هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي ولم أر في الأنواع المتقدمة ما يناسبه فسميته التأليس والتفريع ، وذلك أن يسهل قاعدة كلية لا يقصده ثم يربط عليها المقصود كقوله صلى الله عليه وسلم : « لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء »<sup>(٦٠)</sup> .

وفي الموضوع قال :

والنفس للموضوع قصداً صانع مثاله ليس الشديد الصرع

٥٩. جنى الجناس ص ٢٩٠ . ٦٠. شرح مفرد الجمان ص ١٤٠ .

« هذا النوع أيضا من مخترعاني وسيت في الموضوع ، وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء ، بأن يكون التلظ موضوعا لمعنى فيصرح به فيه ويثبت لغيره مبالغة في ادعاء ذلك الحكم ، ومثاله ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ليس التدبيد بالصرعة إنما التدبيد الذي يملك نفسه عند الغضب » (٢٦١) .

ومنهى الدليل ، قال :

وإن أنى بجمل للتقصيد توصلا لحكم ما به ابتد

وصح حذف الوسط الموصول فذلك التمهيد للدليل

« وهذا نوع ثالث اخترعته وسيت تمهيد الدليل ، وهو أن يقصد الحكم بشيء فيرتب له أدلة تقتضي قلما بأن يبدأ بالتقصيد ويغير عنه بجملته سلسلة ثم يغير عن تلك الجملته بأخرى سلسلة فيلزم ثبوت الحكم للأول بأن يحذف الوسط ويغير بالآخر عن الأول ، وهذا شكل من أشكال المناقضة ونحن - معاشر أهل السنة - لا تتبعهم أصلا وهم مصرحون بأنه في طبع أهل الفوق والذكاء ، والقرآن والسنة طائفتان باستعماله ، ثم تارة يكون الوسط جملة واحدة ، وتارة يكون أكثر ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » رواه مسلم ، لأنه يصح أن يحذف الوسط فيقال : « ولا تدخلوا الجنة حتى تحابوا » ، من لم يؤمن بالله لم يؤمن بي ، ولم يؤمن بي من لا يحب الانصار » (٢٦٢) .  
والتصحيح ، قال :

ومنه تصحيح بأن يتمم به وبالتصحيح أمن قصدا

« هذا نوع رابع اخترعته ، وهو أن يأتي في التقصود بكلام لتصحيحه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع إلى كل من معنيه كما حكى عن

٦١. المصدر نفسه ص ١٤١ . ٦٢. المصدر نفسه ص ١٤٢ .

بعض الأذكياء أنه كتب الى بعض أصحابه أن يشتري له من البضائع الرائجة  
وأمر أن لا ينقطع ليصلح للرايحة والرايحة» (١٧) .

هذا مما ابتدعه من المحسنات المعنوية ، أما المحسنات اللطيفية فقد  
ابتدع التضييق ، قال :

قلت فان كان اللزوم في الروي أو كلمات فهي تضييق قوي

«هذا النوع اخترعته وسيته بالتضييق بأن يلتزم في الروي أمراً لا يلزم،  
والنا لم يذكره لأنهم أن الروي يلزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع  
فيها التزم ما لا يلزم . وأشرت بها ذكره الى أن الروي قد يكون مثلاً على  
الهاء فيلتزم أن لا يأتي بها ضميراً ، أو الالف فيلتزم أن لا يأتي بها ألف إطلاق،  
وقد عمل العباد الأصمعي في قصيدة هائلة لا ضمير فيها وادّعى البراعة ، وعارضه  
أبو الين الكندي بقصيدة مطلعها :

هل أنت راحم عبدة وتوكل . ومجير صيب عندما عنه نفسي  
هيمات يرحم غائل مقتولته . وسنافه في القلب غير منته  
من ملء من داء الغرام فانتسي . مذ حل بي مرض الهوى لم أشتق

عارضها البهاء السبي بقصيدة وابن نباتة والصلاح الصندي ، ولي في  
ذلك قصيدة ذكرتها في طبقات النحاة . ولحق بذلك ما إذا التزم أمراً في  
كل كلمات البيت أو الرسالة . وللصرري قصائد التزم في كل كلمة منها  
صادا ، وقصائد التزم في كل منها عينا ، وللحريري رسالة التزم في كل  
كلمة منها شيئاً» (١٨) .

والمتحمل ، قال :

واللفظ اذ يقرؤه الاثخ لا يعاب قد سميته المتحلا

٦٣. المصدر نفسه ص ١٤٢ .

٦٤. المصدر نفسه ص ١٥٤ .



« هذا النوع اخترعه وسببه المتحل والمتلف والمتحري ، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الالتهج لا يعاب عليه تحريا ، وقد رأيت فسي ذلك يتبين في الراي لبعض الاقدمين وهما :

من شاء جمع معاني قد خصصت بها      وجاوزت كل حد لم ينل وطرا  
وكيف يستلجح أن تحصى لمضائلها      وزدك الفرد مهما تقتضيه ورا<sup>(٦٥)</sup>

#### ( ٤ )

هذه وقفة عند كتب السيوطي التي تعرضت للبلادة ، وقد افصح أنها تمثل أربعة أهداف :

الاول : خدمة القرآن الكريم ، وينجلي ذلك في « التحجير في علوم التفسير » و « معترك الاقران » و « الاقنات » .

الثاني : خدمة اللغة العربية وفقهها وينضح ذلك في « المزهر » .

الثالث : خدمة البلاغة العربية بعلومها الثلاثة ، وتيسير دراستها قلما أو تلخيصا أو شرحا ويبدو ذلك في الكتب التي نعت نحو السكاكسي في التفسير والعرض والتشيل ، ومنها ما جاء فسي « النقاية » وشرحها و « عقود الجنان » وشرحها .

الرابع : التعمق في لون بديهي واحد هو الجنس ، ويظهر ذلك فسي « جنى الجنس » الذي يعد حلقة من حلقات التأليف في هذا الفن ، إذ ألف الثعالبي فله كتابي « أجناس التجنيس » و « الايس فسي غرر التجنيس » ووضع الصفدي كتاب « جنان الجنس » وقد اقتضع السيوطي بهذه الكتب<sup>(٦٦)</sup> . ولا ينكر فضل السيوطي في كتبه ، فهو وإن كان ناقلا ، إلا أن

٦٥ . المصدر نفسه ص ١٥٧ ، ونظرا : وقلنا - ولما .

٦٦ . تنظر مقدمة جنى الجنس ص ٥٥-٤٣ .

جده يتضح في العرض أو الشرح أو التلخيص، وإضافة بعض الأمثلة، وإبتداع بعض أنواع البديع، وهو جهد كبير في عهده الذي شهد انكفاءً وعودةً إلى التراث القديم. ولا بد بعد هذا العرض والتفويص من تحديد منزلة السيوطي في الدرس البلاغي وهو العالم الكبير الذي قال عن نفسه: «ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب والبلاء لا على طريقة المعجم وأهل الفلسفة»<sup>(٦٧)</sup>. ويريد بطريقة العرب البلاء ما أطلق عليها اسم «المدرسة الأدبية» وبطريقة المعجم وأهل الفلسفة ما أطلق عليها «المدرسة الكلامية». فيل وفق السيوطي في هذا الوصف؟

إن دراسة كتبه التي اتخذ فيها منحى السكاكي والقزويني سبيلاً تؤكد أنه سار على طريقة المعجم والفلاسفة، وإن أكثر من الأمثلة في بعض المواضيع من كتبه، وأن مطالعة كتبه التي تحدث فيها عن علوم القرآن ووجوه الإعجاز وفقه اللغة توضح أنه لم يعتمد كثيراً عن السكاكي والقزويني فسي التقسيم والعرض والأمثلة وإن لم يقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعروفة. ولا تختلف عنها بديعته وشرحها فهو قد سار على نهج أصحاب البديعيات معارفاً ابن حجة في تسمية النوع البديعي، وهذه البديعيات وأن لم تقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة - احتفظت بطابع البلاغة الذي توقف تجديدها بعد مفتاح العلوم للسكاكي ولذلك لم تأت بجديد إلا زيادة الحسنات، ولم تكن بديعة السيوطي أروع من البديعيات الأخرى، فهي قد نهجت نهجها، وهي كثيرها «لا روح فيها ولا قوة ولا بجة ولا روعة»<sup>(٦٨)</sup>. ويبقى «جنسي الجناس» فما لوله؟ قال الدكتور محمد علي رزق الخفاجي:

إنه «قل السيوطي من المدرسة الكلامية إلى المدرسة الأدبية، أو قد

٦٧. حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠، وينظر القزويني وشروح التلخيص ٦٠٢ - ٦٠٥.  
٦٨. الصيغ البديعي ص ٢٢٩.

إعاده إليها ، وذلك إذا صنفنا معترك الأفران في البلاغة<sup>(٦٩)</sup> » . وقال : « أخرج السيوطي بكتابه هذا فن الجناس من التفسيرات الجافة التي عرفت في المدرسة الكلامية وجعله فنا بلاغيا يسيل إلى الأدب والنوع . وقد تنبأ له ذلك بفضل ما أورده من شواهد قرآنية وحديثية كثيرة وأمثلة أدبية شعرية وثرية ، وكان الكتاب بهذا الحشد الكبير من الشواهد والأمثلة معروض حافل بالألوان والأنواع الأدبية التي غالبا ما جاءت متشقة »<sup>(٧٠)</sup> . ولا تعني كثرة الأمثلة في كتاب « جنى الجناس » أن السيوطي انتقل إلى المدرسة الأدبية لأن الكتاب لا يخرج عما اختطه علماء البلاغة من اتباع للمدرسة الكلامية ، إذ قسم السيوطي الجناس إلى ثلاثة عشر نوعا وذكر تحت كل نوع عدة أقسام بلغت الأربعمائة ، قال : « هذا كتاب ألفت في أقسام الجناس التي استخرجتها وحصرتها ولم أسبق إلى ذلك ووصلتها إلى نحو الأربعمائة قسم »<sup>(٧١)</sup> . ولم يفعل السكاكي والفزوني وشرح التلخيص ما فعله في كثرة التفسيرات ولكنه — على الرغم من ذلك — أعطى فن الجناس روحا أدبية وجعل القارئ يستروح ويلوف في ألوان من الكلام ، وبذلك تتوحد عليهم بهذا الجانب الذي لم يسهل المتقدمون كالثعالبي والمسندي . وهذا واضح لأن السكاكي وأتباعه بحثوا الجناس في إطار البديع ، ولذلك لم يكتفوا من الشواهد والأمثلة ، في حين أن السيوطي أورد له كتابا ، ولا بد للكتاب الذي يبحث في موضوع خاص أن يثلا دقائه بالصوم ليكون سيئرا لا فصلا أو مجنا في كتاب . وقد أحسن السيوطي صنعا بذكر هذه الشواهد والأمثلة الكثيرة التي تدل على ثروته الأدبية وذوقه في الاختيار ، وهو — وإن تسلك بأهداب السكاكي والفزودي — أرحب أفقا وأجلى بقاء ، ولعل شعوره بهذا التنوع جعله يقول أنه تبحر في البلاغة « على طريقة العرب والبلاء لا على طريقة المعجم وأهل الفلسفة » وهي إشارة إلى اختلاف التقاء

٦٩. مقدمة جنى الجناس ص ٢٢ .

٧٠. مقدمة جنى الجناس ص ٢٨ . ٧١. جنى الجناس ص ٧١ .

في دراسة البلاغة ، وقد نهت الباحثين المحدثين الى هذا التفاوت ، فتحذروا  
عن المدارس البلاغية وذكروا المدرسة الكلامية والمدرسة المصرية ، والمدرسة  
الادبية (٣٧) ، وهذا توسع في الدرس البلاغي وكشفت للاتجاهات التي مرت  
بها البلاغة العربية في عهودها المختلفة ، وفي ذلك شمع عظيم .

#### المصادر :

- ١ . الانتان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٢ . اتمام الدراية لفراء النفاية - جلال الدين السيوطي - مطبوع على حاشية  
مفتاح العلوم لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي - الطبعة الاولى -  
القاهرة ١٣١٧ هـ .
- ٣ . البديع - عبدالله بن المعتز - طبعة كرانسكوفسكي - لندن ١٩٣٥ .
- ٤ . البلاغة العربية في دور نشأتها - الدكتور سيد نوفل - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٥ . البلاغة عند السكاكي - الدكتور احمد مطلوب - بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٦ . التفسير الادبي والاصحاح - الدكتور احمد مطلوب - بحث منشور في  
كتاب ( اعجاز القرآن ) الذي أصدرته وزارة الاوقاف والشؤون الدينية  
- بغداد ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٧ . التلخيص في علوم البلاغة - جلال الدين القرويني بتحقيق عبدالرحمن  
البرقوقي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- ٨ . جلال الدين السيوطي وآثره في الدراسات اللغوية - الدكتور عبدالعال  
سالم مكرم - بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٩ . حنى الجناس - جلال الدين السيوطي - تحقيق الدكتور محمد علي رزاق  
الخفاجي - الدار الفنية للطباعة دروس ١٩٨٦ م .
- ١٠ . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي -  
القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ١١ . دروس في البلاغة ولطورها - الدكتور جميل سعيد - بغداد ١٣٧٠ هـ -  
١٩٥١ .

١٢ . للتوسع في هذه الاتجاهات ينظر فن القول ، ومناهج تجديد ، والبلاغة  
العربية في دور نشأتها ، ودروس في البلاغة ولطورها ، والبلاغة عند  
السكاكي ، والقرويني وشروح التلخيص .

١٢. السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأيسري  
ومحمد الحفيظ شلبي . الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
  ١٣. السيوطي التحوي - الدكتور عفنان محمد سلمان . بغداد ١٣٩٦ هـ -  
١٩٧٦ م .
  ١٤. شرح ملوك الجملان في علم المعاني والبيان - جلال الدين السيوطي .  
القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
  ١٥. الصغى البدعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .  
القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
  ١٦. القرويني وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب . بغداد ١٣٨٧ هـ -  
١٩٦٧ م .
  ١٧. كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري . تحقيق محمد علي البجاوي  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
  ١٨. الزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد  
أحمد جاد الحولي ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي .  
القاهرة .
  ١٩. معترك القرآن في أمجاد القرآن - جلال الدين السيوطي . تحقيق علي  
محمد البجاوي . القاهرة .  
١. ج ١ سنة ١٩٦٩ م .  
٢. ج ٢ سنة ١٩٧٠ م .  
٣. ج ٣ سنة ١٩٧٣ م .
  ٢٠. مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي .  
القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
  ٢١. مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
  ٢٢. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الحولي .  
القاهرة ١٩٦٩ م .
- يضاف إلى هذه القائمة مصنفان اضيفا إلى الحواشي وهما :
- ١ - الأيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف  
بالخطيب القزويني . تحقيق أسامة من الجائع الأثر - القاهرة .
  - ٢ - اللبيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن مبداه الطيبي .  
تحقيق الدكتور توفيق الفيل وعبد اللطيف جبداه . الكويت -  
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .



## الخاتمة

لم تكن بحوث هذا الكتاب تأريخاً يعرض ، وإنما هي مناهج أريد بها تبيان ما وقف عنده علماء البلاغة لتكون منطلقاً الى البلاغة التي توضح معالم الأدب الجديد الذي اغترف من التراث الغربي ولم يرجع الى الأصول العربية التي رسمت المعالم في الطريق يوم كان الأدب مزدهراً والفكر متقدماً . إن البلاغة روح الأدب وما المناهج النقدية التي شاعت في السنوات الأخيرة إلا ومضات منها وإن جاءت بأساء ترجمت ، وإشارات استحدثت ، متابعمة لما حدث من تغير في المواقف والأهداف بعد أن توقفت البلاغة عند حدود رستها مرحلة الجسود .

ولنحسب العرب — بمرأى ببعض المناهج وعدناها خير ما أنجز العقل الغربي لفرضنا عن الفكر العربي صفحا لما آلت اليه البلاغة في عصر الجسود ، ولما أصبح عليه النقد الأدبي في مطلع القرن العشرين حسين اتخذ النوق سبيلا ، والاضطباع منهجا ، والتأثير أسلوبا ، ولم تضح إلا حينما شاعت الدراسات الأسلوبية التي اتخذت من دراسة النص منهجا ، وفتقنا فسادا بكثير مما قيل يرجع الى أصول البلاغة ، وإذا بنا ندعو الى « علم النص » ليكون بديلا من البلاغة أو هو البلاغة الحديثة .

لقد قاد الجبل أو الضياع الى انكار ما للعرب من مناهج بلاغية ومالهم من ظرات صائبة وتحليل للنص ينبع من طبيعة اللغة العربية وروح أديبها ، فأعرض الباحثون عن العودة الى التبع الأصل ملابا للراحة أو تباهيا بالحدثة التي تصوروا أنها حديثة\* للتراث ، وقد نسوا أنها لا تنهض من غير أصول ، وإن التجديد عكوف على الموروث ، وفهم وتمثل له ، وإطلاق الى الأفاق . وهذا ما فعله الأوروبيون في نهضتهم الحديثة إذ عادوا الى تراثهم يدرسوه

ويتقنون عند قضاياء وقفة التأمل ، ويستخلصون منه ما ينجم ومعالمهم  
ليصنعهم ، وما يصور واقعهم الذي ارتبطوا به لغة وثقافة وشوحا ، وبذلك  
جاءت مناهجهم أصيلة تمثل حضارتهم ، وجديدة تعبر عن فكرهم ،  
وتتفق من أديهم الذي يستمد لغته وأسلوبه وتصوره وأفكاره من واقعهم  
الذي رسته قرون درجت فيها أوربة وهي تنلس طريضا في الحياة .  
وشتان ما بين تاريخ أوربة وتاريخنا ، فنحن أمة شرفها الله بالأنبياء وكان  
آخرهم الرسول العربي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشر بقرآن  
منزل من السماء ، وعقيدة فتحت أمام الإنسان آفاق الحياة ، وبشيرة  
ينضم مقيم ، فاعلقل في ضوء ذلك بيني مجتمعه ، وحيد حضارته ، ويعسق  
ثقافته ، ويرسم أدبه ، ويقيس ما فيه الخير وما ينفي مواهبه ، ويوسع مداركه ،  
وفتح أمامه سبل الحياة الفضلى ، وبذلك حقق ذاته ، وأصبح ذا كيان  
يحرص عليه حرصه على وجوده ، ولولا ذلك ما كان للعرب دور عظيم في بناء  
الحضارة الانسانية التي عمرت البلاد وغذت العقول .

إن لكل أمة طابعا مميزا في الحياة ، وأن لها تصورا للوجود ، وأن لها  
كيانا تعترف به ، والأمة العربية وهي ذات الحضارة العريقة لابد من أن تحقق  
ذاتها وهي تستتلف القرن الحادي والعشرين ، وأن يكون ثقافتها تميز بين  
ثقافات الأمم التي تسعى الى ترسيخ ثقافتها ونشرها وفرضها على الشعوب ،  
ومن ذلك الأدب وهو وليد اللغة ، وريب الحضارة ، وعطائهم العسيم .  
وما البلاغة إلا جذور ذلك الأدب الأصيل ، أما السيل فيبقى في مهبط الريح  
تتقاذفه الأهواء ولا يستطيع أن يتلقى النور إلا بالنظر الكليل . وليس مثل  
هذا يراد للأدب العربي وأصول تقدمه وتحليله ، ومن هنا كانت الدعوة الى  
تمثل البلاغة العربية تمثلا واعيا ، والاطلاق منها الى آفاق رحبسة بعد  
الانتعاش بما الغير العرب من فكر بناء ، ومناهج رستها عقول وقادة ،  
وسمت الى أهداف نبيلة ، لا عقول مريضة ، ومناهج لا تتخذ من المنطق السليم  
سبيلا .

والثقافة العربية وهي تستلرف القرن الحادي والعشرين تواجه تحديات كبيرة تريد اختراقها وعلس معاملها لتتقد الأمة هتوتها ، وتنكر ذاتها ، والبلاغة من تلك الثقافة العربية التي بنتها عقول نيرة وأقام أصولها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . ولن يكون للنقد العربي مستقبل إن بقي رجاله بعيدين عن أسسه ، ولعل من أول ما يسعى اليه المؤمن بأمنه وثقاتها أن يطيل التأمل في الموروث وأن يقف عنده « وقوف شحيح ضاع في الترب خائسه » وأن يدرسه دراسة مستوعبة ليستخلص منه ما ينفع وما يقوّم الأدب الجديد ، غير مستنكر الدعوات الصادقة ، والآراء الصالبة ، والمناهج القويمة ، فقد خلق لهذا الزمان ولايد من أن يكون للعاصرة طابعا ، وأن تكون له شخصيته الراسخة الأصول . وما البحوث التي حفل بها هذا الكتاب إلا دعوة السى التأمل الطويل ، والتفكير المسيق فيما ترك العرب من تراث بلاني وقسدي ضخم استمد أصوله من اللغة العربية وأدبها ، وامتد السى اللغات الاخرى موجها ومؤثرا .

إن العودة الى البلاغة العربية تقتضيها النزعة العلمية والنزعة الروحية ، فضلا عن تحقيق الذات وارساء أصول النقد العربي الجديد بعد أن ملفت على الدرس الأدبي اتجاهات متصارعة لم تثبت فمسن الاسفلويسة السى الشكلانية الروسية فالواقعية الاشتراكية والبنوية وما بعد البنوية ، والظاهرية والتفكيكية وما الى ذلك من تيارات تبع معظمها في قرنة وانتقل الى العرب بعد أن فقد بريقه في موطنه ونجاوزه الدراسات ، إسا ثورة عليه أو تجريبا لاتجاهات تنليها زعات وتوجهات لاتخدم الفكر الأصل في كثير من الأحيان .

إن طليان هذه التيارات التي أكر معظمها أصحابها أبعدت النقد العربي عن البلاغة التي لم تنهم حق النهم ، ولم تدرس بعناية كبيرة ، وظنن أنها قنرة الاقتناع كما فصها قنماء اليونان ووارثو حضارتهم ، في حين انها عند العرب



أوسع من ذلك ، لأنها ترتبط بنهم إعجاز القرآن الكريم ، وتصل بتعليم فن القول ، والنقد الأدبي ، واختيار النصوص ، ومعرفة الجيد من السريء ، فهي — إذن — روحية وتعليمية وتقديرية ، وهذا ما نص عليه أبو هلال العسكري في مقدمة « كتاب الصناعين » .

هذا التهم الواسع والادراك العميق للבלغة العربية يجعل العودة إليها خيراً للادب والنقد بعد أن ضاعوا في غمرة التيارات ، وتعصب بعضهم لهذا أو ذاك ، واتهم بعضهم بعضاً بما لم ينزل الله به من سلطان ، وكادوا يقتلون كأنهم في حومة الوغى ، ولم يعوا أنهم يقدمون اتجاهات بعيدة عن واقع اللغة العربية ، وصلون من لا يستحق أن يذكر في عالم التأليف .

واتى اللطاف الى الضياع أو الى التعصب لاتجاه لا يصور النقد بمعناه العام وإنما ينظر في جانب منه . ويبقى النص بعد ذلك محتاجاً الى مسبر أنواره ، ومن ذلك تفسيره وتقويمه وهما مهمان في العملية النقدية ، فضلاً عن إيضاح أبعاد المخلقة والوقوف على منشئه ومثاليته . ولا ينبغي هذا ان الانتفاع بالاتجاهات المختلفة محظور ، وإنما يراد من النقد أن يكون تكاملياً ، أي دراسة النص الأدبي والنظر فيه من جميع جوانبه ، لا من جانب بنيتة وحدها والاكتفاء بالوقوف على مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية في ضوء ما دعت إليه الأسلوبية ، لا في ضوء البلاغة بعلمها التي ذكرتها الكتب العربية وأضنت عليها مساحة ذوقية وشجة روحية لا يبدعها الناقد في كثير من الاتجاهات التي أحاطت به من كل جانب ، ولم يستلح تمثلها والاتساع بها ، وغرق في لجتها في حين أن أصحابها تجاوزوها وخلفوها وراءهم ظريفاً . ولو عاد العربي الى بلاغة لغته لوجدتها حية وإثباتاً — كما قال القدماء — : « لم تنضج ولم تحترق » وما أخرى بالناقد أن يعود إليها دارساً ومثلاً ، ومدركاً مقاصدها ، ومضيفاً إليها ما استجد لتسير مع الأدب كما سارت

في مراحلها الأولى وقبل أن يتربيا الجيود الذي له علوم اللغة العربية في  
عهد الظلام .

وبعد :

فلم تكن بحوث هذا الكتاب مزجاة للوقت ، وإنما هي بحوث جاءت بعد  
تأمل طويل ، وتشغل لترات العرب البلاغي ، ووقوف واعر جساد على ما عند  
الأجانب لتكون شاهدا على ما للعرب من أصالة ، ودليلا لمن يريد أن يتيسر  
تقدا هريا تمتد جذوره في عبق الثقافة العربية ، وتزهر أقمصاه في ظلال حرية  
الفكر والتعبير . وسيتبني الفكر العربي خائلا يتفع الناس وصدجهم سواء  
السبيل ، مها تعرض للمزوف والنكران ممن فقدوا ذاتهم ، وأنكروا هويتهم ،  
وصدق الله تعالى حينما قال :

« فَأَمَّا الزُّبَيَّةُ فَكَتَبْتُ بِسْمِ اللَّهِ جَسَّاءَ » ، وَأَمَّا مَا

يَسْتَحِبُّ النَّاسُ فَكَتَبْتُ قَبْلِي الْأَرْضُ خَرَّ »

الأحد ١٨ ربيع الثاني ١٤١٧هـ      الدكتور أحمد مطلوب  
الأول من أيلول ١٩٩٦م      عضو التجمع العلمي  
وامينه العام



## الملحق

في البحث الأول من هذا الكتاب أهم مصادر البلاغة القديمة ،  
وضاف إليها :

- ١ - الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة - محمد بن علي الجرجاني \*
- ٢ - الاعجاز والايجاز - أبو منصور الثعالبي \*
- ٣ - الايجاز في علم الإعجاز - لطف الله بن محمد الفياثي القطيري \*
- ٤ - التبيان في البيان - شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي \*
- ٥ - جنى الجناس - جلال الدين السيوطي \*
- ٦ - رائق التحلية في فائق التورية - أحمد بن زرقالة \*
- ٧ - في التفصيل بين بلاغتي العرب والعجم - أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري \*
- ٨ - كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب - ضياء الدين بن الأثير \*
- ٩ - معاهد التصحيح على شواهد التلخيص - عبد الرحيم العباسي \*
- ١٠ - المنتخب من كفايات الأدباء وإشارات البلغاء - أحمد بن محمد الجرجاني التقصي \*
- ١١ - الوشي المرقوم في حل المنظوم - ضياء الدين بن الأثير \*

وهناك كتب بلاغية مطبوعة لم تصل إليها اليد ، أما المخطوطة فلأثر آل  
بعيدة عن أيدي كثير من الباحثين ، ولذلك لم تذكر في هذا الكتاب \*

والدراسات البلاغية الحديثة كثيرة ، إذ حظيت البلاغة العربية باهتمام  
بالغ في القرون العشرين ، ولكن معظمها كان تأريخاً أو نقاداً ضوء على

مصطلحاتها وفنونها . وظلت على واقعهما القديم إلا ما جاء من دعوات تجديدية ، وكان المرحوم أمين الخولي من أكثر المعاصرين اهتماما بالنتائج الذي رسمه في بحوثه أو في كتابه « فن القول » ولم يلبثه . وبعده باحثون كثيرون إلا أنهم ساروا في التطبيق على منهج السكاكي والفزوني وشرّاح التلخيص ، وكان معظم ما ألفوا كتباً تعليمية . ولم يخرج على تقسيم البلاغة الثلاثي دعاء التجديد ، فهم ما زالوا يبحثون في مستويات النص الصوتية والتركيبة والعلالية ، وهي ما يدخل في القصاحة والمعاني والبيان وبعض فنون البديع ، وبذلك عادوا إلى البلاغة القديمة وهم لا يتسرعون . إن تجديد البلاغة لن ينهض به إلا باحث درس القديم دراسة واعية ، وعرف مسالكه ومقاصده معرفة دقيقة ، وتمثله تمثلاً عيقاً ، وعرف المناهج الحديثة ، وكان ذا ذوق رفيع .

ولعل من النافع التبيد أن نذكر في هذا الملحق بعض ما صخر من دراسات بلاغية لتكون مطلقاً للبحث في البلاغة العربية التي لم تنضج ولم تشرق . وكان الأستاذ الدكتور محمد يركات حدي أبو علي « الجامعة الأردنية » قد عقد الفصل الرابع من كتابه « مقدمة في دراسة البيان العربي » - عمان ١٩٨٦ - مكتبة الدراسات البلاغية ، ذكر فيه كثيراً من كتب البلاغة القديمة والحديثة ، المطبوعة والمخطوطة ، وأتى ببعض البحوث البلاغية المنشورة في المجالات العلمية ، وأثبت بعض الدراسات الجامعية التي لم تطبع . والنظر في هذا الجهد العظيم يظهر عناية الباحثين بالبلاغة ، ولكن الانتعاش بها كان قليلاً إذ عرفت عنها وعن مصادرها معظم النقاد واتجهوا إلى اعلاء شأن التند العربي الذي لم يكن كله بريئاً أو سليماً ، فضلاً عن أن مثله كان بعيداً عن واقع الأمة العربية فكراً ومصيراً .

وفي هذا الملحق أساء بعض ما طبع من الدراسات البلاغية ، أريد بها أن تكون دليلاً للباحثين ، وبرهاناً على أن البلاغة العربية تستحق الدرس

والعناية ، والتزود منها في النقد الأدبي الحديث ، وعرة تامة لما ذكر في البحث الأول من هذا الكتاب وفي مطلع هذا الملحق من مصادر قديمة تعد أصول الدرس البلاغي والنقدي عند العرب .

### الهجرة

وأهم هذه الدراسات :

- ١ - ابن أبي الاصبح المصري بين علماء البلاغة - الدكتور حفصي محمد شرف .
- ٢ - ابن رشيق القيرواني - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٣ - ابن رشيق الناقد الشاعر - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .
- ٤ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي .
- ٥ - أبو القاسم الأحمدي وكتاب الموازنة - الدكتور محمد علي أبو حدة .
- ٦ - أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية - الدكتور بدوي طيانة .
- ٧ - الأثر الانغريقي في البلاغة العربية - الدكتور مجيد عبدالعبيد ناجي .
- ٨ - أثر البلاغة في تيسير الكشف - الدكتور عمر الملا حويش .
- ٩ - أثر النحاة في البحث البلاغي - الدكتور عبدالقادر حسين .
- ١٠ - أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها - الدكتور عبدالكريم محمد الأسعد .
- ١١ - الأدب والبلاغة - الدكتور ابراهيم أبو الخشب .

- ١٢- أساس البلاغة - الدكتور محمد السيد شيخون \*
- ١٣- أساليب الاستهزاء في القرآن - الدكتور عبدالعليم فودة \*
- ١٤- أساليب بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٥- أساليب القلب عند النحويين والبلاغيين - الدكتور فيس اساميل الأوسي \*
- ١٦- الاستعارة ( نشأتها - تطورها - أثرها في الأساليب العربية ) - الدكتور محمد السيد شيخون \*
- ١٧- أسرار التكرار في القرآن - أحمد عبدالقادر عطا \*
- ١٨- أسرار التشثيل بين الطريقة الأدبية والتفريعية - عبدالمتعال الصمدي \*
- ١٩- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - الدكتور مجيد عبدالحميد ناجي \*
- ٢٠- الأسلوب ( دراسة بلاغية تحليلية لاصول الأساليب الأدبية ) أحمد الشايب \*
- ٢١- الأسلوب الكناثي ( - نشأته - تطوره - بلاغته ) - الدكتور محمد السيد شيخون \*
- ٢٢- أصول البيان العربي ( رؤية بلاغية معاصرة ) - الدكتور محمد حنين علي الصغير \*
- ٢٣- الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأوزق - الدكتور عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطي ) \*
- ٢٤- الاعجاز الفني في القرآن - عمر السلامي \*
- ٢٥- الاعجاز في نظم القرآن - الدكتور محمد السيد شيخون \*

- ٢٦- إجاز القرآن - الدكتور عبدالكريم الخطيب .  
 ٢٧- إجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق - الدكتور حفي محمد شرف .  
 ٢٨- إجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة - الدكتور منير سلطان .  
 ٢٩- إجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها - عبدالكريم الخطيب .  
 ٣٠- إجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي .  
 ٣١- إجاز النظام القرآني - أحمد عبدالوهاب .  
 ٣٢- آمالي علي عبدالرازق في علم البيان وتاريخه - علي عبدالرازق .

#### الباء

- ٣٣- الباقلائي ناقدًا أدبيًا - الدكتور فاضل محمد عبدالله .  
 ٣٤- الباقلائي وكتابه إجاز القرآن - الدكتور عبدالرؤوف مخلوف .  
 ٣٥- البحث البلاغي عند العرب - الدكتور أحمد مطلوب .  
 ٣٦- بحوث بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .  
 ٣٧- بحوث وآراء في علوم البلاغة - أحمد مصطفى المرافعي .  
 ٣٨- بحوث ومقالات في البلاغة - الدكتور فتحي عبدالقاهر فريد .  
 ٣٩- البديع في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين .  
 ٤٠- البديعيات في الأدب العربي ( نشأتها - تطورها - أمورها ) - الدكتور علي أبو زيد .  
 ٤١- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور ابراهيم سلامة .  
 ٤٢- البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم - الدكتور أحمد موسى .  
 ٤٣- البلاغة تطور وتاريخ - الدكتور شوقي ضيف .  
 ٤٤- البلاغة العربية - الدكتور أحمد مطلوب .  
 ٤٥- البلاغة العربية بين التنبية والمجارية - الدكتور أسعد أبو الرضا .  
 ٤٦- البلاغة العربية تأريخًا وتطبيقًا - الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي .

- ٤٧- البلاغة العربية (تاريخها - مصادرها - مناهجها) - الدكتور علي عشري .
- ٤٨- البلاغة العربية في تاريخها - الدكتور محمد علي سلطاني .
- ٤٩- البلاغة العربية في ثوبها الجديد - الدكتور بكري شيخ أمين .
- ٥٠- البلاغة العربية في دور ثنائها - الدكتور سيد نوفل .
- ٥١- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل - الدكتور محمد يركسات حسدي أبو علي .
- ٥٢- البلاغة العربية ( ثنائها وتطورها ) - الدكتور حفي محمد شرف .
- ٥٣- البلاغة ( عرض وتوجيه وتصميم ) - الدكتور محمد يركسات حسدي أبو علي .
- ٥٤- البلاغة المصرية واللغة العربية - سلامة موسى .
- ٥٥- بلاغة العطف في القرآن الكريم ( دراسة أسلوبية ) - الدكتور غنة الشرفاوي .
- ٥٦- البلاغة عند الجاحظ - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٥٧- البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٥٨- البلاغة الفنية - علي الجندي .
- ٥٩- بلاغة القرآن - محمد الخضر حسين .
- ٦٠- بلاغة القرآن بين الفن والتأريخ - الدكتور فتحي أحمد عامر .
- ٦١- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية - الدكتور عبدالفتاح لاشين .
- ٦٢- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية - الدكتور محمد حسنين أبو موسى .
- ٦٣- البلاغة والأسلوب - الدكتور محمد عبدالطلب .
- ٦٤- البلاغة والتطبيق - الدكتور أحمد مطلوب والدكتور كامل البصير .
- ٦٥- البلاغة والنقد بين التأريخ والفن - الدكتور مصطفى المصاوي الجوزي .
- ٦٥(ب)- بناء الصورة الفنية في البيان العربي - الدكتور كامل حسن البصير .



- ٦٦- البهاء السبكي وآراءه البلاغية والنقدية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٦٧- البيان العربي - الدكتور بدوي طبانة \*
- ٦٨- البيان في إعجاز القرآن - محمد محمد السباعي الديب \*
- ٦٩- البيان في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٠- البيان القرآني - الدكتور محمد رجب البيومي \*
- ٧١- البيان النبوي - الدكتور عدنان زرزور \*

### التسعة

- ٧٢- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي \*
- ٧٣- تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها - أحمد مصطفى المراغي \*
- ٧٤- تأريخ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر - نعيم الحصري \*
- ٧٥- تأريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري - الدكتور محمد زغلول سلام \*
- ٧٦- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري - الدكتور وليد قصاب \*
- ٧٧- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ٧٨- التركيب اللغوي للأدب - الدكتور لطفي عبدالبدیع \*
- ٧٩- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية - الدكتورة واجدة مجيد الأطرقجي \*
- ٨٠- التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز - الدكتور عبدالعظيم إبراهيم \*
- ٨١- التشبيه والتشليل - الدكتور يوسف البيومي \*

- ٨٢- التصوير الأدبي في كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص  
 لعبد الرحيم العباسي - الدكتور محمد يركات حسني أبو علي \*
- ٨٣- التصوير البياني - الدكتور حنفي محمد شرف \*
- ٨٤- التصوير البياني - الدكتور محمد أبو موسى \*
- ٨٥- التصوير الفني في القرآن - سيد قطب \*
- ٨٦- تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية - الدكتور  
 عمر الملا حوش \*
- ٨٧- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث - الدكتور نعيم  
 حسن اليافعي \*
- ٨٨- التعبير البياني - الدكتور شبيب السيد \*
- ٨٩- التعبير الفني في القرآن - الدكتور بكري شيخ أمين \*
- ٩٠- التعبير البياني للقرآن الكريم - الدكتورة عائشة عبدالرحمن  
 ( بنيت الشاطيء )
- ٩١- التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره الى القرن السادس) -  
 الدكتور حمادي صمود \*
- ٩٢- تقي الدين بن حجة الحوي - الدكتور محمود وزقي سليم \*

### الجيم

- ٩٣- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب -  
 الدكتور ماهر مهدي هلال \*
- ٩٤- جولة مع ضياء الدين بن الأثير - أحمد محمد عنبر \*

### الحاء

- ٩٥- حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة - الدكتور  
 عبدالرحمن بدوي \*

- ٩٦- الحديث النبوي (بمطلعه وبلاغته) - الدكتور محمد الصباغ \*
- ٩٧- الحدث النبوي من الوجهة البلاغية - الدكتور عز الدين السيد \*
- ٩٨- حول إعجاز القرآن - الدكتور علي المصري \*

#### الغناء

- ٩٩- خصائص التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*
- ١٠٠- خطوات التصير البياني للقرآن الكريم - الدكتور محمد رجب البيومي \*
- ١٠١- الخيال في الشعر العربي - محمد الخطر حسين \*

#### المداد

- ١٠٢- دراسات بلاغية وتقنية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٠٣- دراسات تمهيدية شاملة لبلاغة عبدالقاهر في التشبيه والتشليل والتقديم والتأخير - عبدالهادي العدل \*
- ١٠٤- دراسات في الأدب والبلاغة - الدكتور سعد نلالم وآخرون \*
- ١٠٥- دراسات في الأدب والتقد والبلاغة - الدكتور أحمد عبدالمنعم البهي \*
- ١٠٦- دراسات في البلاغة الدكتور محمد يركات حدي أبو علي \*
- ١٠٧- دروس في البلاغة وتطورها - الدكتور جميل سعيد \*
- ١٠٨- دفاع عن البلاغة - أحمد حسن الزيات \*
- ١٠٩- دلالات التراكيب - الدكتور محمد أبو موسى \*

#### السفن

- ١١٠- سر العربية وبيائها - الدكتور محمد يركات حدي أبو علي \*
- ١١١- السرة الأدبية - الدكتور بدوي طبانة \*

## التسعين

- ١١٢- الشريف الرضي بلاغيا - الدكتور متاعل فخر الدين فليح .

## المصاد

- ١١٣- الصبح البديعي في اللغة العربية - الدكتور أحمد إبراهيم موسى .  
 ١١٤- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حنفي محمد شرف .  
 ١١٥- الصور البيانية بين النظرية والتطبيق - الدكتور حنفي محمد شرف .  
 ١١٦- صور من تطور البيان العربي - الدكتور كامل الغولي .  
 ١١٧- الصورة الأدبية - الدكتور مصطفى عاصف .  
 ١١٨- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي - الدكتور محمد بركات  
 حمدي أبو علي .  
 ١١٩- الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور علي أحمد  
 دهسان .  
 ١٢٠- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي - مدحة سعد محمد الجبار .  
 ١٢١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - الدكتور جابر  
 أحمد عصفور .  
 ١٢٢- الصورة الفنية في شعر أبي تمام - الدكتور عبدالغادر الرباعي .  
 ١٢٣- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي - الدكتور نضرة عبدالرحمن .  
 ١٢٤- الصورة الفنية في المثل التراثي - الدكتور محمد حسين  
 علي الصغير .  
 ١٢٥- الصورة الفنية معياراً نقدياً - الدكتور عبداللّاه الصالح .  
 ١٢٦- الصورة في شعر الأختل الصغير - الدكتور أحمد مطلوب .  
 ١٢٧- الصورة في شعر بشار بن برد - الدكتور عبدالفتاح صالح نافع .

- ١٢٨- الصورة في النهر العريسي حتى آخر القرن التاسع الهجري -  
الدكتور علي البطل \*
- ١٢٩- الصورة والبناء الشعري - الدكتور محمد حسن عبدالله \*

### الفن

- ١٣٠- ضياء الدين بن الاثير - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٣١- ضياء الدين بن الاثير - الدكتور محمد زغلول سلام \*
- ١٣٢- ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد - الدكتور محمد زغلول سلام \*

### الفن

- ١٣٣- عبدالقاهر الجرجاني ( بلاغته ونقده ) - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٣٤- عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية - الدكتور أحمد أحمد بدوي \*
- ١٣٥- عبدالقاهر والبلاغة العربية - الدكتور محمد عبدالمنعم خلفي \*
- ١٣٦- علم البديع ( نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ) -  
الدكتور عبدالرزاق أبو زيد زايد \*
- ١٣٧- علم البديع والبلاغة عند العرب - كراتسكوفسكي \*
- ١٣٨- علم النصاحة العربية - الدكتور محمد علي رزق الخفاجي \*

### الفن

- ١٣٩- الفاصلة في القرآن - محمد الحناوي \*
- ١٤٠- الفاصلة القرآنية - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ١٤١- فخر الدين الرازي بلاغيا - الدكتور ماهر مهدي هلال \*

- ١٤٢- فصول في البلاغة - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٤٣- فصول من البلاغة - صادق إبراهيم خطاب \*
- ١٤٤- فصول من علم البلاغة - عبدالمطعم الروبي \*
- ١٤٥- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - الدكتور فتحى أحمد عامر \*
- ١٤٦- فلسفة البلاغة - جبر ضومط \*
- ١٤٧- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٤٨- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث - الدكتور لطفي عبدالبديع \*
- ١٤٩- فن الاستعارة - الدكتور أحمد عبدالسيد الصاوي \*
- ١٥٠- فن الأسجاع - علي الجندي \*
- ١٥١- فن البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين \*
- ١٥٢- فن التشبيه - علي الجندي \*
- ١٥٣- فن الجناس - علي الجندي \*
- ١٥٤- فن القول - أمين الخولي \*
- ١٥٥- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب - الدكتور فتحى عبدالقادر فريد \*
- ١٥٦- فنون بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٥٧- في الأدب والبيان - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٥٨- في إعجاز القرآن الكريم - الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي \*
- ١٥٩- في البلاغة العربية - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٦٠- في تاريخ البلاغة العربية - الدكتور عبدالعزيز عتيق \*

#### الفنّان

- ١٦١- القاضي الجرجاني - الدكتور أحمد أحمد بدوي \*
- ١٦٢- القاضي الجرجاني - الدكتور محمود السرة \*

- ١٦٣- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي - الدكتور بدوي طبانة \*
- ١٦٤- القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز - محمد عبدالغني حسن \*
- ١٦٥- القرآن والصورة البيانية - الدكتور عبدالقادر حسين \*
- ١٦٦- القروضي وشروح التلخيص - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٦٧- قضايا النقد الأدبي والبلاغة - الدكتور محمد زكي العشماوي \*
- ١٦٨- قضية عمود الشعر العربي القديم ( ظهورها وتطورها ) - الدكتور وليد قصاب \*

### الكاف

- ١٦٩- كتاب أرسطو طاليس في الشعر - الدكتور شكري محمد عياد \*
- ١٧٠- كتاب سر القصيدة لابن سنان ( دراسة وتحليل ) - الدكتور عبدالرزاق أبو زيد زايد \*

### اللام

- ١٧١- اللغة والبلاغة - عدنان بن ذوق \*
- ١٧٢- لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية - الدكتور محمد أديب الصالح \*

### اليم

- ١٧٣- البلاغة في الشعر العباسي - عبدالعزيز بن عبدالله الشيبلي \*
- ١٧٤- المجاز في البلاغة العربية - الدكتور مهدي صالح السامرائي \*
- ١٧٥- المجاز وأثره في الدرس اللغوي - الدكتور محمد بنوري عبدالجليل \*
- ١٧٦- محاضرات في فلسفة البلاغة العربية - الدكتور حليم علي مرزوق \*
- ١٧٧- المختصر في تاريخ البلاغة - الدكتور عبدالقادر حسين \*

- ١٧٨ - المدخل إلى دراسة البلاغة - الدكتور فتحي فريد \*
- ١٧٩ - المدخل إلى دراسة البلاغة العربية - الدكتور السيد أحمد خليل \*
- ١٨٠ - المذهب البديهي في الشعر والنقد - الدكتور رجاء عيد \*
- ١٨١ - مشكلة السرقات في النقد العربي - الدكتور محمد مصطفى هداره \*
- ١٨٢ - مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني - الدكتور منصور عبدالرحمن \*
- ١٨٣ - مصطلحات بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٨٤ - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ - الشاهد البوشيخي \*
- ١٨٥ - المصطلح النقدي في نقد الشعر - ادرس الناقوري \*
- ١٨٦ - معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور محمد بركات حسني أبو علي \*
- ١٨٧ - المعاني الثانية في الأسلوب التراقي - الدكتور فتحي أحمد عامر \*
- ١٨٨ - المعاني في ضوء أساليب القرآن - الدكتور عبدالفتاح لاشين \*
- ١٨٩ - مع بلاغة القرآن - الدكتور عبدالحيد العيسى \*
- ١٩٠ - المعجم الأدبي - الدكتور جيور عبدالنور \*
- ١٩١ - معجم البلاغة العربية - الدكتور بدوي طبانة \*
- ١٩٢ - معجم مصطلحات الأدب - الدكتور مجدي وهبة \*
- ١٩٣ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٩٤ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب - مجدي وهبة وكامل المهندس \*
- ١٩٥ - معجم النقد العربي القديم - الدكتور أحمد مطلوب \*
- ١٩٦ - مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين - الدكتور أحمد السيد عبد الصاوي \*



- ١٩٧- مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة - الدكتور محمد بركات  
حمدي أبو علي .
- ١٩٨- مقدمة في دراسة البيان العربي - الدكتور محمد بركات حمدي  
أبو علي .
- ١٩٩- ملامح الشخصية المصرية في الدراسات البيانية في القرن السابع  
البحري - الدكتور مصطفى الصاوي الجبريني .
- ٢٠٠- من أساليب البيان في القرآن الكريم - الدكتور محمد علي أبو  
حمدة .
- ٢٠١- من أسرار التركيب البلاغي - الدكتور سيد عبدالفتاح حجاب .
- ٢٠٢- من بلاغة النبوة - الدكتور عبدالقادر حسين .
- ٢٠٣- مناهج بلاغية - الدكتور أحمد مطلوب .
- ٢٠٤- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - أمين الخولي .
- ٢٠٥- مناهج وآراء في لغة القرآن - الدكتور محمد بركات حمدي  
أبو علي .
- ٢٠٦- من بلاغة القرآن - الدكتور أحمد أحمد بدوي .
- ٢٠٧- المناهج الواضحة للبلاغة - حامد عوني .
- ٢٠٨- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إيجازه - الدكتور  
مصطفى الصاوي الجبريني .
- ٢٠٩- من الوجوه النفسية في دراسة الأدب وتقدمه - محمد خلف الله أحمد .
- ٢١٠- الموجز في تاريخ البلاغة - الدكتور مازن المبارك .

#### التشون

- ٢١١- نحو بلاغة جديدة - الدكتور محمد عبدالمتم خفاجي والدكتور  
عبدالمعز شرفه .
- ٢١٢- لموسى النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع للهجرة -  
الدكتور داود سلوم والدكتور عمر الملا حوش .

- ٢١٣- نظرات في البلاغة والاسناد - الدكتور محمد عبدالرحمن الكندي •
- ٢١٤- النظرات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين - محمد الصغير بناني •
- ٢١٥- نظرية إعجاز القرآن عند عبدالقاهر الجرجاني - محمد حنيف القتيبي •
- ٢١٦- نظرية البلاغة بين النقد العربي والنقد اليوناني - الدكتور السعيد السيد عبادة •
- ٢١٧- نظرية عبدالقاهر في النظم - الدكتور درويش الجندي •
- ٢١٨- نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر والنقد الغربي الحديث - الدكتور محمد نائل أحمد •
- ٢١٩- نظرية المعنى في النقد العربي - الدكتور مصطفى ناصف •
- ٢٢٠- نظرية النظم (تأريخ وتطور) - الدكتور جاتم صالح الضامن •
- ٢٢١- النظم الفني في سورة الرعد - محمد بن سعد الدبل •
- ٢٢٢- النظم الفني في القرآن - عبدالمتعال الصعيدي •
- ٢٢٣- النظم القرآني في كشاف الزمخشري - الدكتور درويش الجندي •
- ٢٢٤- النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع - الدكتور محمد علي أبو حيدة •
- ٢٢٥- النقد التحليلي عند عبدالقاهر الجرجاني - الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي •

#### وبعد :

فهذا ما وقعت عليه اليد من دراسات بلاغية مطبوعة ، وهناك مشاتل الكتب التعليمية والرسائل الجامعية يصعب الوقوف عليها ، ولعل ما جاء في

هذا الملحق من « بحوث بلاغية » يدفع النقاد الى الانتفاع بها ويستصدر  
البلاغة والنقد القديمة ليقبوا صرح لقد عربي أصيل .

www.azkarak.com

« قل هذو سبيلي أدعو الى الله على بصيرة » ١٦ -

ومن أشجعتي ، وشجعان الله ، وما ١٧ من

المشركين » . - صدق الله العظيم - .



## بحوث الكتاب

الرقم	الموضوع	الصفحة
٢ - ٥	١ - مصادر البحث البلاغي	٢
٦ - ٢٨	الأهداف	٦
٨	اعجاز القرآن	٨
١١	المفسرون والاصوليون	١١
١٤	اللفزيون والنحاة	١٤
١٦	الشعراء والكتاب	١٦
١٨	الفلاسفة والمفسرون	١٨
١٩	المختصون والشراح	١٩
٢٠	أصحاب الپديسيات	٢٠
٢١	أهم مصادر البلاغة	٢١
٢٨	المصادر	٢٨
٢٩ - ٧٢	٢ - الفصاحة عند الجاحظ	٢٩
٢٩	الفصاحة	٢٩
٣١	فصاحة التكلم	٣١
٣٥	الاصوات	٣٥
٣٨	الأسنان	٣٨
٣٩	اللسان	٣٩
٤١	عيوب اللسان	٤١
٤٦	الحي	٤٦
٤٦	الحصر	٤٦
٤٧	اللمح	٤٧

٥٠	فصاحة الكلام
٥٠	الحروف
٥١	الإقفاط
٥٣	الترابة
٥٧	التعقيد
٥٧	الدلالة
٦٢	المعاني
٦٤	الأثر
٧٢	المصادر
٧٤ - ١٠٢	٢ - الأساليب البلاغية
٧٤	المنهج
٨٤	التطبيق
١٠١	المصادر
١٠٢ - ١٢١	١ - الفنون البلاغية
١٠٣	المنهج
١١٢	التطبيق
١٣١	المصادر
١٢٢ - ١٤٨	٥ - البلاغة بين المنطق والتلويح
١٣٢	أهمية البلاغة
١٣٣	الجاهلان بلاغيان
١٣٤	موازنة
١٤٣	أهمية البديع
١٤٤	بين القاعدة والفن
١٤٧	المصادر

١٧١ - ١٤٩	٦ - أثر القرآن في البلاغة
١٤٩	كلية
١٥١	الدافع
١٦٠	التشاهد
١٧٠	المصادر
١٨٨ - ١٧٢	٧ - بديع القرآن الكريم
١٧٢	البديع
١٧٨	الاهتمام بالبديع
١٧٩	هدف البديع
١٨٠	صور من بديع القرآن
١٨٦	البديع عربي أسيل
١٨٨	المصادر
٢١٠ - ١٨٩	٨ - أثر الحديث في البلاغة
١٨٩	الملاح
١٩٠	الحديث وتعلم الكتابة
٢٠٣	السمات
٢٠٩	المصادر
٢٥٦ - ٢١١	٩ - أثر الملاحج النبوية في البلاغة
٢١١	البديعيات
٢٢٢	بديعية الباعورية
٢٣٠	البديعية
٢٥٠	الموازنة
٢٥٥	المصادر

٢٥٧ - ٢٩٢	١٠ - اثر البلاغة العربية في البلاغة الفارسية
٢٥٧	الشبهة
٢٦٦	النقض
٢٧٤	البرهان
٢٨٩	المصادر
٢٩٢ - ٣١٧	١١ - البلاغة عند السيوطي
٢٩٣	كتب البلاغة
٣٠١	التضايأ البلاغية
٣٠١	إعجاز القرآن
٣٠٥	آراء السيوطي
٣١٠	ابتداعاته
٣١٣	تقويم
٣١٦	المصادر
٣١٨ - ٣٢٢	الخاتمة
٣٢٢ - ٣٢٩	الملحق
٣٤٠ - ٣٤٢	بحوث الكتاب

\* \* \*



٤١٤ر٠٧

٣٨٤٤ أحمد مطلوب

بحوث بلاغية / تأليف أحمد مطلوب -

بمطبعات : مطبوعات

الجمهورية العربية ، ١٩٩٦ م .

٣٢٠ ص : ٢٤ سم .

١ - البلاغة العربية - دراسات

٠١ العنوان

٣٠ م

١٩٩٦ / ٢٣٨

الكتبة الوطنية ( المدرسة أثناء النشر )